

**التعريف والتكبير
بين الدلالة والشكل**

دكتور محمود أحمد نحلة
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فهنا بحث عن ظاهرة من ظواهر العربية شديدة التشعب والتداخل والتعقيد ، لكن لها دوراً لا يستهان به في صحة كثير من تراكييب العربية، وإدراك وظائف العناصر اللفوية فيها . من أجل ذلك لفتت هذه الظاهرة أنظار عدد كبير من الباحثين في الشرق والغرب ، فتناولوها من جوانب مختلفة بعضها يقتصر على أداة التعريف تأصيلاً ووظيفة ، وبعضها يعنى بمفهوم التعريف والتنكير عند النحاة العرب والنحاة الأوربيين الذين وضعوا كتباً تعليمية للنحو العربي بلغة أجنبية ، وبعضها يهتم بأثر التعريف والتنكير في صحة بعض التراكييب العربية أو تعديلها نظماً ودلالة ، وبعضها يتتبع استعمال التعريف والتنكير في أبواب النحو العربي ، وبعضها يقدم دراسة تقابلية عن التعريف والتنكير بين العربية وبعض اللغات الأخرى ، وبعضها يقدم دراسة نقدية لتناول نحاة العربية لبعض جوانبها ، وبعضها يحاول أن يعنى بالعمليات الذهنية التي يقوم بها المتكلم والسامع عند استخدامه لظاهرة التعريف والتنكير ، معتمداً على بعض منجزات علم اللغة النفسي ، والإعلامية .

ويأتي هذا البحث ليكون حلقة في سلسلة متصلة من البحث في هذا الموضوع معنياً بأمر لم تتناوله الدراسات السابقة ، وهو استنباط الوسائل المنهجية التي يتخذها النحاة للوصول إلى حكم على الكلمة

بتعريف أو تنكير ، والتي هي في الوقت نفسه تمثل ضوابط الاستعمال.

وقد مهدت لهذا البحث بحديث عن موقع هذه الظاهرة من النظام النحوي في كثير من لغات العالم مورداً ما قدمه بعض اللغويين المحدثين من تصنيف شامل للغات العالم - ومنها العربية - من حيث استخدامها أنوات للتعريف أو التنكير أو عدم استخدامها ، وما أضافوه إليها من مورفيمات تقوم بوظيفة الأداة أطلقوا عليها « المحددات » . ثم بينت دور الظاهرة في نظام العربية ، وإقرار النحاة بصعوبة تحديد مجالها ؛ حتى لقد قال ابن مالك « من تعرض لحددهما عجز عن الوصول إليه دون استدراك عليه » .

على أن القراءة الشاملة المستأنية للتراث النحوي اقتضت إلى الوصول إلى معيارين كبيرين يحكمان هذه الظاهرة أحدهما دلالي والآخر شكلي ، ولكل منهما محاور يقوم عليها . من ثم انقسم هذا البحث انقساماً طبيعياً إلى بابين أحدهما للمعيار الدلالي ، والثاني للمعيار الشكلي .

وقد نظرت في المعيار الدلالي فوجدته يقوم على محاور ثلاثة : الشبوع / التعيين ، وعلم المخاطب / المتكلم ، والإشارة إلى خارج ، فدرست كلا منها في فصل من فصول هذا الباب . وقد ظهر واضحاً أن عناية نحاة العربية بالشبوع / التعيين كانت أوفر حظاً ، وأغزر مادة ، لكنه كان أكثرها إثارة للجدل ، وخلقاً للمشكلات ، وهو الذي فتح الباب واسعاً أمام من هاجموا النحاة في تناولهم لهذه الظاهرة من المحدثين ، فقد ظهر التعارض حاداً أحياناً فيما يستخدم استخدام المعارف مع دلالة

على الشيوخ ، وفيما وضع لمعرفة ويستعمل استعمال النكرات ، وقد لفت إلى أن النحاة لم يغيب عنهم أمر هذا التعارض؛ لأنه عندهم من عوارض الاستعمال ، وعوارض الاستعمال لا تخل بأصول القواعد .

وأما المحور الثاني الذي يقوم عليه المعيار الدلالي فهو علم المخاطب / المتكلم ، إذ ظهر للنحاة كما ظهر لغيرهم من نحاة بعض اللغات الأخرى أن التعريف والتنكير محكوم بالعلاقة المفترضة بين المتكلم والمخاطب ؛ فالمتكلم يختار من الوسائل التعبيرية ما يراه دالاً على نقل ما يريد إلى مخاطب يفترض فيه العلم بالشيء المراد أو الجهل به . من هذا يرجع كثير من النحاة علة التعريف في كثير من المعارف إلى علم المخاطب ، إدراكاً منهم لدور المخاطب في الاتصال الكلامي ، فكان هذا موضوع الفصل الثاني .

وأما المحور الثالث فكان الإشارة إلى خارج ؛ إذ رأى بعض النحاة أن التعريف لا يرتبط بما اختزنه الذهن من الدلالة المجردة للألفاظ على الأشياء ، بل يتحقق هذه الأشياء في العالم الخارجي ، وهو موقف أنطولوجي كما ترى ، وقد كان هذا موضوع الفصل الثالث .

ويدهي بعد ذلك أن يتناسب حجم كل فصل مع ما كتب عن مسائله في المصادر العلمية ، وما أثاره من قضايا ومشكلات ، وما قد يؤخذ عليه من مأخذ ، من ثم جاء الفصل الأول من هذا الباب أطول فصوله .

أما الباب الثاني فقد عقدته للمعيار الشكلي . وقد وجدت معياراً جامعاً يقوم على أربعة محاور هي : التوزيع ، والاستبدال ، والبنية الصرفية ، ثم الظواهر النحوية . من ثم قام هذا الباب على أربعة فصول .

لقد اخترت أن يكون عنوان الفصل الأول من هذا الباب « التوزيع » مستعيراً للمصطلح من البنيوية الأمريكية لانطباقه على جانب أساسي من هذه الظاهرة ، فعرضت لمفهوم التوزيع ، ثم تحدثت تفصيلاً عن استخدام الأداة وعن امتناع استخدامها ، وقد بينت توزيع العناصر اللغوية التي تستخدم معها الأداة (ال) دالة على التعريف أو غير دالة عليه من خلال حديث عن الأداة والتعريف ، كما بينت توزيع العناصر اللغوية التي لا تكون إلا نكرة لوقوعها بعد ما يقتضى التنكير في حديث عن الأداة والتنكير ، ثم أقررت حديثاً لامتناع الأداة بينت فيه أن من العناصر اللغوية ما يمتنع دخول (ال) عليه ، ولا يمتنع التنوين ، ومنها ما يمتنع لحاق التنوين به ولا يمتنع دخول(ال)عليه ، ومنها ما يمتنع دخول (ال) عليه ويمتنع لحاق التنوين به وما يكون من ذلك معرفة أو نكرة وقد جاء هذا الفصل أطول فصول هذا الباب .

أما الفصل الثاني فقد اخترت له الاستبدال عنواناً مستعيراً إياه من البنيوية الأمريكية أيضاً ؛ إذ وجدته وسيلة منهجية يتخذها نحاة العربية لتفسير استخدام الكلمة استخدام المعارف أو استخدام النكرات مراعين في الأغلب الأشهر مقتضيات الاستعمال .

وأما الفصل الثالث فكان عن اتخاذ البنية الصرفية دليلاً على التعريف والتنكير ، فقد حدد النحاة صيغاً لا ترد عليها الكلمات إلا نكرات أو معارف .

وقد عقدت الفصل الرابع لاستخدام بعض الظواهر النحوية وسيلة منهجية للحكم بتعريف بعض العناصر اللغوية أو تنكيرها وهي : المطابقة بين تابع ومتبوع ، والإضافة المحضة ، والإحالة إلى عنصر سابق

anaphora أو لاحق cataphora ، والجواب عن بعض كلمات الاستفهام .
وبعد ، فقد بذلت في هذا البحث من الجهد ما أرجو معه أن يكون
شيئاً منكوراً ، فإن كنت قد وفقت فبعمون من الله وفضل ، وإن كانت
الأخرى فحسبي أنني بذلت الجهد وأخلصت العمل ، والله الهادي إلى
سواء السبيل .



محمود نحلة

تمهيد

(١)

التعريف والتنكير definiteness vs. indefiniteness (١) ظاهرة شائعة في لغات العالم universal ترتبط بالتقابل المركوز في اتقان أهل اللغة بين المعروف والمجهول أو المعين والشائع في جنسه (٢). من ثم كان مفهوم التعريف والتنكير في اللغات واحداً أو يكاد ، لكن وسائل التعبير عنه تختلف من لغة إلى لغة . وقد ظهر في نحو اللغات ما يسمى « أدوات التعريف والتنكير » بما غلب من استعمالها في هذا أو ذاك : على الرغم من أن الأداة ليست إلا واحدة من وسائل التعبير عن هذه الظاهرة . يقول كرامسكي : « ... لقد أوصلتنا الدراسة الشاملة للأدوات إلى اقتناع بأن الأداة ليست إلا واحدة من وسائل التعبير عن فصيلة واسعة تسمى فصيلة التعريف والتنكير ، فإذا اقتصرنا على الأداة فقد عالجتنا جزءاً من المشكلة فحسب ، وهو تشويه غير مرغوب فيه في بحث يريد لنفسه أن يكون عرضاً شاملاً للظاهرة المدروسة من وجهة نظر تصنيفية » (٣) .

وقد تخلص بعض اللغات من أداة للتعريف كالتركية ، أو من أداة

(١) نكر كريستوفرسن مايزيد عن أحد عشر مصطلحاً أطلقت على أداة التعريف في الانجليزية ومنها : actualizing , individualizing , determinative , definite

انظر :

- Krámský , J , The Article and the Concept of Definiteness in Language (The Hague : Mouton 1972) p. 22 .

Ibid , P. 19 , 52 , 199.

(٢)

Ibid , p. 9 .

(٣)

للتنكير كاليونانية القديمة ، أو منهما معاً كاللاتينية والروسية (١) . وقد سبقت من أبي حيان الأندلسي إشارة إلى شيء من ذلك فقال : « وبعض الألسن خالٍ من أداة التعريف كلسان الترك ، وبعضهم فيه أداة التنكير وحذفها علامة التعريف كلسان الفرس ، وبعضهم مختلف الأداة في التعريف بالنسبة إلى التنكير والتأنيث ، وهذه كلها أوضاع لا تعلق » (٢) .

لقد حاول بعض الباحثين المحدثين أن يقدم تصنيفاً نوعياً typological classification للغات على أساس من وجود أدوات فيها تعبر عن التعريف أو التنكير ، أو غيابها ، فقدم كرامسكي تصنيفاً شاملاً للغات على النحو الآتي : (٣)

أولاً : لغات تعبر عن التعريف والتنكير بأدوات مستقلة ، وهي أربعة أنواع :

- ١- لغات فيها أداة تعريف وأداة تنكير كالإنجليزية والألمانية .
- ٢- لغات ليس فيها إلا أداة تعريف (أو أدوات) كاليونانية القديمة ، وبعض اللغات الكلتية celtic languages كالأيرلندية القديمة والويلزية .

(١) Krámský (1972) pp. 55 , 96 , 110 .

- Henschel, E & Weydt , H : Handbuch der deutschen Grammatik (Berlin, New York 1990) S. 202 .

- Crystal , D : A First Dictionary of Linguistics and Phonetics . (London 1980) p. 32.

(٢) أبو حيان الأندلسي : ارتشاف الضرب من لسان العرب . تحقيق د. مصطفى النماس (القاهرة ١٩٨٤) ١ / ٥١٣ - ٥١٤ .

(٣) Krámský (1972) p. 73 ff.

٢ - لغات ليس فيها إلا أداة تنكير كالتركية
٤ - لغات فيها أداة تنكير، وأداة تعريف، وأداة تبعيض partitive
كالفرنسية والإيطالية .

ثانياً : لغات يعبر فيها عن أحد المفهومين بأداة منفصلة ، وعن الآخر
بأداة متصلة معتمدة على ما بعدها proclitic أو على ما قبلها
enclitic كبعض اللغات الجرمانية : الدانمركية ، والنرويجية ،
والسويدية ، وبعض اللغات الرومانسية romance languages
كالرومانية .

ثالثاً : لغات يعبر فيها عن كل من المفهومين بأداة متصلة سابقة أو
لاحقة كالعربية .

رابعاً : لغات التعريف والتنكير فيها سمة متأصلة inherent في الاسم
ذاته ، أو يعبر عنه بنوع آخر من الكلمات غير الأنوات ، أو يكون
بأداة مضمرة latent article كما يرى راول دي لاجراسيري
Raoul de la Grasserie ومنها الفارسية الحديثة.

خامساً : لغات يكون التعريف والتنكير فيها بالتصريف Flexion :

١- تصريف الأسماء كالتتارية tatar .

٢- تصريف الصفات كالسلافية القديمة old slavonic واللغات
الجرمانية القديمة.

٣- تصريف الصفات كالهنجارية

سادساً : لغات يعبر فيها عن التعريف والتنكير بالنبر stress أو التنغيم
intonation ومنها الفنلندية .

سابقاً : لغات لا يظهر فيها تعبير لفظي عن التنكير أو التعريف أو لا
يكاد يظهر كاللغات الهندية indian languages

ثم أشار كرامسكي من بعد إلى أن ظاهرة التعريف والتنكير تقع
في مركز النظام اللغوي في أغلب اللغات ، وتقع على هامشه في بعض
اللغات ، لكن تاريخ اللغات يكشف عن اتجاه هذه الظاهرة من المركز إلى
الهامش ، ومن الهامش إلى المركز أيضاً (١) .

واللغويون المحدثون من غير العرب على أن ظاهرة التعريف
متصلة - في أصلها - اتصالاً وثيقاً بظاهرة الإشارة
demonstrativeness ، أو هي جزء منها ، وهم يتخذون من هذه الصلة
الوثيقة دليلاً على نشوء أداة التعريف من أسماء الإشارة ، وهم أيضاً
على أن أداة التنكير متطورة عن العدد ، لكنهم لا يكادون يجدون إجابة
عن السؤال : لم طورت بعض اللغات ، بجانب فصيلتي الإشارة والعدد ،
فصيلة للتعريف والتنكير ؟ ولم وجدت بجانب الإشاريات والأعداد أدوات
ينبغي أن تختلف عنها اختلافاً كاملاً ؟ (٢)

وقد أدرك اللغويون المحدثون أن ثمة مورفيمات أخرى تقوم بوظيفة
الأداة ، فضمروها إليها ، وأطلقوا عليها جميعاً مصطلحاً جامعاً هو
المحددات أو determiners أو determinatives ، وجعلوه دالاً على فصيلة

Krámský (1972) p. 199 .

Ibid, p. 55 .

(١)

(٢)

وانظر أيضاً :

Hentschel & Weydt (1980) S. 202

مستقلة ، وقسموها إلى ثلاث فصائل^(١)

١- المحددات الأصلية أو القياسية regular ، وقد يطلقون عليها المحددات المركزية central ، وتشمل : الأدوات articles والإشارات demonstratives ، والمضافات genetives . وهذا النوع من المحددات تتعاقب الفاظه على الاسم فلا يصح دخول أحدها على الآخر ، فإن دخل محدد ما من هذا النوع على محدد آخر من النوع نفسه كانت الجملة غير صحيحة نحويا ungrammatical ، وهذا الاستخدام التعاقبي ملمح شديد الأهمية في تمييز هذا النوع من المحددات .

٢- سابقات المحددات pre-determiners : وهي نوع من المحددات يسبق المحددات الأصلية كما في نحو only that boy , all the boys , just my speed .

٣- تاليات المحددات post-determiners : وهي نوع من المحددات يتلو المحددات الأصلية وهي تشمل الأعداد ترتيبية وغير ترتيبية وصيغ التفضيل . نحو two , the most, the first , these

(٢)

للتعريف والتنكير دور أساسي في نظام اللغة العربية ، فهما كثيرا الدور فيه ، وصحة كثير من التراكيب النحوية رهن بهما أو بأحدهما ،

Krámsky (1972) p 66 ff.

(١)

- Close , R. A, English as a Foreign Language (London 1981)³ p. 46 .
- Mcarthur, T (ed.) , The Oxford Companion to the English Language (Oxford, New York 1996) p. 263 .

والعلم بهما أو بأحدهما شرط في إدراك وظائف كثير من الكلمات في الجملة العربية ، وكثير من أحكام النحاة تنبني عليهما . من ثم وجدنا النحاة معنيين بهذه الظاهرة يعتقدون لها باباً خاصاً في كتبهم ، لكنك لاتجد الحديث عنها مقصوراً على الباب الذي يعتقدونه ، بل تجده منتشراً في الكتاب جميعاً لحاجة الأبواب النحوية المختلفة إليه ، فهو مائل في أبواب المبتدأ والخبر ، ونواسخ الابتداء ، والفاعل ونائبه ، والمفعولات ، والحال ، والتمييز، والجر بالحرف أو بالإضافة ، والنداء ، والتفضيل ، والاستثناء ، والتوابع ، وإعراب الجمل وأشباه الجمل ... الخ الخ . فإذا أردت أن تلم بأطراف هذه الظاهرة الأساسية ، وأن تتبين ضوابط استعمالاتها ، وما تثيره من قضايا ومشكلات ، لم يغنك في كثير أن تقرأ الباب الذي يضعونه للنكرة والمعرفة ، بل عليك أن تقرأ الكتاب كله لتجمع أشقاتها وتستوي بين يديك خلقاً متكاملًا .

وقد أقر بعض نحاة العربية بتشعب هذه الظاهرة وتداخلها ، وصعوبة تحديد مجالها ، حتى إنهم لم يستطيعوا أن يضعوا لهذين المفهومين حدين سالمين من الاستدراك عليهما ، قال السيوطي : « لما كان كثير من الأحكام الآتية تنبني على التعريف والتنكير وكانا كثيري الدور في أبواب العربية صدر النحاة كتب النحو بذكرهما بعد الإعراب والبناء . وقد أكثر الناس في حدودهما ، وليس منها حد سالم . قال ابن مالك : « من تعرض لحددهما عجز عن الوصول إليه دون استدراك عليه (١) . ثم قال : « وإذا كان كذلك فأحسن ما يتبين به المعرفة ذكر أقسامها

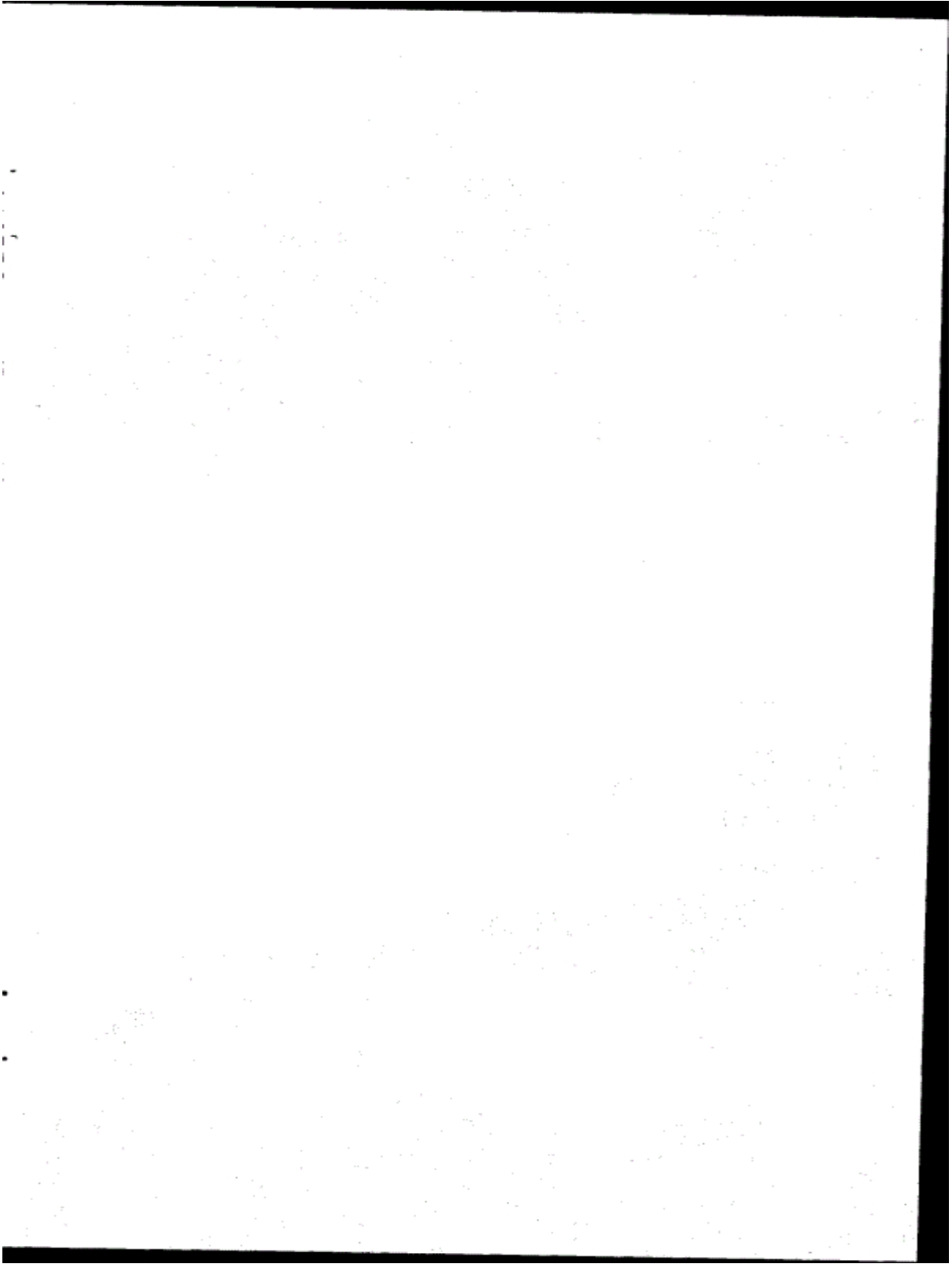
(١) السيوطي ، مع الهوامع - شرح جمع الجوامع في علم العربية . صححه السيد محمد بدر الدين النمساني (القاهرة ١٣٢٧ هـ) ١ / ٥٤ .

مستقصاة ، ثم يقال : ما سوى ذلك نكرة ^(١) . فالرجل يسلم بعجزه وعجز النحاة من قبله عن وضع حدّ سالم لأى منهما ، ويرى المخرج من ذلك ذكر أقسام المعرفة ، وما سواها فنكرة ، متبعا قاعدة مشهورة عندهم هي : « المحصور بالعدّ يستغني عن الحدّ » ^(٢) .

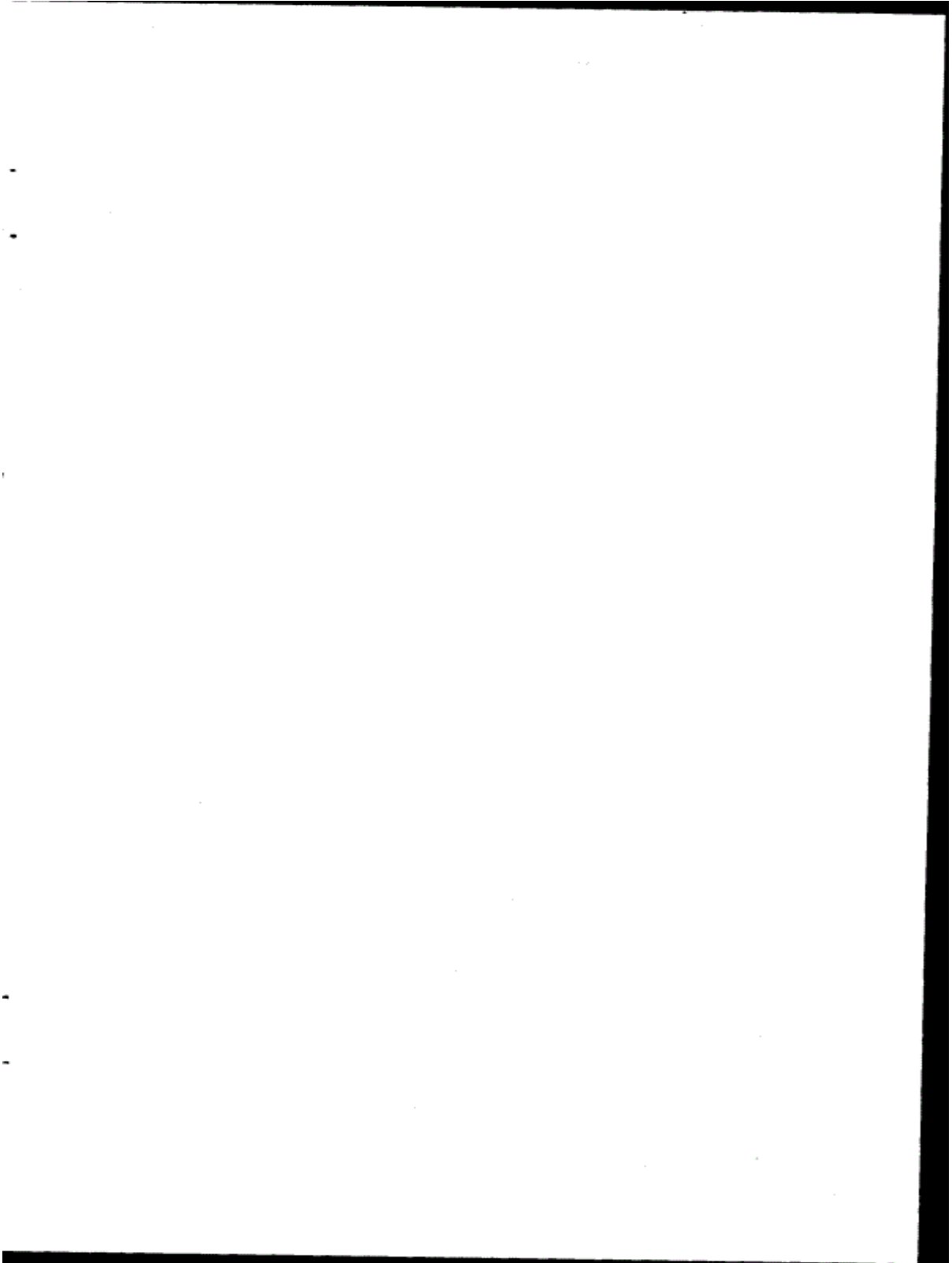
ولا يدفعا هذا القول من ابن مالك والسيوطي - وما يتبني له - إلى اليأس من الوصول إلى لب المشكلة ، واكتشاف أسباب العجز عن تحديد مفهوميّن من المفاهيم النحوية الأساسية في اللغة العربية ، وسبيلنا في ذلك ليس البحث عن حدّ سالم من الاستدراك عليه ، بل الوصول إلى المعايير التي وضعها النحاة للحكم على الكلمة بالتعريف أو التنكير ، وتمحيصها ، ومعرفة مدى غناؤها في تحديد الظاهرة ، ثم الوقوف على ما قد يكون بينها من تعارض أفسد على النحاة حدودهم ، وفتح الباب واسعا لهجوم بعض المحدثين عليهم .

لقد اعتمد النحاة منذ سيبويه على معيارين أساسيين في الحكم على الكلمة بتنكير أو تعريف تحت كل منهما فروع ، أحدهما : المعيار الدلالي ، والآخر المعيار الشكلي . لكن أحدهما ليس منفصلا عندهم عن الآخر ، بل قد يجمع بينهما بعض النحاة في عبارة واحدة ، وسوف تعرض لكل منهما الآن بما تحته من فروع مفردتين أحدهما عن الآخر لغرض الدرس فحسب محاولين أن نتبين مدى اعتمادهم عليه في تحديد الظاهرة وما قد يوجه إلى أى منهما من نقد ، ثم نقف بعد ذلك على ضوابط الاستعمال .

(١) السابق نفسه ، وأنظر : ابن عقيل : المساعد على تسهيل الفوائد ، تحقيق د. محمد كامل بركات (دمشق ١٩٨٠) ١ / ٧٧ .
(٢) السيوطي : همع الهوامع ١ / ٧٥ .



الباب الأول
المعيار الدلالي



مدخل :

يستطيع المتتبع لما كتبه نحاة العربية أن يستنبط محاور ثلاثة يقوم عليها المعيار الدلالي في الحكم على الكلمة بالتنكير أو التعريف ، أولها : الشيوخ / التعيين ، وثانيها : علم المخاطب / المتكلم ، وثالثها : الإشارة إلى خارج . ولا يعنى هذا أن القائل بأحدها لا يقول بغيره ، بل تتردد هذه الثلاثة في كتاباتهم بحيث يمكن القول : إنهم يسلمون بها جميعا ، ولم يؤثر عن أحدهم الالتزام بواحد منها ورفض الآخر ، وإن كان محور الشيوخ / التعيين عندهم أظهر وأشهر ، حتى لقد اقتصر عليه كثير من النحاة .

الفصل الأول الشيوخ / التعيين

بدرت من سيبويه إشارة إلى تحديد النكرة على أساس من دلالتها على الشيوخ فقال في معرض حديثه عن النعت الجاري على المنعوت : «... وإنما كان نكرة لأنه من أمة كلها له مثل اسمه» (١) وحدد المعرفة على أساس من دلالتها على التعيين فقال معللاً تعريف العلم : «... وإنما صار معرفة لأنه اسم وقع عليه يعرف به بعينه دون سائر أمته» (٢) . وقال معللاً تعريف المضاف إلى معرفة في نحو : هذا أخوك : «... وإنما صار معرفة بالكاف التي أضيفت إليها ، لأن الكاف يراد بها الشيء بعينه دون

(١) سيبويه : الكتاب . تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٧٧)
٤٢٢ / ١ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ٥ .

سائر أمته « (١) ، وقال معللاً تعريف ما فيه الألف واللام : « وإنما صار معرفة لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته » (٢) وقال في تعليقه لتعريف أسماء الإشارة : « ... وإنما صارت معرفة لأنها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمته » (٣)

وقد شاع ماحدد به سيبويه النكرة والمعرفة في النحاة بعده ، فرددوا كلامه بنصه حيناً ، أو بتغيير في بعض ألفاظه حيناً أو بصياغة أخرى تؤدي معناه (٤) . ونلاحظ أن المبرد استخدم في تحديده بعض الاصطلاحات المنطقية فقال : « ... لأنه إذا كان معروفاً كان مخصوصاً ، وإذا كان منكوراً كان شائعاً في نوعه » (٥) . وقال في موضع آخر : « وهو نكرة لا يعرف بالاسم منه إلا أنه واحد من جنس » (٦) . وقال في موضع ثالث : « ... وذلك الاسم المنكر هو الواقع على كل شيء من أمته لا يخص واحداً من الجنس دون سائره ، وذلك نحو : رجل و فرس وحائط وأرض ... فإذا قلت : جاءني زيد ، علمت أنك لقيت به واحداً ممن كان

(١) السابق نفسه .

(٢) السابق نفسه .

(٣) السابق نفسه .

(٤) انظر : المبرد : المقتضب . تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة (القاهرة ١٣٩٩ هـ - ٣ / ١٣٢ ، ١٨٥ ، ٤ / ٢٧٦) ، وابن السراج : الأصول في النحو . تحقيق د. عبد الحسين الفتلي (بيروت ١٩٨٥) ١ / ١٤٨ ، والزجاجي : الجمل في النحو . تحقيق : د. علي توفيق الحمد (بيروت ، إريد ١٩٨٨) ٤ ص ١٤ ، ١٩٧ ، والسيراني شرح كتاب سيبويه . تحقيق د. رمضان عبد التواب ود. محمود فهمي حجازي ، د. هاشم عبد الدايم (القاهرة ١٩٨٦) ١ / ١٥٥ ، وابن جني : اللع في العربية . تحقيق فائز فارس (الكويت ١٩٧٢) ص ٩١ ، وابن يعيش : شرح المفصل (القاهرة د. ت) ٢ / ١٤١ ، ٥ / ٢٣٩ ، ٨٥ .

(٥) المبرد : المقتضب ٣ / ٣٢ .

(٦) السابق ٣ / ١٨٥ .

داخلاً في الجنس لبيان من سائر ذلك الجنس ، (١) .

وقد تردد نكر الجنس والنوع في تحديد النحاة للنكرة والمعرفة من بعد وكان سيبويه قد استخدم كلمة « أمة » . وقد وجدنا من النحاة المتأخرين من جمع بينهما فقال ابن مالك : « ما كان شائعاً في جنسه كحيوان أو في نوعه كإنسان فهو نكرة ، وماليس شائعاً فهو معرفة ما لم يكن مقدر الشياخ ، (٢) . والتقط ابن هشام القيد الأخير فضمه إلى الحد ومضى يفسر ذلك فقال : « فأما النكرة فهي عبارة عما شاع في جنس موجود أو مقدر ، فالأول كرجل فإنه موضوع لما كان حيواناً ناطقاً ذكراً . فكلما وجد من هذا الجنس واحد فهذا الاسم صادق عليه ، والثاني كشمس ، فإنها موضوعة لما كان كوكباً نهاريًا ينسخ ظهوره وجود الليل فحقها أن تصدق على متعدد ، كما أن رجلاً كذلك ، وإنما تخلف ذلك من جهة عدم وجود أفراد لها في الخارج ، ولو وجدت لكان هذا اللفظ صالحاً لها ، فإنه لم يوضع على أنه يكون خاصاً كزيد وعمرو ، وإنما وضع وضع أسماء الأجناس ، (٣) . ونقل ابن عقيل قول ابن هشام . ثم أضاف إليه قوله : « ... وكذلك قمر ، فأما قوله :

* فكانه لمعان برق أو شعاع شمس *

وقوله : وجوههم كأنها أعمار ، فإن العرب تنسب إليها التعدد

(١) السابق، نفسه ٤ / ٢٧٦ .

(٢) ابن مالك : شرح الكافية الشافية . تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريدي (مكة المكرمة ١٩٨٢) ص ٢٢٢ .

(٣) ابن هشام : قطر الندى وبل الصدى . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٦٦) ١٢ ص ١٢٨ .

باعتبار الأيام والليالي وإن كانت في حقيقتها واحدة ، (١) . وحدّ الفاكهي النكرة بقوله : « ما شاع في جنس موجود في الخارج تعدده أو مقدر وجوب التعدده فيه » (٢) ، ثم قال : « فالمعتبر في النكرة صلاحيتها للتعدد لا وجود التعدد » (٣) ، وقال : « ... فالمعتبر في المعرفة التعيين بعد الاستعمال ، وهذا معنى قولهم إنها كليات وضماً جزئيات استعمالاً » (٤) .

وانتهى الأمر بالمتأخرين من النحاة إلى التسليم المطلق بالشيوع والتعيين معياراً للحكم على الكلمة بالتنكير أو التعريف زاعمين أنه لا استدراك عليه ولا اعتراض فقال الصبان : « وقد عرف غير واحد المعرفة بما وضع لشيء بعينه ، ولا استدراك » (٥) وقال الخضري : « وقد عرف كثير النكرة بما شاع في جنس موجود كرجل أو مقدر كشمس ، والمعرفة بما وضع ليستعمل في شيء بعينه ، ولا اعتراض » (٦) .

على أن الناظر فيما حكموا له بالتعريف أو التنكير من الوحدات اللغوية المستعملة في سياق لغوي صحيح يترك أن ثمة اعتراضات على ما قدموه من تحديد يمكننا أن نجملها فيما يأتي :

١- جعل النحاة ما أطلقوا عليه « علم الجنس » معرفة مع إقرارهم

(١) ابن عقيل : شرح ابن عقيل ١ / ٩١ .

(٢) الفاكهي : الحدود في النحو . تحقيق : المتولي رمضان الدميري (القاهرة

١٩٩٣) ٢ ص ١٣٣ .

(٣) السابق نفسه .

(٤) السابق نفسه ص ١٣٥ .

(٥) الصبان : حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك (القاهرة د. ت)

١ / ١٠٦ .

(٦) الخضري : حاشية الخضري على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (القاهرة

١٩٤٠) ١ / ٥٣ .

بأنه شائع في أمته ، وحاولوا أن يفرقوا بين علم الشخص وعلم الجنس من جهة ، وبين علم الجنس واسم الجنس من جهة أخرى ، فانتهاوا إلى كلام غير مقنع ينقض آخره أوله . وقد وجد بعضهم المخرج من ذلك في القول بما أطلق عليه التعريف اللفظي . وسوف أورد الآن من النصوص ما يؤيد ذلك :

- يقول سيبويه : « هذا باب من المعرفة يكون فيه الاسم الخاص شائعاً في الأمة ؛ ليس واحد منها أولى به من الآخر ، ولا يتوهم به واحد دون آخر له اسم غيره ، نحو قولك للأسد : أبو الحارث وأسامة ... » (١)

- ويقول سيبويه أيضاً : « ... ومعناه إذا قلت : هذا أبو الحارث ، أو هذا ثعالة ، أنك تريد هذا الأسد وهذا الثعلب ، وليس معناه كمعنى زيد وإن كانا معرفة ... من قبل أنك إذا قلت هذا زيد فزيد اسم لمعنى قولك : هذا الرجل ؛ إذا أردت شيئاً بعينه قد عرفه المخاطب بحليته ، أو بأمر قد بلغه عنه قد اختص به دون من يعرف ... وإذا قلت هذا أبو الحارث فأنت تريد هذا الأسد ، أي هذا الذي سمعت باسمه ، أو هذا الذي عرفت أشباهه ، ولا تريد أن تشير إلى شيء قد عرفه بعينه قبل ذلك كمعرفته زيداً ، لكنه أراد : هذا الذي كل واحد من أمته له هذا الاسم ، فاختص هذا المعنى باسم ، كما اختص الذي ذكرناه بزيد . وإنما منع الأسد وما أشبهه أن يكون له اسم معناه معنى زيد أن الأسد وما أشبهها ليست بأشياء ثابتة مقيمة مع الناس فيحتاجوا إلى أسماء يعرفون بها بعضاً من بعض ، ولا تحفظ حلالها كحفظ ما يثبت مع الناس ويقتنونه ويتخنونه ... » (٢)

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ٩٣ .

(٢) السابق ٢ / ٩٣ - ٩٤ .

وظاهر أن مفهوم النكرة عند سيبويه ينطبق انطباقاً غير منقوص على علم الجنس ، وبرغم ذلك جرى كثير من النحاة في عنانه مرددين ماذكره من تعليل فقال المبرد : « هذا باب ما كان معرفة بجنسه لا بواحد ولم جاز أن يكون كذلك ، وذلك قولك للأسد أبو الحارث وأسامة يافتى ... فإن قال قائل : كيف صارت معارف واسم الواحد منها يلحق كل ما كان مثله ، فالجواب أن هذه الأشياء ليست مقيمة مع الناس ، ولا مما يتخذون ويقتنون كالخيل والنساء ونحو ذلك فيحتاجوا إلى الفصل بين بعضها وبعض فكان مجراها كمجرى الناس » (١)

فإنما لم تكن ثمة حاجة إلى فصل بعضها من بعض ، وإنما الفصل بها بين جنس وجنس ، وإنما كان اسم الواحد منها يلحق كل ما كان مثله ، فما الفرق بينها وبين النكرة ؟ ولعل الذي أوقع سيبويه والنحاة من بعده في هذا التناقض هو ما رآه من سلوك هذه الأسماء مسلك الأعلام في الاستخدام اللغوي (٢) ، فلم يكتفوا بالاعتماد على الشكل ، بل أرادوا أن يضموا إليه الدلالة أيضاً ليتم لهم القول بالتعريف أو التنكير شكلاً ودلالة .

على أن بعض النحاة قد أدركوا أن المعيار الدلالي (الشيع) / التعمين غير نافع في الحكم على هذا النوع من الأسماء بالتعريف ، وأقروا بأنه نكرة معنى ، لكنه يعامل معاملة المعارف على أساس شكلي لا دلالي ، فأثاروا بذلك مشكلة التعارض بين المعيارين الدلالي والشكلي .

(١) المبرد : المقتضب ٤ / ٤٤ - ٤٥ ، وانظر أيضاً ٤ / ٣١٩ وانظر أيضاً ، الجمل للزجاجي ص ١٩٧ ، والمفصل للزمخشري ص ٩ ، والبسيط لابن أبي الربيع ٣٠٢ / ١ .

(٢) انظر المبرد : المقتضب ٤ / ٣١٩ - ٣٢٠ .

يقول ابن يعيش : « اعلم أن العلم في هذا الفصل واقع على الجنس بخلاف ماتقدم من الأعلام فإنه واقع على الأشخاص كزيد وعمرو ، فالعلم فيه يختص بشخصا بعينه لا يشاركه فيه غيره ، و علم الجنس يختص كل شخص من ذلك الجنس يقع عليه ذلك الاسم نحو : أسامة و ثعالة ، فإن هذين الاسمين يقعان على كل ما يخبر عنه من الأسد ومن الثعلب ، وهي أعلام معارف لا محالة إلا أن تعريفها لفظي ، وهي من جهة المعنى تكررات لشياعها في كل واحد من الجنس وعدم اختصاصها شخصاً بعينه دون غيره ، (١) .

وقد حسم الرضي الأمر فرد المعيار الدلالي في الحكم على ما يسمى « علم الجنس » ، وردّ تفريقهم بين علم الجنس واسم الجنس واعتده ضرباً من التكلف ، وذكر أنه يستخدم استخدام المعرفة على أساس شكلي لدلالي ، قال : « ... والحامل للنحاة على هذا التكلف في الفرق بين الجنس و علم الجنس أنهم رأوا أسامة و ثعالة وأبا الحصين وأم عامر وأويسا لها حكم الأعلام لفظاً من منع صرف أسامة ، وترك إدخال اللام على نحو « أويس » وإضافة « أب » و « أم » و « ابن » و « بنت » إلى غيرها كما في الكنى في الأعلام من الأناسي ، وتجنّب عنها الأحوال ، وتوصف بالمعارف ، ومع هذا كله يطلق على المنكر بخلاف أسد و ثعلب و ضبع : فإن ذلك لا يجري مجرى الأعلام في الأحكام المذكورة » (٢) وهي هذا دليل لاشك فيه على أن المعيار الدلالي القائم على

(١) ابن يعيش : شرح للفصل ١ / ٣٥ ، وأبو حيان : ارتشاف الضرب ١ / ٤٩٦ ،
وخالد الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح ١ / ١٢٣ - ١٢٤ وابن عقيل :
شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ١ / ١٢٩ .
(٢) الرضي : شرح الكافية في النحو ٢ / ١٥٢ .

الشيوع / التعيين قاصر عن تحديد هذا النوع من الأسماء تعريفاً أو تنكيراً .

ومن اللافت للنظر أن يرد أبو حيان المعيارين معاً ، فليس أحدهما وحده يصلح عنده لأن يكون معياراً للحكم على علم الجنس بتعريف أو تنكير ، بل لابد من الاحتكام إلى الاستقراء في ذلك ، وهو ينتهي بنا إلى أن منها ما هو معرفة ، ومنها ما هو نكرة ، ومنها ما يعرف ويتكرر . وعلى ذلك لا يجوز إطلاق القول بأن علم الجنس معرفة ، لاعلى أساس دلالي ، ولا على أساس شكلي ولذلك عدل عن تسميتها أعلام أجناس إلى تسميتها أسماء أجناس . يقول : « وأسماء الأجناس لا يعرف تعريفها من تنكيرها إلا بالاستقراء ، فما هو معرفة : ابن أوى ، وابن قنطرة ، ومما هو نكرة ابن لبون وابن مخاض ، ومما هو معرفة ونكرة : ابن عرس ، وابن أوير في مذهب سيبويه خلافاً للمبرد في ابن أوير ، إذ زعم أنه نكرة فقط » (١)

٢- النحاة على أن أسماء الإشارة مبهمات ؛ لأنها تقع على كل شيء (لاحظ تجنبهم القول بأنها تكرات ، مع أن علة الإبهام عندهم هي عينها علة التنكير) ، وهي عندهم في حاجة إلى ما يفسرها من إشارة حسية (أي : سياق غير لغوي) ، أو اسم مقرون بال يأتي بعدها . وسوى بعضهم بينها وبين « أي » وصلة النداء في عدم الاكتفاء بها وحاجتها إلى بيان ، وبرغم ذلك عدوها النحاة معارف ، والأساس الذي بنوا عليه ذلك أنها تشير إلى الشيء دون سائر أمته . قال سيبويه : « وأما الأسماء المبهمة فنحو هذا وهذه وهذان وهاتان وهؤلاء وذلك وتلك ، وذانك وتانك

(١) أبو حيان : ارتشاف الضرب ١ / ٤٦٠

وأولئك وما أشبه ذلك . وإنما صارت معرفة لأنها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمته ، (١)

وقد حاولت أن أجد في كتاب سيبويه بيانا لمعنى الإبهام في أسماء الإشارة فوجدته يقول في معرض حديثه عن « أي » في النداء مشيراً إلى زعم الخليل أنها مبهمه كـ « هذا » : « ... وذلك قولك : يا أيها الرجل ، ويا أيها الرجلان ، ويا أيها المرأتان ، فأبي ههنا فيما زعم الخليل رحمه الله كقولك : يا هذا ، والرجل وصف له كما يكون وصفاً لهذا . وإنما صار وصفه لا يكون فيه إلا الرفع لأنك لا تستطيع أن تقول : يا أيّ وتسكت ، ولا يا أيها وتسكت ، لأنه مبهم يلزمه التفسير » (٢) .

ولم يتردد سيبويه في موضع آخر أن يضع « الإبهام » في مقابل « التخصيص » و « البيان » ، بل لم يتردد في أن يجعله في مرتبة النكرة ، ولم يكتف بذلك ، بل رتب عليه حكماً نحويًا هو قبح استخدام هذا النوع من الأسماء في الندبة ، قال : « ... ألا ترى أنك لو قلت : « واهناه » كان قبيحا ؛ لأنك إذا نديت فإنما ينبغي لك أن تفجع بأعرف الأسماء ، وإن تخص ولاتبهم ، لأن الندبة على « البيان » ، ولو جاز هذا لجاز : يا رجلاً ظريفاً ، فكنت له نادياً نكرة ، وإنما كرهوا ذلك ؛ لأنه تفاحش عندهم أن يحتلطوا وأن يتفجعوا على غير معروف ، فكذلك تفاحش عندهم في المبهم لإبهامه » (٣) .

وقد منع سيبويه كذلك أن يقع اسم الإشارة مختصاً لأنه غير

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ٥ ، وانظر المبرد : المقتضب ٤ / ٢٧٧ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٨٨ .

(٣) السابق ٢ / ٢٠٤ ، وانظر المبرد : المقتضب ٤ / ٢٦٨ .

معروف ، قال : «... وقال الفرزدق :

الم تر أنا بنى دارم زيارة منا أبو معبد

فإنما اختص الاسم هنا ليعرف بما حمل على الكلام الأول ، وفيه معنى الافتخار ... وأعلم أنه لا يجوز لك أن تبهم في هذا الباب فتقول : إنني هذا أفعل كذا وكذا ، ولكن تقول : إنني زيدا أفعل . ولا يجوز إلا أن تذكر اسماً معروفاً ، لأن الأسماء إنما تذكر توكيداً وتوضيحاً للمضمر وتنكيراً . وإذا أبهمت فقد جئت بما هو أشكل من المضمر ، ولو جاز هذا لجازت النكرة فقلت : إنا قوما . فليس هذا من مواضع النكرة والمبهم»^(١).

وقد منع النحاة أيضاً حذف حرف النداء مع المبهمة والنكرة . قال الزجاجي : لا يجوز حذف حرف النداء مع الأسماء المبهمة والنكرات لإبهامها ، لا يقال : هذا أقبل وأنت تريد يا هذا »^(٢) .

لقد ظل سيبويه يلمح إلى العلاقة الوثيقة بين « الإبهام » و«التنكير» ، ويتجنب التصريح بالتسوية بين المفهومين إلى أن وقع في المحذور بقوله : « ... فهذه الأسماء لما كانت مبهمة تقع على كل شيء ، وكثرت في كلامهم خالفوا بها ما سواها من الأسماء في تحقيرها وغير تحقيرها »^(٣) . وعجب بعد ذلك أن يظل متمسكاً بالمعيار الدلالي في الحكم على المبهمات بالتعريف ، بل هو يحتكم إليه في جعلها أخص من

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ٢٣٦

(٢) الزجاجي : الجمل ص ١٥٦ ، انظر ابن السراج : الأصول ١ / ٣٢٩ وابن الأثيري : أسرار العربية . تحقيق محمد بهجة البيطار (دمشق ١٩٥٧) ص ٢٢٨ .

(٣) سيبويه : الكتاب ٣ / ٢٨٠ - ٢٨١ .

المعرف بال ، ويمتنع على أساس من ذلك أن تكون المبهمات نعتاً لما فيه ال ، فقال : « وإنما منع « هذا » أن يكون صفة للطويل والرجل أن المخبر أراد أن يقرب به شيئاً ويشير إليه لتعرفه بقلبك وبعينك دون سائر الأشياء ، وإذا قال الطويل فإنما يريد أن يعرفك شيئاً بقلبك ، ولا يريد أن يعرفك بعينك ، فلذلك صار هذا ينعت بالطويل ، ولا ينعت الطويل بهذا ، لأنه صار أخص من الطويل حين أراد أن يعرفه شيئاً بمعرفة العين والقلب ، وإذا قال الطويل فإنما عرفه شيئاً بقلبه دون عينه فصار ما اجتمع فيه شيئان أخص » (١) .

وعلى أساس من هذا الفهم نسب إلى ابن السراج قوله إن اسم الإشارة أعرف المعارف . قال ابن يعيش : « وذهب قوم إلى أن المبهم أعرف المعارف ، ثم المضممر ، ثم العلم ، ثم ما فيه الألف واللام ، وهو رأي أبي بكر بن السراج ، واحتج بأن اسم الإشارة يتعرف بشيئين : بالعين والقلب ، وغيره يتعرف بالقلب لا غير ... » (٢) .

لقد شاع في النحاة من بعد ما قرره سيبويه للمبهمات من تعريف ، مع أنها تقع على كل شئ ، فقال ابن يعيش مثلاً : « والمبهم الذي هو اسم الإشارة يفسر بما بعده وهو اسم الجنس كقولك : هذا الرجل والثوب ونحوه . والمعنى بالإبهام وقوعها على كل شئ من حيوان وجماد وغيرهما ، ولاتختص مسمى دون مسمى ، هذا معنى الإبهام فيها ، لأن المراد به التكرير » (٣) . وكان ابن يعيش قد بين التعريف

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ٧

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٧ ، وانظر ابن الأنباري : أسرار العربية ص

٣٤٦ ، والرضي : شرح الكافية في النحو ١ / ٣١٢ ، والسيوطي : همع الهوامع

١ / ٥٥ ، والأزهري ، شرح التصريح على التوضيح ١ / ٢٧٦ .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٦ .

فيها بقوله: « ومعنى التعريف فيه أن يختص واحداً ليعرفه المخاطب بحاسة البصر ، وغيره من المعارف يختص واحداً ليعرفه بالقلب » (١) .
وظاهر أنه قصر الإشارة هنا على الأمور الحسية ، وأشار في موضع آخر إلى أن النحاة قالوا إن أسماء الإشارة تتعرف بشيئين: بالعين وبالقلب » (٢) .

وقد أخذ ذلك الرضي عن ابن يعيش فيما يبدو ، وزاده توضيحاً فقال : « وإنما سميت مبهمات وإن كانت معارف لأن بحضرة المتكلم أشياء كثيرة يحتمل أن تكون مشاراً إليه ... » (٣) .

وقد علق فارنر ديم W. Diem على ما رآه النحاة من أن أسماء الإشارة مبهمة تقع على كل شيء قائلاً : « ولن يكون لهذا الرأي أى قيمة إلا إذا نزعنا أسماء الإشارة من سياقها في الجملة ، ووضعناها وحدة معجمية معزولة في مقابل الأسماء ، أى : إذا جمعنا مجال الإشارة Zeigfeld ومجال الرمز Symbolfeld في اللغة - على نحو غير جائز - في صعيد واحد ، وعالجنا الكلمات الإشارية Zeigwörter من وجهة نظر المجال الرمزي . في ضوء هذا قد يكون من الجائز أن تكون أسماء Namen تقع على أي شيء » (٤) .

والحق أن ما قاله سيبويه والنحاة من بعده لا يمكن أن يفهم منه أن

(١) السابق نفسه . وانظر المبرد : المقتضب ٤ / ٢٧٧ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ١٢٦ وانظر سيبويه : الكتاب ٢ / ٧ .

(٣) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٣٠ ، وانظر ابن أبي الربيع : البسيط في شرح

جمل الزجاجي ، تحقيق د. عياد الثبتي (بيروت ١٩٨٦) ١ / ٣٠٨ .

(٤) انظر كتابي : الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوروبية (الإسكندرية ١٩٩٤) ص ٩٩ .

أسماء الإشارة في ذاتها معرفة ، بل معرفة ، أي أن التعريف ليس لها ، بل لما تدخل عليه ، وإذا كانت علة تعريفها هي الإشارة كما يقولون ، فالإشارة ليست إلى ذاتها ، بل إلى غيرها ليتعرف بها . ويبدو لي أن اضطراب النحاة في هذا النوع من الكلمات الإشارية راجع فيما أرى إلى ثلاثة أمور :

أولها : أنهم توهموا أن ما يشير إلى شيء يجعله معروفاً يكون هو نفسه معروفاً، وهذا غير صحيح ، فالألف واللام مثلا وسيلة تعريف ، لكن أحداً لم يقل إنها معرفة ، بل هي للتعريف .

ثانيها : أنهم خلطوا بين استعمالين للإشاريات : أحدهما أن تكون وسيلة من وسائل التعريف ، أو محمداً اسمياً noun determiner بمصطلح المحدثين . والثاني أن تستخدم أسماء ، فالنحاة لم يفرقوا بين استخدام الإشارة في نحو : هذا الرجل كريم ، وهذا كريم ، والفرق بينهما واضح ، إذ تستخدم الإشارة في المثال الأول لتعيين الاسم الذي يليها بإشارة حسية إليه ليعرف من آخرين حاضرين ، ولهذا تجدهم يقولون إن الألف واللام فيه لاتدلان على عهد ذهني أو تكري ، بل على الحضور المفهوم من الإشارة إليه وقت الحديث . أما المثال الثاني فقد حذف فيه المشار إليه استغناءً بالإشارة إلى حاضر وقت الحديث ، وأسندت الوظيفة النحوية التي كانت له إلى الإشارة فاستخدم استخدام الأسماء .

على أن النحاة يحللون المثالين تحليلاً مختلفاً ، فهم لا يفرقون بين « هذا » و « هذا » في المثالين ، إذ هو فيهما مبتدأ عندهم ، وهم لا يعدون هذا في المثال الأول - كما يفعل غيرهم من نحاة اللغات الأخرى - محمداً سابقاً Pre-determiner لمحدد آخر هو الألف واللام لتقوية

التعريف ، بل يعتبرونه عنصراً أساسياً في الجملة ، والرجل تابع له . قال ابن السراج : « وإذا قلت : هذا الرجل ولم تذكر بعد ذلك شيئاً ، وأردت بالآلف واللام العهد فالرجل خبر عن هذا ، فإن جئت بعد الرجل بشئ يكون خبراً جعلت الرجل تابِعاً لهذا كالنعت ؛ لأن المبهمة توصف بالأجناس ، وكان ما بعده خبراً عن هذا فقلت : هذا الرجل عالم ، وهذه المرأة عاقلة » (١) .

على أنني وجدت عند سيبريه ما يدل على وعيه بذلك ، لكنه لم يترجم عنه ببيان واضح ، ولم يلتفت إلى هذا الوعي الصحيح - فيما أعلم - أحد من النحاة من بعده إلا التفاتاً عارضاً عند بعض النحاة . قال سيبريه : « وأعلم أن المبهمة توصف بالأسماء التي فيها الألف واللام ، لأنها والمبهمة كشيء واحد ... وكأنك أردت أن تقول مررت بالرجل ، ولكنك نكرت « هذا » لتقرب به الشيء وتشير إليه » (٢) . وقال بعد ذلك : « وإنما جرت المبهمة هذا المجرى لأن حالها ليس كحال غيرها من الأسماء » (٣) . وظاهر أن سيبريه يشير هنا إلى استعماله محددًا للاسم سابقاً على محدد آخر هو الألف واللام ، أما استعماله استعمال الأسماء فقد أورده سيبريه في مواضع عديدة (٤) .

وقد ظهر هذا الوعي بأن التعريف ليس لاسم الإشارة بل للمشار إليه عند بعض النحاة ، فقال السيوطي : « ثم المشار إليه والمنادى كلاهما في مرتبة واحدة ، لأن كلا منهما تعريفه بالقصد » (٥) . فقد

(١) ابن السراج : الأصول في النحو ١ / ١٥٠ .

(٢) سيبريه : الكتاب ٢ / ٧ وما بعدها .

(٣) السابق ٢ / ١٦٥ .

(٤) أنظر على سبيل المثال : الكتاب ٢ / ٧٧ وما بعدها .

(٥) السيوطي : معجم الهوامع ١ / ٥٦ .

أثبت التعريف كما ترى للمشار إليه لا للمشار به وهو اسم الإشارة ،
وجعل التعريف للمنادى لا لأداة النداء ، فكانه يضع الإشارة وأداة النداء
في مرتبة واحدة ؛ إذ كل منهما وسيلة من وسائل التعريف . ونسب
السيوطي أيضاً في الأشباه والنظائر إلى ابن يعيش قوله : « واسم
الإشارة وصلة إلى نقل الاسم من تعريف العهد إلى تعريف الحضور
والإشارة » (١) .

وما ينبغي أن نتخذ من ذلك دليلاً على أن لابن يعيش أو السيوطي
موقفاً مختلفاً عن النحاة ، بل موقف كل منهما موقفهم ، وما ذكره
لا يعدو أن يكون « وعياً » بالأمر بدر عنه دون قصد إليه .

ثالثها : أنهم وضعوا لأنفسهم قاعدة تقول : « لا يجوز أن يجتمع
على الاسم الواحد معرفان . قال المبرد : « ولا يدخل تعريف على
تعريف » (٢) . وقال الزجاجي : « ولا يجتمع على الاسم تعريفان
مختلفان » (٣) ، وقرر ذلك في موضع آخر فقال : « ... لأن الاسم لا يتعرف
من وجهين مختلفين ولا متفقين ، بل من وجه واحد أبداً ، إذا عرف » (٤) .
وقال السيرافي : « فلا يجتمع تعريفان على اسم واحد » (٥) . فحين
وجدوا اسم الإشارة يليه اسم مقترن بال لم يستطيعوا القول بأن اسم
الإشارة آلة تعريف دخلت على الألف واللام ، وهي آلة تعريف عندهم ،

(١) السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو (بيروت ١٩٩٤) ١ / ٢٨٩ .

(٢) المبرد : المقتضب ٤ / ٢٣٩ .

(٣) الزجاجي : الجمل ص ٧٦ .

(٤) السابق ص ١٤٤ .

(٥) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ٢ / ١٧٦ ، وانظر : ابن الأنباري : أسرار
العربية ص ٢٢٨ ، وابن يعيش ٣ / ١٤١ ، وابن هشام : مغني اللبيب ٢ / ٥١١ .

قبل منهم اجتماع معرفين على اسم واحد في غير هذا الموضع لم يقبله هنا . فقد ذكر ابن يعيش أن فينة اسم من أسماء الزمان بمعنى الحين وهو معرفة علم : فلذلك لم ينصرف ، وأورد ما حكاه أبو زيد من قولهم : الفينة بعد الفينة ، ثم قال : « وهذا يكون مما اعتقب عليه تعريفان : أحدهما بالألف واللام والآخر بالوضع والعلمية » (١) . وقد نسب أبو حيان هذا القول إلى أبي علي الفارسي فقال : « وجعل الفارسي فينة والفينة مما نعاقب عليه التعريفان : العلمية وال » (٢) . وذكر ابن يعيش أيضاً أن أسماء الأعداد في نحو قولنا : ستة أكثر من خمسة برأيد ، وثمانية ضعف أربعة ، أعلام على هذه المفادير ، ثم قال : وقد يدخلها اللام فيقال : الثلاثة نصف الستة ، والسبعة تعجز عن الثمانية واحداً ، فتكون مما اعتقب عليه تعريفان (٣) . وقال الرضي : « وعندني أنه يجوز إضافة العلم مع بقاء تعريفه ، إذ لا منع من اجتماع التعريفين إذا اختلفا كما ذكرنا في باب النداء » (٤) .

هذا إلى أنهم جعلوا الإشارات أسماءً في كل استعمالاتها لقبولها بعض العلامات الشكلية للأسماء ورتوعها موقع الأسماء ، فلم يستسيحوا اعتبارها أداة أو حرفاً يفيد التعريف في سياق محدد ، مع أنهم قبلوا ذلك في « ما » فأثبتوا لها وظيفة اسمية ووظيفة حرفية مع أنها تقبل في السياق الاسمي بعض العلامات الشكلية للأسماء . فضلاً عن أنهم قبلوا في ضمير الفعول أن يفرغوا من اسميته ومن محلو

(١) ابن يعيش ، شرح المفصل ١ / ٣٩ .

(٢) أبو حيان الأندلسي : ارتشاف الضمير ١ / ٥٥ .

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل ١ / ٣٩ .

(٤) الرضي : شرح الكافية ١ / ٣٧٤ .

الإعرابي ، فلم لا يكون المشار به كذلك في بعض السياقات التي تقتضي ذلك ؟

لقد سلفت الإشارة إلى أن نحاة بعض اللغات الأخرى أثبتوا دخول محدد على محدد آخر في لغاتهم على اختلاف في استخدام الإشارات بينها وبين اللغة العربية ، فالإشارات في العربية تدخل على ما فيه الألف واللام ، ولا يجوز في الإنجليزية ولا الألمانية أن تدخل على أداة تعريف ، لكن يجوز فيهما أن تسبق الإشارات أو تلحق بمحدد غير مركزي^(١)، فنحاة هذه اللغات لا يجيزون دخول محدد مركزي على آخر مركزي . ويرى فليميغ أنه إذا وقعت في حالة خاصة أداتان متجاورتان في جملة فإن كلامتهما تنتمي إلى تركيب أساسي Grundstruktur مختلف ، فالأصل أنه لا يجوز في الألمانية نحو *das mein Buch* * لكن إذا وجد نحو *alle meine Bücher* فهذا معناه أن هذه العبارة تعود إلى تركيبين أساسيين ضم بعضهما إلى بعض ثم حذف العنصر المكرر ، فأصلها *alle Bücher + meine Bücher* (٢) وقد اعتمد أيزنبرج على تنافي الأدوات والضمائر بمعنى أن أحدهما لا يدخل على الآخر في إثبات استخدام الضمائر استخدام المحددات (٣) .

ومثل ذلك يمكن أن يقال في العربية ، فالمحددات المركزية فيها لا يدخل أحدها على الآخر مثل ال والإضافة المحضة ، ويمكن أن نتخذ من التنافي القائم بين الألف واللام والتنوين دليلاً على أن التنوين محدد من محددات الاسم .

(١) Krámský , The Article and the concept of Definiteness . p. 66 .
(٢) Flämig , W : Grammatik des Deutschen (Berlin 1991) S. 473 .
(٣) Hentschel & Weydt : Handbuch der deutschen Grammatik . S . 203.

على أن بعض اللغات الأخرى كالإيطالية مثلاً تقبل دخول محددين مركزين على الاسم ، فالعبارة La mia case صحيحة رغم دخول محدد مركزي هو la (= ال) على محدد مركزي آخر هو Mia (= ياء المتكلم)^(١). وإذا أردنا أن ننقل العبارة حرفياً إلى اللغة العربية كانت (ال بيت ي) وهي صحيحة في الإيطالية خاطئة في العربية .

ومما ينبغي الالتفات إليه أن المبهمات عند النحاة لا تقتصر على ما يصطلحون عليه بأسماء الإشارة ، بل يدخل فيها عندهم الأسماء الموصولة ، والفاظ أخرى سنعرض لها إن شاء الله . يقول سيبويه : « الأسماء المبهمة : هذا ، وهذان ، وهذه ، وهاتان ، وهؤلاء ، وذلك ، وذانك ، وتلك ، وتانك ، وتيك ، وأولئك ، وهو وهي وهما وهنّ وما أشبه هذه الأسماء »^(٢) . ويقول ابن يعيش : « ... ومن ذلك الأسماء المبهمة وهي ضربان : أسماء الإشارة والموصولات »^(٣) فأسقط الضمائر وأثبت الموصولات .

وموقف النحاة من الموصولات والضمائر هو موقفهم من أسماء الإشارة من حيث الحكم عليها بالتعريف مع ما فيها من إبهام ، يقول ابن يعيش جاعلاً المبهمات من الموصولات في مرتبة المبهمات من الإشارات : « والقسم الثاني من المبهمات وهو الاسم الموصول كالذي والتي ومن وما ... وكلها معارف بصلاتها فبيانها بما بعدها أيضاً ، إلا أن أسماء الإشارة تبين باسم الجنس ، والموصولات تبين بالجمل بعدها ... وكلها

(١) Götze & Hess- Lüttich : Grammatik der deutschen Sprache. (١) (München 1992).

(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ٧٧ .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٦ .

مبهما ، لأنها لا تختص مسمى دون مسمى ، كما كانت أسماء الإشارة كذلك^(١). بل إنَّ منهم من جعل بعض الموصولات أبهم من بعض . قال السهيلي : «أما «ما» الموصولة فهي في قول النحويين بمعنى الذي ، وليس كذلك ، وإن وافقت الذي في أكثر أحكامها ؛ فإنها مخالفة لها في المعنى وفي بعض الأحكام . أما المعنى فإنَّ «ما» اسم مبهم في غاية الإبهام حتى إنها تقع على كل شيء ، وتقع على ما ليس بشيء ، والمعدوم ليس بشيء»^(٢) .

وقد اختلفوا في ما جعل الموصول معرفة ، فقال بعضهم إنه معرفة بالعهد الذي في الصلة ، ولذلك ينبغي أن تكون الجملة التي تقع صلة معلومة عند المخاطب فلا يجوز أن تقول : جاءني الذي قام إلا لمن عرف قيامه وجهل مجيئه^(٣) . واعترض على ذلك بعض النحاة فقال : إن الصلة كالجزء من الموصول وجزء الشيء لا يعرفه^(٤) . ورأى آخرون أنها معرفة بال لازمة ، وردَّ بـ (من) و (ما) ونحوهما ، فأجيب بأنه في معنى ما فيه ال ، فأورد « أي » فإنه لا يمكن تقدير ال ، وأجيب بأن تعريفها بالإضافة^(٥) .

(١) السابق ٥ / ٨٦ ، وانظر الفصل للزمخشري ص ١٤٦ .

(٢) السهيلي : نتائج الفكر في النحو . تحقيق د. محمد إبراهيم البنا (القاهرة ١٩٨٤) ص ٢١٥ .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ١٥٤ . وعبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز . تحقيق محمود محمد شاكر (القاهرة ١٩٨٩) ص ٢٠٠ .

وأبو حيان الأندلسي : ارتشاف الضرب ١ / ٢٥٠ ، والسيوطي : همع الهوامع ١ / ٥٥ .

(٤) تيس العليمي : حاشية الشيخ تيس على شرح التصريح على التوضيح ١ / ٩٤ .

(٥) السابق ١ / ٩٤ .

والنحاة مضطربون في تحديد وظيفة الاسم الموصول ووظيفة
جملته ، فعلى حين يرون أن جملة الصلة وظيفتها تعريف الموصول
يروون في الرقت نفسه أنها صفة لاسم معرفة والموصول وصلة لذلك .
يقول ابن الأنباري : « فإن قيل : فلم أسخلت الذي والتي في الكلام ؟ قيل
توصلاً إلى وصف المعارف بالجمل ، (١) .

وإذا كان الاسم الموصول وصلة إلى وصف المعارف بالجمل كما
يقولون فكيف يكون هو نفسه صفة للمعرفة قبله لا الجملة ، وإذا كانت
الجملة بعده صفة للاسم المعرفة قبله فكيف يكون اسماً معرفة ؟ وهم
فضلاً عن ذلك يرون الجملة نكرة ، فكيف تكون نكرة وتمنع الاسم
التعريف ، ولا يمكن القول بأنها معرفة ، لأنها لو كانت كذلك لاستغنت
عن الموصول وكانت بذاتها صفة للمعرفة .

لقد حاول ابن يعيش جاهداً أن يجيب عن بعض ما قدمنا من
اعتراضات ، فلم يصل إلى كلام مقنع ، وكان مخرجه من ذلك أن فرغ
إلى الشكل ليحل به الإشكال فانتهى إلى أن الموصول صفة في اللفظ
والغرض الجملة قال : « ... وذلك أن الذي وأخواته مما فيه لام إنما يدخل
توصلاً إلى وصف المعارف بالجمل ؛ وذلك أن الجمل نكرات ، إلا ترى
أنها تجري أوصافاً على النكرات نحو قولك : مررت برجل أبوه زيد ،
ونظرت إلى غلام قام أخوه أوصافاً ، وصفة النكرة نكرة . ولولا أن
الجمل نكرات لم يكن للمخاطب فيها فائدة ، لأن ماتعرف لا يستفاد ،
فلما كانت تجري أوصافاً على النكرات لتنكرها أراسا أن يكون في
المعارف مثل ذلك ، فلم يسخ أن تقول : مررت بزيد أبوه كريم وأنت تريد
النعته لزيد ، لأنه قد ثبت أن الجمل نكرات ، والنكرة لا تكون وصفاً

(١) ابن الأنباري : أسرار العربية ص ٢٧٩ .

للمعرفة ، ولم يمكن إدخال لام التعريف على الجملة ؛ لأن هذه اللام من خواص الأسماء ، والجملة لاتختص بالأسماء ... فجاءوا حينئذ بالذي متوصلين بها إلى وصف المعارف بالجمال ، فجعلوا التي كانت صفة للذكورة صفة للذي وهو الصفة في اللفظ والغرض الجملة ... (١) .

أما الضمير فقد عده سيبويه في المبهمات كما أشرنا وجعله معرفة برغم إبهامه ، وعلل تعريفه بقوله : « وإنما صار الإضمار معرفة لأنك إنما تضممر اسماً بعدما تعلم أن من يحدث قد عرف من تعني وما تعني ، وأنت تريد شيئاً يعلمه » (٢) . وقد اختلف النحاة في ضمير الغائب العائد إلى نكرة أنكرة هو أم معرفة على ثلاثة مذاهب أوردها ابن هشام : أحدها أنه نكرة مطلقاً ، والثاني أنه معرفة مطلقاً ، والثالث أنه إن عاد إلى نكرة مختصة كان معرفة ، وإن عاد إلى نكرة محضة كان نكرة (٣) . وأما ضمير المتكلم وضمير المخاطب فليسا معرفة بذاتهما ، بل بقريته الحضور ؛ إذ دون حضور يجوز أن يقع الأول على كل متكلم ، وأن يقع الثاني على كل مخاطب ؛ من أجل ذلك ذكر أبو حيان أن الضمائر كلييات وصفاً جزئيات استعمالاً ، معللاً ذلك بقوله : « ألا ترى أن كل متكلم يقول أنا ، وكل مخاطب يقال له أنت ، وكل غائب يقال له هو » (٤) .

وقد انتهى السهيلي إلى نتيجة خالف بها أغلب النحاة حين نكر أن المضمرات والمبهمات معارف بالصيغة لا بالقريته ، قال : « والمبهم

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ١٤١ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ٦ .

(٣) ابن هشام : شنور الذهب . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة دوت) ص ١٧٢ ، وانظر السيرافي : شرح كتاب سيبويه ٢ / ٣٧٧ ، والرضي : شرح الكافية ٢ / ١٢٨ ، ٣٠٠ .

(٤) أبو حيان الأندلسي : ارتشاف الضرب ١ / ٤٦١ .

والمضمر عندي تعريف لفظي؛ لأن صيغة الإضمار والإبهام لفظ بمنزلة الألف واللام ، (١)

ومما يدخل في المبهمات عندهم « ما » الاسمى باستعمالاتها الأربعة : موصولة ، وموصوفة ، ونكرة في معنى شيء ، ومضمنة معنى الاستفهام أو الجزاء . يقول الزمخشري : قال صاحب الكتاب : و « ما » إذا كانت اسماً على أربعة أوجه : موصولة كما ذكر وموصوفة كقوله :

ربما تكره النفوس من الأم — — — — — رله فرجة كحل العقال

ونكرة في معنى شيء من غير صلة ولا صفة كقوله تعالى : (فنعمًا هي) ، وقولهم في التعجب ما أحسن زيداً ، ومضمنة معنى الاستفهام أو الجزاء كقوله تعالى : « وما تلك بيمينك يا موسى » ، « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » وهي في وجوهها مبهمة تقع على كل شيء ، (٢) .

وعلى الرغم من هذا الإبهام فلا خلاف بين النحاة في أن بعض أنواعها معرفة كالموصولة ، وبعضها يجوز فيه التنكير والتعريف ، وبعضها لا يجوز فيه إلا التنكير . فالتى لا يجوز فيها إلا التعريف الموصولة ، كما قدمنا ، وأما التي يجوز أن تكون معرفة ونكرة فالمضمنة معنى الاستفهام والجزاء ، فقد نقل ابن السراج عن المبرد قوله : «وسألت أبا عثمان عن « ما » و « من » في الاستفهام والجزاء معرفة هما أم نكرة فقال : يجوز أن يكونا معرفة وأن يكونا نكرة » (٣) ثم قال :

(١) السهيلي : نتائج الفكر ص ٢١٥ .

(٢) الزمخشري : المفصل ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٣) ابن السراج : الأصول ٢ / ١٩٦ .

«والدليل على أنهن نكرات أنك تسأل بـ (من) سؤالاً شائعاً ، ولو كنت تعرف ما تسأل عنه لم يكن للسؤال عنه وجه » (١) . وأما التي لا يجوز فيها إلا التنكير فهي « ما » التعجيبية في نحو : ما أحسن زيداً . قال السيوطي : « والأصح أنها نكرة تامة بمعنى شيء ، خبرية قصد بها الإبهام ، ثم الإعلام بإيقاع الفعل على المتعجب منه : لاقتضاء التعجب ذلك » (٢) . وقال الفارسي مساوياً بين « ما » في قولك : ما أحسن زيداً ، و « ما » في قوله تعالى : « بثسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا » : « وقد جاءت « ما » غير موصولة في غير الجزاء والاستفهام وذلك إذا كانت نكرة كالتي في قوله عز وجل : « بثسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا » فما هذه عندهم نكرة يقدرونها : بثس شيئاً اشتروا به أنفسهم كفرهم ، كما يقدرون ما أحسن زيداً : شيء أحسن زيداً » (٣) .

وقد جعل سيبويه من المبهمات أيضاً ما أسماء الحروف غير المتمكنة وهي : أين ، ومتى ، وكيف ، وحيث ، وإذ ، وإذا ، وقبل ، وبعد . قال : « فهذه الحروف وأشباهها لما كانت مبهمه غير متمكنة شبهت بالأصوات ، وبما ليس باسم ولا ظرف » (٤) . ثم قال مبيناً معنى الإبهام فيها : « ... فلما كانت لا تمكّن وكانت تقع على كل حين شبهت بالأصوات وهل ويل » (٥) .

ومن المبهمات عندهم الفاظ هي أشد إبهاماً من غيرها وأكثر توغلاً

(١) السابق ٢ / ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) السيوطي : جمع الهوامع ٢ / ٩٠ .

(٣) أبو علي الفارسي : التعلية ١ / ١١٠ .

(٤) سيبويه : الكتاب ٣ / ٢٨٥ .

(٥) السابق ٢ / ٢٨٦ وانظر الفارسي : التعلية ٢ / ٩٦ وابن يعيش شرح المفصل ٢ / ٤١ ، ٤٠ ، ٤١ / ١٠٤ وما بعدها .

فيه ، فهي نكرة لا تتعرف أبداً . ومن هذه الألفاظ « غير » . قال المبرد :
« ... فأما مررت برجل غيرك فلا يكون إلا نكرة ، لأنه مبهم في الناس
أجمعين » (١) وهم مع ذلك يجيزون أن تقع مبتدأ (٢) .

وقد ضم النحاة إلى « غير » ألفاظاً أخرى ، وأطلقوا عليها جميعاً
مصطلح « الأسماء المتوغلة في الإبهام » ومنها مثل وشبه . قال الرضي :
« وإنما يتعرف بالإضافة المعنوية ما ليس من الأسماء المتوغلة في الإبهام
كغير ومثل وشبه » (٣) . وأشار إلى أن بعضها أشد إبهاماً من بعض
فقال : « ولإبهام غير لا تتعرف بالإضافة ، وهي أشد إبهاماً من مثل » (٤)
ولكنه لم يوضح لنا كيف يكون ذلك في الاستعمال .

ومن النحاة من حاول أن يقدم تعليلاً دلالياً لبقاء بعض هذه
الألفاظ على تنكيرها برغم إضافتها إلى المعرفة فقال ابن يعيش : « وقد
جاءت أسماء أضيفت إلى المعارف ولم تتعرف بذلك للإبهام الذي فيها ،
وإنها لا تختص واحداً بعينه ، وذلك غير ومثل وشبه ، فهذه نكرات ، وإن
كن مضافات إلى معرفة ، وإنما نكرهن معانيهن ، وذلك لأن الأسماء لما
لم تنحصر مغايرتها ومماثلتها لم تتعرف ، إلا ترى أن كل من عداه فهو
غيره ، وجهة المماثلة والمشابهة غير منحصرة : فإذا قلت : مثلك ، جاز
أن يكون مثلك في طولك وفي لونك وفي علمك ، ولن يحاط بالأشياء
التي يكون فيها الشيء مثل الشيء ، فلذلك من الإبهام كانت نكرات » (٥) .

(١) المبرد : المقتضب ١ / ١٥٨ .

(٢) ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعراب . تحقيق محمد محيي الدين عبد
الحميد (القاهرة ١٩٨٧) ١ / ١٥٩ .

(٣) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٣١ . وانظر حاشية الشيخ تيس على شرح
التصريح على التوضيح ١ / ٩١ .

(٤) السابق : ٢ / ١٠٣ .

(٥) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ١٢٥ .

ومعهم من عدّ الأفعال في المبهمات النكرات ، بل جعلها في غاية الإبهام . قال ابن يعيش : « الأفعال في غاية الإبهام والتنكير ، فلا يحصل بالإضافة إليها تعريف ولا تخصيص » (١) . وجاء في الأشباه والنظائر للسيوطي : « والأفعال أقعد شيء في التنكير ، وأبعده عن التعريف » (٢) .

ويدخل في المبهمات عندهم « كم » لأنها اسم للعدد المبهم ، وابن السراج يعدها - مع كيف - من النكرات التي لا يجوز أن تتعرف ، ومع ذلك فقد نقلوا عن سيبويه أنها تقع في نحو كم مالك مبتدأ وهي نكرة وما بعدها معرفة . قال أبو علي الفارسي : « قال (يعني سيبويه) : فإذا قلت كم جريباً أرضك فأرضك مرتفعة بـ (كم) لأنها مبتدأ والأرض مبنية عليها . قال أبو علي : جعل المبتدأ كم رهن نكرة ، وأرضك خبره وهو معرفة . وقد كان أبو بكر أجاز مرة في كيف زيد أن يكون زيد الخبر وكيف للمبتدأ » (٣) .

فمصطلح الإبهام عندهم كما ترى برغم دلالة على التنكير تدخل فيه المعارف كما تدخل النكرات ، وهم يقبلون أن تقع المبهمات موقع المعارف في الابتداء فتكون مناط الحكم مع أن هذا يصانم قاعدة مستقرة عندهم تقول : إن الحكم على المجهول لا يفيد .

٣- يعد النحاة في المعارف الفاظاً تدل على العموم ، والعموم عندهم يدل على التعيين وتحصل به الفائدة ، مع أن ما يدل على العموم قد يفسر بنكرة محضة عندهم . قال الرضي : « وكذلك كلوات الشرط

(١) السابق ٧ / ١١ .

(٢) السيوطي : الأشباه والنظائر ١ / ١٣٨ .

(٣) أبو علي الفارسي : التعلية ١ / ٣٠٢ .

نحو : من صمت نجا ، تحصل الفائدة فيها بسبب التعيين الحاصل من العموم لا بسبب تخصصها بشئ ... فقولك : من قام قمت أي : إن مَنْ قام ، أي : إن إنسان قام كقوله تعالى : « إن امرؤ هلك » . وقولك : من ضربت ضربته ، أي : من ضربت ، أي : إن إنساناً ضربت ... » (١) ، ففسر « من » كما ترى بإنسان ، وهو نكرة محضة ، بل تجاوز ذلك إلى القول بأن التعيين حاصل من العموم لا من التخصص ، وهو نقض لفكرة التعيين كما حددها .

ومن الألفاظ الدالة على العموم « كل » ، والعموم في كل « يشمل عندهم أفراد المنكر ، والمفرد المجموع ، وأجزاء المعرف . قال ابن هشام : « كل » اسم موضوع لاستفراق أفراد المنكر نحو : (كل نفس ذائقة الموت) والمعرف المجموع نحو : (وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) ، وأجزاء المفرد المعرف نحو : كل زيد حسن ، فإذا قلت : أكلت كل رغيف زيد كانت لعموم الأفراد ، فإن أضفت الرغيف إلى زيد صارت لعموم أجزاء فرد واحد » (٢) . وهم برغم ذلك لا يجعلون الدلالة على العموم في « كل » سبباً للتعين كما فعلوا في « من » الشرطية ، بل جعلوها معرفة على أسس غير دلالية منها : أنها في نحو : مررت بكل قائماً مقطوعة عن الإضافة لفظاً لا معنى ، أي : أنها معرفة بنية الإضافة ، وبوقوع الحال منها ، وبامتناع دخول الألف واللام عليها . قال ابن يعيش : وأما كل وبعض فمحذوف منهما المضاف إليه وهو مراد ، يدل على ذلك أنهما معرفتان ، ولولا إرادة المضاف إليه فيهما لكانا نكرتين نحو قولك : غلام

(١) الرضي : شرح الكافية ١ / ٩٠

(٢) ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ١٩٣ .

زيد إذا أردت المعرفة ، و غلام إذا أردت النكرة والذي يدل على تعريفهما وقوع الحال منهما نحو قولك : مررت بكل قائماً ، والحال إنما تكون من المعرفة ، ولا تكون الحال من النكرة إلا على ضعف وضرورة . أما امتناع الألف واللام من الدخول عليه فإنما كان لأجل أنه معرفة ؛ والألف واللام لا يدخلان على المعارف ، هذا هو الأصل ، (١) .

وقد نكر صاحب شرح التصريح على التوضيح أن أبا علي الفارسي رفض أن تكون نية الإضافة سبباً في تعريف كل وبعض ، والزم من قال بتعريفهما أن يقول إن نصفاً وسدساً وثلاثاً وربعاً ونحوهما معارف؛ لأنها في المعنى مضافات ، وهي نكرات بإجماع (٢) .

على أن بعض النحاة نظر في استعمال «كل» فوجدوها - مع إقرار النحاة بأنها معرفة - لا توصف بمعرفة ؛ فلا يجوز : مررت بكل قائم ، ولا يجوز أيضاً أن توصف بنكرة ؛ فلا يجوز أن يقال : مررت بكل قائم ، على أن تكون قائم صفة لكل ، فلم يجد مخرجاً من ذلك إلا القول بأنها نكرة لفظاً (ولهذا امتنع أن ترصف بالنكرة !!) . يقول ابن أبي الربيع : ولا يجوز أن يقال : مررت بكل قائم ؛ لأن كلاً وإن كانت معرفة ، لأنها في تقدير الإضافة ، فلفظها لفظ التنكير ، فكرهوا قبح اللفظ . ولم يقولوا مررت بكل قائم ؛ لأن النكرة لا تجري على المعرفة صفة ، وكل معرفة ؛ لأنها في تقدير كلهم . فاللفظ منع من أن يقال : مررت بكل القائم ، والمعنى منع من أن تقول : مررت

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ٢٠ ، وخالد الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح ٢ / ٢٤ وما بعدها .

(٢) خالد الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح ٢ / ٢٤ فما بعدها .

بكل قائمين ، فالمحافظة على زوال القبح في هذه الصنعة توجد كثيراً^(١).

ولما وجدوا أن « كلا » تضاف إلى النكرات كما تضاف إلى المعارف فلا يكون فرق في المعنى أرجع بعض النحاة ذلك إلى استخفاف العرب وضع النكرة موضع المعرفة . يقول ابن أبي الربيع أيضاً : « ... ونظير هذا قولهم : كل رجل يفعل كذا ، الأصل : كل الرجال ، ثم استخفوا فوضعوا المفرد موضع الجمع ، والنكرة موضع المعرفة »^(٢). وهي علة لاتغنى في تفسير إضافتها إلى النكرة والمعرفة دون فرق يذكر في المعنى .

ورأى بعض النحاة أن الأصل في « كل » الإضافة إلى اسم منكور شائع في جنسه من حيث إنه يقتضي الإحاطة بالجنس ، فإذا أضفته إلى جمع معرفة كان قبيحاً إلا في الابتداء ، لأنه إذا كان مبتدأ كان خبره بلفظ الأفراد نحو: كل إخوتك ذاهب تنبيهاً إلى أن أصله أن يضاف إلى نكرة . قال : لأن النكرة شائعة في الجنس ، وهو إنما يطلب جنساً يحيط به ، فكأنما قلت : كل واحد من إخوتك ذاهب ، فيدل أفراد الخبر على المعنى الذي هو الأصل ، وهو إضافته إلى اسم مفرد نكرة^(٣) . وتظل الإحاطة ملازمة لـ « كل » إذا كانت توكيداً ، ولكنها إحاطة بالمؤكد خاصة ، جنساً شائعاً كان أو معهوداً معروفاً^(٤).

وظاهر أن العموم الذي جعلوه علة تعريف من الشرطية لم يستقم

(١) ابن أبي الربيع : البسيط ٢ / ٧٤٤

(٢) السابق ٢ / ٨٤٢

(٣) السهيلي : نتائج الفكر ص ٢٧٦ فما بعدها

(٤) السابق ص ٢٧٨

لهم أن يجعلوه علة تعريف « كل » ، بل جعلوا تعريفها أمراً منوطاً بالشكل لا بالدلالة .

على أن من الحق أن ننكر أن من النحاة من توقف أمام بعض استعمالات « كل » مسلماً بأن المعنى يقتضي التنكير : قال ابن أبي الربيع في قوله تعالى : « إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً » : « ليس المعنى على التعريف » (١) . وما يقال في كل يصح أن يقال في جميع وسائر الفاظ العموم (٢) .

وغريب بعد ذلك أن يجعل بعضهم العموم في الأسماء الموضوعه له أو غير الموضوعه له مختصاً بالنكرات . قال المرادي : « ... وأما الزائدة (يقصد من) فلها حالتان : الأولى أن يكون دخولها في الكلام كخروجها ، وتسمى الزائدة لتوكيد الاستفراق ، وهي الداخلة على الأسماء الموضوعه للعموم ، وهي كل نكرة مختصة بالنفي ، نحو : ما قام من أحد ، فهي مزيدة هنا لمجرد التوكيد ، لأن ما قام من أحد وما قام أحد سيان في إفهام العموم دون احتمال . والثانية أن تكون زائدة لتفيد التنصيص على العموم ، وتسمى الزائدة لاستفراق الجنس ، وهي الداخلة على نكرة لاتختص بالنفي نحو : ما في الدار من رجل ، فهذه تفيد التنصيص على العموم...» (٣) .

٤- اضطرب النحاة في القول بالتعريف أو التنكير على ما أطلق

(١) ابن أبي الربيع : البسيط ٢ / ١٠٤٥

(٢) انظر : السهيلي : نتائج الفكر ص ٢١٥

(٣) المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني . تحقيق ضة محسن . بغداد (١٩٧٦) ص ٣١٦

عليه ابن السراج « أسماء الأزمئة » (١) ، فما عده نحاة منهم معرفة عده آخرون نكرة وحاول بعض آخر أن يوفق بين الأمرين فقال : هي نكرة لفظاً معرفة معنى ، ورأى آخرون أن تعريفها وتنكيرها سيان ، ومن النحاة من فرق بين الأزمئة المتماثلة فقال بالتعريف في أحدها وبالتنكير في الآخر على أسس غير دلالية . وإليك البيان :

١- قال سيبويه : « اعلم أن غدوة وبكرة جعلت كل واحدة منهما اسماً للحين ، كما جعلوا أم حبين اسماً للدابة معرفة ... فأما ضحوة وعشية فلا يكونان إلا نكرة » (٢) . ونلاحظ في كلام سيبويه أنه جعل غدوة وبكرة معرفة علماً على الحين علمية جنس لا علمية شخص ، وأنه جعل كلا من ضحوة وعشية نكرة ، مع أنهما يماثلان غدوة وبكرة في أن كلا منهما يمكن أن يكون علماً للحين ، وأن علميته - إن سلمنا بها - علمية جنسية كعلمية غدوة وبكرة .

وإذا كان تعريفهما بالعلمية الجنسية كما زعم سيبويه فينبغي أن يكونا معرفة أبداً سواء أكانا من يوم معين أم لم يكونا . وقد أوضح ذلك أبو حيان بقوله : « والمشهور أن منع صرفهما للعلمية الجنسية كأسامة ، فيستويان في كونهما أريد بهما أنهما من يوم معين أو لم يرد بهما التعيين » (٣) . لكن الزجاج - فيما نكر أبو حيان - يرى أنهما معرفتان إن أردت بهما بكرة يومك وغدوة يومك ، وإن لم ترد فهما نكرتان ، فتعريفهما عنده مرتبط بإرادة التعيين (٤) .

(١) ابن السراج : الأصول ١ / ١٩٢

(٢) سيبويه : الكتاب ٣ / ٢٩٣ .

(٣) أبو حيان الأندلسي : ارتشاف الضرب ٢ / ٢٢٦ فما بعدها .

(٤) السابق نفسه ، وانظر : المبرد : المقتضب ٤ / ٣٥٤ ، والفارسي : التعليقة ٣ / ١٠٦ .

والسؤال الآن لم لم ينطبق الأمر نفسه على ضحوة وعشية ١٩
الظاهر أنهم عنوا كلاً منهما نكرة على أساس غير دلالي هو ورودها
مصروفة ، فالصرف هو الذي جعلها عندهم نكرة ، والمنع من الصرف
هو الذي جعل كلا من غدوة وبكرة معرفة ، من ثم وقع التعارض عندهم
بين المعيارين الدلالي والشكلي . يقول ابن أبي الربيع : « وأما غدوة فإن
كانت ليوم بعينه فهي متصرفة غير منصرفة ... وأما عشية إذا كانت
ليوم بعينه فإنها تنصرف ... وذلك أنك أردت عشية بعينها يعرفها
مخاطبك ويعينها ، فقياسها أن تكون بالالف واللام ، أو بالإضافة ، لكنه
أطلق لفظ النكرة وهو يريد معينا . ويوجد هذا في كلام العرب . إلا ترى
أنهم قالوا : رأيت عام أول فتأويله أول من عامنا ، فهذا اللفظ سائغ لكل
عام قبل عامنا ، لكن العرب أرادت العام المتصل بعامنا ، فأتت باللفظ
الذي يقتضي العموم والشياخ وهي تريد عاماً معينا » (١) .

والى هذا التفسير مال السيوطي أيضاً فقال : « ... ومنه ما عين
من بكرة ، وسحر ، وسحير ، وضحى ، وضحوة ، وصباح ، ومساء ،
وليل ، ونهار ، وعتمة ، وعشاء ، وعشية . فهذه الأسماء نكرات أريد
بها أزمان معينة ، فوضعت موضع المعارف وإن كانت نكرة ، ولذلك
لا تنصرف ، وتوصف بالنكرة : تقول : أتيتك يوم الخميس ضحى
مرتفعة ، ولقيتك يوم الجمعة عتمة متأخرة » (٢) .

وحاول بعضهم أن يثبت لها خصوصاً من وجه تستعمل به معرفة
فيعطى لفظها ما تعطاه المعارف ، وشياعاً من وجه تستعمل به نكرة

(١) ابن أبي الربيع : البسيط ١ / ٤٨٦ .

(٢) السيوطي : همع الهراميم ١ / ١٦٦ .

فيعطى لفظها ما تعطاه النكرات ، لكنهم اضطروا في النهاية إلى التسليم بأنه لا فرق بين استعمالها نكرة واستعمالها معرفة ؛ فالمراد واحد . نقل السيوطي عن ابن مالك قوله : « لما كان لهذا الصنف من الأعلام خصوص من وجه وشياع من وجه جاز في بعضها أن يستعمل تارة معرفة فيعطى لفظه ما يعطاه من المعارف الشخصية ، وأن يستعمل نكرة فيعطى لفظه ما يعطاه من النكرات ... فجاء من ذلك فينة ، وبكرة ، وغدوة ، وعشية . تقول : فلان يأتينا فينة بلا تنوين ، أي : الحين دون الحين ، وفينة بالتنوين أي : حيناً دون حين ، وكذلك يتعهدنا غدوة وبكرة وعشية بلا تنوين إذا قصدت الأوقات المعبر عنها بهذه الأسماء ، وبالتنوين أي : بكرة من البكر ، والمراد واحد ، وإن اختلف التقديران»^(١).

ويذكر السيوطي أيضاً أن النحاة يسمون بأن غدوة في معنى غداة لكنهم يعدون « غدوة » في المعارف ، وغداة في النكرات ، وكذلك أسامة وأسد ونحوها فالتعريف فيها مساوٍ للتذكير من حيث المعنى . يقول : «إن قيل : ألا تعلم أن معك من الأسماء ما يكون فائدة معرفته كفائدة نكرته البتة ، وذلك قولهم غدوة هي في معنى غداة ، إلا أن غدوة معرفة وغداة نكرة ، وكذلك أسد وأسامة ، وثعلب وثعالة ، ونثب ونثالة وأبو جعدة وأبو معطة ، فقد تجد هذا التعريف المساوي لمعنى التذكير فاشياً في غير ما نكرته ، ثم لم يمنع ذلك أسامة وثعالة وأبا جعدة وأبا معطة ونحو ذلك أن يعدّ في الأعلام ، وإن لم يخص الواحد من جنسه ... قيل هذه الأعلام وإن كانت معنياتها نكرات فقد يمكن في كل واحد منها أن

(١) السيوطي : معجم الهوامع ١ / ٧٢ .

يكون معرفة صحيحة ... (١)

وظاهر أن المعيار الدلالي لا يعتد به في هذه الأسماء ونحوها ، بل
المعول على المعيار التركيبي .

ب- أكثر النحاة على أن غداً دالاً على اليوم الذي بعد يرمك نكرة ،
وأن أمس دالاً على اليوم الذي قبل يومك معرفة ، ومن هؤلاء ابن
السراج الذي يرى أن أمس وقع في أول أحواله معرفة ، فمعرفة قبل
نكرة ، وغد ليس كذلك ، لأنه غير معلوم فهو مستقبل لانعرفه (٢) .
ومنهم السيرافي الذي ينص على أن غداً منكور مع أنك تعرف به اليوم
الذي يلي يومك حتى لا يظن السامع غيره . ويستوي عنده أن تقول :
آتيك غداً ، وآتيك الغد (٣) .

ويجيب ابن يعيش عن سؤال سائل : لم يجب تعريف أمس ولم
يجب تعريف غد وهما سواء في أن أولهما يدل على اليوم الذي قبل
يومك والثاني يدل على اليوم الذي بعد يومك قائلاً : « فالجواب أن أمس
قد حضر وشوهد فحصلت معرفته بالمشاهدة فأغنى ذلك عن علامة ،
وليس كذلك غد ، فأقاموا المشاهدة في أمس مقام التعريف ، ولم يكن
في غد مثل ذلك ما يقوم مقام علامة التعريف ، فهو نكرة حتى تدخل
عليه العلامة » (٤) .

وهذا القول من ابن يعيش لا يعدو أن يكون بسطاً لما أوجزه ابن

(١) السيوطي : الأشهاد والنظائر ١ / ١٣٨ .

(٢) ابن السراج : الأصول ٢ / ١٤٢ فما بعدها .

(٣) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١٥٠ .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٤ / ١٠٧ .

السراج - وفي الحق أن ما أورده ليس إلا مغالطة منطقية : لأن أمس لم يشاهد ، بل شوهد ما وقع فيه من بعض الأحداث ، ودلالة أمس ليست على ما وقع فيه من أحداث ، بل على زمن محدد هو اليوم الذي يسبق يومك الذي أنت فيه ، ولا فرق بينه وبين غد من هذا الجانب : لأن غداً أيضاً يدل على زمن محدد هو اليوم الذي يلي يومك الذي أنت فيه . وإذا كان كذلك فلا يزال السؤال بلا جواب ، ولا يزال الاعتراض على المعيار الدلالي قائماً .

على أن من النحاة من نص على أن « غداً » معرفة مخالفاً من سبقت الإشارة إليهم من النحاة ، فقد قال ابن أبي الربيع في عبارة موجزة حاسمة : « وغد معرفة»^(١)

ج- ذكر النحاة أن سحر يستخدم اسماً وظرفاً فإن كان اسماً جاز أن يستخدم نكرة وكان مصروفاً ، وجاز أن يستخدم معرفة وكان تعريفه بالآلف واللام وتجري عليه عندئذ حركات الإعراب الثلاث . أما إذا كان ظرفاً فلا يكون إلا معرفة ويكون ممنوعاً من الصرف . يقول ابن السراج : « فمن ذلك (سحر) إذا كان معرفة غير مصروف تعني به سحر يومك لا يكون إلا ظرفاً »^(٢) . ويقول أبو علي الفارسي : « سحر إذا تعرف بالآلف واللام صار اسماً ولم يكن ظرفاً ، وارتفع وانجرّ وانتصب ، فهو مادام على هذا الحد جرت عليه الحركات الثلاث ، وإذا صار معرفة للإشارة به إلى سحر اليوم بعينه لم ينصرف للعدل عن الآلف واللام»^(٣) . ويقول ابن أبي الربيع : « وأعلم أن سحر إذا أردته ليوم بعينه

(١) ابن أبي الربيع : البسيط ١ / ٤٨٢ .

(٢) ابن السراج : الأصول ١ / ١٩٢ .

(٣) أبو علي الفارسي : التعليقة ٣ / ٩٥ فما بعدها .

لم تصرفه فقلت : خرجت يوم الجمعة سحر غير منون ، فإن نكرته ولم ترده من يوم بعينه صرفته كقولك : خرجت سحراً ، فإن كان « سحر » ليوم بعينه وليس فيه ألف ولام فهو غير متصرف ولا منصرف ، منعه من الانصراف العدل والتعريف ، عدل عن طريقة قياس تعريفه وهي الألف واللام أو الإضافة إلى أن جعل علماً لهذا الوقت المخصوص ، (١) .

ولا نكاد نفهم كيف يكون الظرف ، وهو ما يقع فيه الحدث ، علماً . وإذا سلمنا بذلك فلم كان هذا مقصوراً على سحر من نون الظروف جميعاً ، فما يقوله النحاة في تعليل علميته ينطبق على سائر ظروف الزمان ، فما الفرق مثلاً بين أن يقال آتيتك يوم الجمعة سحر ، وآتيتك يوم الجمعة ضحوة أو ظهراً أو عصرًا أو عشاءً أو عشية ، وكلها ظروف دالة على أوقات بعينها من يوم بعينه . إن السبب فيما يبدو لاصلة له بمفهوم التعيين ، ولكنهم اضطروا إلى القول بذلك حين لم يجدوا علة واضحة لمنع « سحر » من الصرف ، فاضطروا إلى القول بعلتين إحداهما العلمية ، والأخرى العدل عن الألف واللام ، وقد اعترف بهذا « الاضطراب » الرضي إذا قال : « ... بلى ، وجد سحر من جملة هذه الأسماء المعينة ممنوعاً من الصرف ، فاضطربنا إلى تقدير العلمية فيه بعد العدل عن اللام (٢) . »

على أن من النحاة من رأى تعريفه بشبه العلمية لا بالعلمية ذاتها ؛ لأنه فيما يرى تعريف بغير أداة ، ومنهم من رأى تعريفه بالغلبة على ذلك الوقت المعين ، وبعضهم يراه بنية الألف واللام ، وآخرون رأوه بنية

(١) ابن أبي الربيع : البسيط ١ / ٤٨٤ فما بعدها .

(٢) الرضي : شرح الكافية ١ / ١٨٨ .

الإضافة وكلها محاولات لتفسير منعه من الصرف دون نظر في دلالة على التعيين أو الشيوخ . وقد لخص السيوطي هذه الآراء بقوله : «..وقيل إنه امتنع (من الصرف) للعدل والتعريف المشبه للعلمية من حيث كونه تعريفاً بغير أداة ، بل بالغلبة على ذلك الوقت المعين ، وليس تعريفه بالعلمية ، لأنه في معنى السحر ، وتعريف العلمية ليس في مرتبة تعريف الـ . وقيل إنه منصرف وإن لم ينون لنية الـ ، والأصل السحر ، وعليه السهيلي . وقيل لنية الإضافة ؛ إذ التقدير : سحر ذلك اليوم . وقيل إنه مبني على الفتح لتضمنه معنى حرف التعريف » (١) .

بل إن ابن يعيش ذهب إلى أن تعريفه من وجه آخر غير وجوه التعريف الخمسة ، وأن منعه من الصرف كان لهذا السبب ، أي لتعريفه من جهة أخرى غير جهات التعريف المعروفة . ولم يذكر لنا هذه الجهة . قال : « والذي منع سحر من التصرف أنه يعرف من غير جهة التعريف ؛ لأن وجوه التعريف خمسة : تعريف الإضمار ، وتعريف العلمية ، وتعريف الإشارة ، وتعريف اللام ، وتعريف الإضافة إلى واحدة من هذه المعارف ، وليس التعريف في سحر واحداً منها ، فلما تعرف من غير جهة التعريف المعهود خرج عن نظائره فمنع من الصرف لذلك » (٢) .

وواضح أن الذي أدى بهم إلى هذا الاضطراب هو تفسير منع سحر من الصرف ، فاضطروا إلى القول بأنها معرفة مع أنهم حكموا بالتنكير على نظائرها ، ثم اختلفوا فيما هي به معرفة على النحو الذي قدمه

(١) السيوطي : همع الهوامع ١ / ٢٨ ، وانظر ابن عصفور : المقرب ١ / ٢٨٠ ، وأبوحيان : ارتشاف الضرب ٢ / ٢٢٦ فما بعدها .
(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ٤٢ .

السيوطي ، ونظر ابن يعيش فلم يرها صالحة لتكون واحدة من المعارف التي حددها النحاة ، فزعم أن تعريفها بالمخالفة ، أي بمخالفة نظائرها ، وهو زعم غريب يكشف عن عدم قبوله لما زعمه النحاة لها من تعريف ، لكن ذلك لم يؤد به إلى الحكم بتنكيرها كما كان متوقعا ، لأن عليه عندئذ أن يعود إلى أصل المشكلة فيفسر لم تمتنع من الصرف ، فلم يجد بداً من القول بأنها معرفة ، وأنها نوع آخر من المعارف لا يعرفه النحاة !

فأما العدل فأمره غريب أيضاً : لأنهم يقولون إنه عدل عن ذات الألف واللام (أي : السحر) ، ويقيسون العدل فيه على العدل في نحو « عمر » عن « عامر » يقول المجاشعي : « ... فإن قيل : فلم لم ينصرف (يعني سحر) في المعرفة ؟ قيل امتنع من الصرف للتعريف والعدل ، وذلك أنه كان حقه أن يستعمل بالألف واللام فعدل عن ذلك كما عدل عمر عن عامر ، وذكروا عن زافر ، فامتنع الصرف لهذا وللتعريف » (١)

والقياس كما ترى مع الفارق : إذ إن عمر ونحوه اسم علم عندهم معدول عن اسم علم . أما سحر فظرف معدول عن اسم مقترن بالألف واللام . وقد رأيناهم يفرقون بين سحر ظرفاً ، والسحر اسماً . نقل السيوطي عن أبي حيان قوله : « وما ذكره الجمهور من أنه عدل عن الألف واللام مشكل ، لأنه يشعر بأنه تضمن تعريفها ؛ لأن معنى المعدول عنه يتضمنه المعدول له ، ألا ترى أن عمر تضمن معنى عامر ، وحذام تضمن معنى حائمة ، ومثنى تضمن معنى اثنين اثنين ، وفسق

(١) المجاشعي : شرح عيون الإعراب . تحقيق د. عبد الفتاح سليم (القاهرة ١٩٨٨) ص ١٣٧ ، وانظر : ابن عصفور : المقرب ١ / ٢٨٠ .

تضمن معنى فاسق ؟ وهذه حقيقة العدل . وإذا كان كذلك فكيف يكون سحر على معنى ما فيه الألف واللام ويكون علما ؟ وتعريف العلمية لايجامع تعريف اللام ، فكذلك لايجامع تعريف ماعدل منها . انتهى^(١) .

٥- حاول بعض النحاة أن يفسر تنكير « شمس » و « قمر » على أساس دلالي ، فافتراض دلالة كل منهما على جنس مقدر شياعه ، وإن خالف الواقع ذلك ، بل إنهم عدوا دلالة كل منهما على معين أمراً طارئاً . يقول ابن أبي الربيع : « وقد يطرأ على النكرة اختصاص عارض كما طرأ على الشمس والقمر ، لأن « شمساً » إنما وضعت على كل ماكان على هذا الشكل ، لكنه اختص بهذا الموجود من حيث لم يوجد مثله ، وكذلك « قمر » . ولو كان شمس وقمر قد وضعا لهذين الموجودين باختصاص من غير نظر لشياع لم يصح دخول الألف واللام عليهما ، كما لايدخلان على أسماء الأعلام ^(٢) .

وأنت ترى أنه فزع إلى المعيار الشكلي يثبت تنكير كل منهما حين وجد المعيار الدلالي لا يكفي لإثبات ذلك . ومن قبله قرر سيبويه : « أنه ليس عربي يقول : هذه شمس فيجعلها معرفة ؛ إلا أن يدخل فيها ألفاً ولاماً ، لكنه أجاز في سياق آخر أن تكون في نحو قولك : عبد شمس معرفة حين يراد بها شخص معين ؛ لأنه لايستقيم أن يكون ما أضفت إليه نكرة ^(٣) .

ولم يختلف ابن هشام موقفاً عن ابن أبي الربيع ، غير أنه صاغ

(١) السيوطي : همع الهوامع ١ / ٢٩ .

(٢) ابن أبي الربيع : البسيط : ١ / ٣٠١ .

(٣) سيبويه : الكتاب ٣ / ٢٩٥ .

القضية صياغة منطقية جافة لا علاقة لها بالواقع اللغوي ، فنذكر أن الشمس وضعت وضع أسماء الأجناس ، فكان حقها أن تصدق على متعدد ، لكنه تخلف من جهة عدم وجود أفراد لها في الخارج ، وكأنه بذلك يقرر أن الرموز اللغوية توضع أولاً ، ثم يوجد ما تدل عليه . يقول : « فاما النكرة فهي عبارة عما شاع في جنس موجود أو مقدر ، فالأول كرجل ، فإنه موضوع لما كان حيواناً ناطقاً نكراً ، فكلمة وجد من هنا الاسم واحد فهذا الاسم صادق عليه . والثاني كشمس فإنها موضوعة لما كان كوكباً نهاريًا ينسخ ظهوره وجود الليل ، فحقها أن تصدق على متعدد ، كما أن رجلاً كذلك ، وإنما تخلف ذلك من جهة عدم وجود أفراد لها في الخارج ، ولو وجدت لكان هذا اللفظ صالحاً لها ، فإنه لم يوضع على أن يكون خاصاً كزيد وعمرو ، وإنما وضع وضع أسماء الأجناس» (١) .

وقد جرى الصبيان في عنان مع ابن هشام وابن أبي الربيع من قبله فرأى أن شمسا وقمرًا وإن عينا فردين فهما نكرتان ، لأن التعيين لأمر عرض بعد الوضع وهو عدم وجود غيرهما من أفراد المسمى ، وأما بحسب الوضع فلا تعيين فيهما (٢) .

على أن لعبد القاهر الجرجاني موقفاً ينفرد به عن هؤلاء النحاة : إذ رأى أن لافرق في الاستعمال بين قولنا شمس والشمس ، وقمر والقمر ، وهلال والهلال ، لأن الاسم لا يكون نكرة حتى يعم شيئين فأكثر ، وليس هنا شيئان يعمهما اسم الشمس أو القمر أو الهلال . قال :

(١) ابن هشام : قطر الندى ص ١٢٨ .

(٢) الصبيان : حاشية الصبيان ١ / ١٢٧ .

«وكثيراً ما يتفق في كلام الناس ما يوهم ضرباً من التنكير في الشمس
كقولهم : شمس صيفية ، وكقوله :

* والله ما طلعت شمس ولا غربت *

ولافرق بين هذا وقول المتنبي :

لم ير قرن الشمس في شرقه فشكت الأنفس في غربه

ويجيء التنكير في القمر والهِلال على هذا الحد ، فمنه قول بشار:

ألمي لا تأت في قمـر ————— بحديث ، وأتق الدرعا

وتوق الطيب ليلتـنـا ————— إنه واش إذا سطعا

فهذا بمعنى لا تأت في وقت قد طلع فيه القمر . وهكذا قول عمر

ابن أبي ربيعة

وغاب قمير كنت أرجو غيويه وروح رعيان ونوم سمر

ظاهرة يوهم أنه كقولك « رجل » وليس كذلك في الحقيقة ؛ لأن

الاسم لا يكون نكرة حتى يعم شيئين فأكثر ، وليس هنا شيئان يعمهما

اسم القمر ، وكذا قول أبي العتاهية :

تسر إذا نظرت إلى هلال ونقصك إذ نظرت إلى الهلال

ليس المنكر غير المعرف ، (١)

وإنما أوردت نص عبد القاهر - على طوله - ليتبين به فرق ما بين

الرأي المبني على افتراض منطقي لما ينبهي أن يكون ، ثم خالفه ما هو

(١) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة . تحقيق محمود محمد شاكر (القاهرة :
١٩٩١) ص ٣١١ فما بعدها .

كائن ، والرأي المبني على تتبع الاستعمال العربي للظاهرة ووصفها
وصفاً دقيقاً .

على أن عبد القاهر لم يجد بأساً في جمع هلال مثلاً على أهلة ؛
لأن النظر فيه إلى تعدد مرات ظهوره لا إلى ذاته ، ولا في أن توصف
الشمس بأنها صيفية ، لأن تلك حالة من حالاتها حين تكون في الصيف
أشد حرارة منها في سائر الفصول (١) .

وجدير بالذكر أن نحاة بعض اللغات الأخرى يرون أن ما يقابل
الشمس في الإنجليزية مثلاً أو الألمانية لا يكون إلا معرفة ؛ إلا أن يكون
حديث عن شمس مختلفة في كتاب في الفلك ونحوه (٢) .

٦- لم يستطع النحاة أن يقدموا تفسيراً دلالياً مقنعاً لعدد من
الألفاظ عدوها في المعارف ومنها نزالٍ وبادٍ ، ورويداً وغيرها (٣) .

ونريد الآن أن نعرض لثلاث مسائل تتصل بالمعيار الدلالي
الشيوع / التعيين اتصالاً وثيقاً ، ولا يكاد يغفل ذكرها أحد من النحاة ؛
إحداها أن النكرة أصل للمعرفة ، وثانيتها ؛ التدرج الهرمي للنكرات
والمعارف ، والثالثة هل التنكير والتعريف يتحدد بأصل الوضع أو
بالاستعمال ؟

(١) السابق نفسه ص ٣١٢ .

(٢) - Close , English as a foreign language p. 50

- Hentschel & Weydt , Handbuch der deutschen Grammatik . S .

208 .

(٣) انظر : السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١٢٦ . وابن هشام : مغني اللبيب

٢ / ٦٨٠ . وابن يعيش : شرح المفصل ٤ / ٥٠ .

أولاً : النكرة أصل المعرفة :

مذهب سيبويه وجمهور البصريين أن التنكير قبل التعريف ، فالتنكير أصل والتعريف فرع . وقد علل سيبويه ذلك تعليين أحدهما يعتمد على أساس دلالي والثاني يعتمد على أساس شكلي . فأما الذي يعتمد على أساس دلالي فيظهر في قوله : « ... لأن الأشياء إنما تكون نكرة ثم تعرف » (١) وأما الذي يعتمد على أساس شكلي فيظهر في قوله : « ... لأن النكرة أول ، ثم يدخل عليها ما تعرف به » (٢) .

وقد أوضح السيرافي التعليل المبني على أساس دلالي بقوله : «...والتعريف حادث لأن الاسم نكرة في أول أمره ، مبهم في جنسه ، ثم يدخل عليه ما يفرده بالتعريف حتى يكون اللفظ له دون سائر جنسه ، كقولك : رجل ، فيكون هذا اللفظ لكل واحد من الجنس ، ثم يحدث عهد المخاطب لواحد من الجنس بعينه ، فيقول : الرجل فيكون مقصوراً على واحد بعينه ، وتقول : زيد ، ومعناه الزيادة من قولك : زاد يزيد زيداً ، ثم سمي به رجل فتعرف حيث جعل لشخص بعينه ، فكان التعريف حادثاً » (٣) .

وأورد السيرافي أيضاً توضيحاً للتعليل الثاني فيما نقله عن المبرد في مسألة بناء « الآن » فقال : « ... وحكم الأسماء أن تكرر منكورة شائعة في الجنس ثم يدخل عليها ما يعرفها من إضافة أو الف ولام » (٤) .

(١) سيبويه : الكتاب ١ / ٢٢ .

(٢) السابق ٣ / ٢٤١ .

(٣) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ٢ / ٣٥ .

(٤) الساهل ١ / ١٧٩ ، وانظر المبرد : المقتضب ٤ / ٢٧٦ .

وقد تردد صدي هذين التعليلين في كتابات كثير من النحاة الخالفين (١) .

أما الكوفيون ومعهم ابن الطراوة فقد خالفوا عن ذلك ، وروا أن من الأسماء ما لازم التعريف كالمضمرات ، وما التعريف فيه قبل التنكير كمررت بزيد وزيد آخر ، وما التنكير فيه قبل التعريف ، وقالوا : هذا التقسيم يبطل مذهب سيبويه (٢) .

على أن الشلوبيين فيما أورد السيوطي ردّ على من قالوا بأن ذلك يبطل مذهب سيبويه بأن سيبويه لم يثبت إلا حال الوجود ، لا ما تخيله هؤلاء ، قال : وإنما نظرت إلى حال الوجود كان التنكير قبل التعريف ؛ لأن الأجناس هي الأول ، ثم الأنواع ، ووضعها على التنكير (٣) . فهو يفسر موقف سيبويه كما ترى تفسيراً أنطولوجياً Ontological (٤) .

وهم حين يقررون أن النكرة أصل المعرفة يقرون بأن الاستعمال قد يجرى على غير الأصل فيطرا على بعض المعارف تنكير عارض ، وأن

(١) انظر مثلاً ابن السراج : الأصول ١ / ١٤٨ ، وابن الأنباري : أسرار العربية ص ٣٠٨ ، وابن يعيش : شرح المفصل ١ / ٥٩ ، والأزهري : شرح التصريح على التوضيح ١ / ٢٠٩٤ ، والسيوطي : الأشباه والنظائر ٢ / ٤٨ ، والصبان : حاشية الصبان ١ / ١٠٦ ، والخضري : حاشية الخضري على شرح ابن عقيل (القاهرة ١٩٤٠) ١ / ٥١ .

(٢) أبو حيان : ارتشاف الضرب ١ / ٤٥٩ ، وانظر : السيوطي : همع الهوامع ١ / ٥٥ .

(٣) السيوطي : همع الهوامع ١ / ٥٥ .

(٤) انظر

- Gätje , H. Zur Begriff der Determination und Indetermination im Arabischen . Arabica XVII (1970) S. 237.

الاسم عندهم قد يكون نكرة فيعرف ثم ينكر ، وقد دفع هذا ابن السراج إلى تقسيم النكرة قسمين : أحدهما أن يكون نكرة في أول أحواله مثل رجل وفرس ، والثاني أن يصير الاسم نكرة بعد أن كان معرفة كأن يسمى إنسان عمراً فيكون معروفاً بذلك في حيه ، ثم يسمى شخص آخر بهذا الاسم فيعرض الاشتراك ، فإن قال قائل : رأيت عمراً قيل له : أي العميرين هو ؟ (١) ويرى السهيلي التعريف أقوى من التنكير مع أنه فرع عليه : ذلك بأن المعرفة تدل عنده على معنيين : ذات رتعيين ، أما النكرة فلا تدل إلا على معنى مفرد هو الذات ، فكان مايدل على معنيين أقوى مما يدل على معنى واحد . ويبدو أن الرجل أعجب بهذه الفكرة فعقب عليها قائلاً : وهذا بديع لتأمله ، وأصل نافع لمحصله (٢).

ثانياً : التدرج الهرمي :

ذكر النحاة للتنكير درجات تبدأ بالأشيع وتنتهي بالأقل شيوعاً ، وذكروا كذلك للتعريف درجات تبدأ بالأقل تعريفاً وتنتهي بأعرف المعارف (أو : أرفعها) (٣). وتلتقي قمة التدرج الهرمي للتنكير بقاعدة التدرج الهرمي للتعريف عند منطقة يطلق عليها النحاة التخصيص ، فقل إن شئت إنه هرم واحد يبدأ بأشيع درجات التنكير وينتهي بأرفع

(١) ابن السراج : الأصول ١ / ١٤٨ .

(٢) السهيلي : نتائج الفكر ص ٢١٦ .

(٣) اختار السيوطي القول بأربع المعارف خلافاً لقول النحويين أعرف المعارف وقال : لأن أفعال التفضيل لا يبني من مادة التعريف (همع الهوامع ١ / ٥٦) . وقال الصبان : فيه صوغ أفعال التفضيل من الرباعي المجهول وهو شاذ من وجهين والسالم التعبير بأعلاها أو أرفعها (حاشية الصبان ١ / ١٠٧) لكن الغريب أن أياً منهما لم يلتزم ذلك فيما يكتب ، بل عاد إلى القول بأعرف المعارف!

درجات العريف ، وهو ما يمكن أن يسمى كما يقول جيتيه هرماً من المفاهيم Bergriffspyramide المتقاربة (١) .

ومن اللافت للنظر أن نجد من نحاة اللغات الأخرى من يأخذ بالتدرج الهرمي للتذكير والتعريف موافقاً للنحاة العرب كل الموافقة ، فإد. حددي لاجراسيري في بحث له عنوانه " De l'article " نشر عام ١٨٩٦ درجات للتذكير والتعريف في تدرج هرمي يبدأ بما يسميه أنكر النكرات . Surindetermination وينتهي بما أسماه أعرف المعارف Surdetermination (٢) .

فإذا نظرنا في حديث نحاة العربية عن التدرج الهرمي للتذكير وجدناه جهداً عقلياً منطقياً لاطائل من وراءه irrelevant ولا اثر له في الاستعمال ؛ إذ أشيع النكرات كأخصها في الاستعمال اللغوي (٣) . وقد جعل كثير من النحاة كلمة « شيء » قاعدة الهرم ، قال المبرد لأنه مبهم في الأشياء كلها (٤) . وقال ابن جنبي . « وهو يقع على الموجود والمعدوم جميعاً . قال سبحانه : إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، فسامها شيئاً وإن كانت معدومة » (٥) . وجعل بعض النحاة كلمة « مذكور » قاعدة الهرم (٦) .

(١) Gätje , H. : Zur Begriff der Determination und Indetermination im Arabischen . S. 247 .

Krámský , J (1972) p. 31

(٢) انظر :

(٣) Gätje , H. : Zur Begriff der Determination und Indetermination im Arabischen . S. 250 .

(٤) المبرد : المقتضب ٢ / ١٨٦ .

(٥) ابن جنبي : اللمع في العربية . تحقيق فائز فارس . (الكويت ١٩٧٢) ص ٩٨ .

(٦) الصبان : حاشية الصبان ١ / ١٠٦ . والخضري : حاشية الخضري ١ / ٥١ .

ولعلّ أول من عرض لدرجات التنكير هو المبرد ، إذ لانجد عند سيبويه شيئاً من ذلك . قال : « فأنكر الأسماء قول القائل شيء ؛ لأنه مبهم في الأشياء كلها . فإن قلت جسم فهو نكرة ، وهو أخص من شيء ، كما أن حيواناً أخص من جسم ، وإنساناً أخص من حيوان ، ورجلاً أخص من إنسان » (١) فذكر كما ترى خمس درجات للتنكير .

وذكر ابن السراج القاعدة التي تحكم هذا التدرج فقال : فكلما كان أكثر عموماً فهو أنكر مما هو أخص منه ، فشيء أنكر من قولك : حي ، وحى أنكر من قولك إنسان ، فكلما قل ما يقع عليه الاسم فهو أقرب إلى التعريف ، وكلما كثر كان أنكر ، فاعلم ، (٢) .

ثم اجتهد النحاة من بعد في تحديد درجات التنكير على أساس من العموم والخصوص ، وكان بعضهم يكتفي بذكر القاعدة التي تحكم التدرج ، ويذكر أمثلة توضيحية دون أن يقصد إلى تحديد دقيق للدرجات كما وجدنا عند ابن السراج ونجد عند ابن جني في قوله : « وأعلم أن بعض النكرات أعم وأشيع من بعض ، فأعم الأسماء وأبهمها شيء ، وهو يقع على الموجود والمعدوم جميعاً ... فموجود إن أخص من شيء ، لأنك تقول : كل موجود شيء ، وليس كل شيء موجوداً ، ومحدث أخص من موجود ، لأنك تقول كل محدث موجود وليس كل موجود محدثاً ، وجسم أخص من محدث ، لأنك تقول : كل جسم محدث ، وليس كل محدث جسماً ، فعلى هذا مراتب النكرة في إيغالها في الإبهام ومقاربتها الاختصاص » (٣) .

(١) المبرد : المقتضب ٤ / ٢٨٠ .

(٢) ابن السراج : الأصول ١ / ١٤٨ .

(٣) ابن جني : اللمع ص ٩٨ ، وانظر ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٨ .

وحاول بعض النحاة أن يحصرها على نحو أدق فبلغ بها أبو حيان تسع درجات قال : « وأنكر النكرات شيء ، ثم متحيز ، ثم نام ، ثم حيوان ، ثم ماشي ، ثم ذو رجلين ، ثم إنسان ، ثم رجل ، فهذه تسعة لكل منها ما يقابله ، (١) .

وبلغ بها الأزهري عشر درجات مع اختلاف في التدرج ، فقال : « وأنكر النكرات شيء ، ثم موجود ، ثم محدث ، ثم جسم ، ثم نام ، ثم حيوان ، ثم إنسان ، ثم بالغ ، ثم نكر ، ثم رجل . فهذه عشرة يقابل كل منها ما هو في مرتبته . » وكذلك فعل الخضري على خلاف في التدرج أيضاً ، مع فضل بيان فقال : « وأنكر النكرات مذكور ، فموجود ، فمحدث ، فجوهر ، فنام ، فحيوان ، فإنسان ، فرجل ، فعالم ، ويقاس على ذلك ما شابهه ، فكمنذكور معلوم وشئ لصدق الشئ بالمعدوم لغة ، وكحيوان شجر وحجر مثلاً ، وكإنسان فرس وحمار ، وكرجل امرأة ، وكعالم جاهل وضارب مثلاً ، أما ما بينهما العموم الوجهي كإنسان وأبيض فالظاهر أنهما في مرتبة واحدة لتقابل عموم كل شئ بخصوصه ، (٢) . ثم أحس الرجل بأن البحث في هذا عهد لا طائل من ورائه فأعقب ذلك قولة حق : « ويعد ، فلا فائدة في هذا البحث إلا التمرين ، (٣) والتمرين المقصود عقلي لا لغوي .

أما التعريف فقد بنوا له هرمًا مدرجاً أيضاً ، ونكروا القاعدة التي تحكم تدرجه وهي أنه « كلما كان الشيء أخص كان أعرف » (٤) . وقد

(١) أبو حيان : ارتشاف الضرب ١ / ٤٥٩ .

(٢) الخضري : حاشية الخضري ١ / ٥١ .

(٣) السابق ١ / ٥١ .

(٤) المبرد : المقتضب ٣ / ١٨٦ ، وانظر ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٧ .

أوضح السيوطي المراد بأن هذا أعرف من هذا وهو أن تطرق الاحتمال إليه أقل من تطرقه للآخر (١) .

وقد اتفقوا جميعاً على أن اسم الله عز وجل أعرف المعارف (٢) ، ثم اختلفوا بعد ذلك اختلافاً بيناً فيما يوضع منها بعد ذلك في قمة الهرم ، أو ما هو أعرف المعارف بعد اسم الله عز وجل ، واختلفوا أيضاً في تدرج المعارف بعد ذلك ، ويمكننا أن نستخلص من ذلك اتجاهات ثلاثة :
الأول : يجعل الضمير أعرف المعارف ، ثم العلم ، ثم المبهم ، ثم مافيه الألف واللام وهو كما يقول الرضي منقول عن سيبويه ، وعليه جمهور النحاة (٣) . قال ابن يعيش : « واحتجوا بأن المضمرة لا اشتراك فيه لتعيينه بما يعود إليه » (٤) . قال الرضي : « وكون المتكلم والمخاطب أعرف المعارف ظاهر ، وأما الغائب فلأن احتياجه إلى لفظ يفسره جعل بمنزلة وضع اليد » (٥) . أما العلم فيقع فيه الاشتراك ويميز بالصفة ، فوجب أن ينحط درجة عن المضمرة (٦) .

(١) السيوطي : معجم الهوامع ١ / ٥٥ ، وانظر : الفاكهي : الحدود في النحو . تحقيق المتولي رمضان الدميري . (القاهرة ١٩٩٣) ٢ ص ١٣٩ .

(٢) الخصري : حاشية الخصري ١ / ٥٣ .

(٣) الرضي : شرح الكافية ١ / ٣١٢ ، وانظر : الزجاجي : الجمل ص ١٧٨ وابن عصفور : المقرب . تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبوري

(بغداد ١٩٧١) ١ / ٢٢٢ .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٧ .

(٥) الرضي : شرح الكافية ١ / ٣١٢ .

(٦) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٧ .

الثاني : يجعل العلم أعرف المعارف ، يليه المضمَر ، ثم المبهم ، ثم ما عرف بالآلف واللام قال ابن يعيش : « وهو مذهب الكوفيين ، وإليه ذهب أبو سعيد السيرافي ، واحتجوا بأن العلم لا اشتراك فيه في أصل الوضع ، وإنما تقع الشركة عارضة فلا أثر لها . قالوا : والمضمَر يصلح لكل مذكور فلا يخص شيئاً بعينه ، وقد يكون المذكور قبله نكرة فيكون نكرة أيضاً على حسب ما يرجع إليه ، (١) . قال السيوطي : « واختاره أبو حيان لأنه - أي العلم - جزئي وضماً واستعمالاً ، وباقي المعارف كلييات وضماً جزئيات استعمالاً » (٢) .

الثالث : يعد اسم الإشارة أعرفها ؛ لأن مدلوله يعرف بالعين والقلب معاً ، وما اجتمع فيه معرفة بالقلب والعين أخص مما يعرف بأحدهما . وهو رأي الفراء وابن السراج (٣) . ثم يليه المضمَر ، ثم العلم ، ثم ما فيه الآلف واللام (٤) .

وقد عقد ابن الأنباري المسألة ١٠٦ من كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف لأوجه الخلاف بين الكوفيين والبصريين في المبهم هل هو أعرف من العلم - وهو رأي الكوفيين - أو أن العلم أعرف من المبهم ؟ وساق حجج كل فريق (٥) .

(١) السابق نفسه .

(٢) السيوطي : معجم الهوامع ١ / ٥٥ .

(٣) انظر : ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٧ ، وأبو حيان : ارتشاف الضرب ١ / ٤٥٩ ، وانظر سيهويه ٢ / ٧ حيث جعل تعريف الإشارة بالعين والقلب معاً .

(٤) انظر ابن الأنباري : أسرار العربية ص ٣٤٥ .

(٥) ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٦١) ٢ / ٧٠٧ فما بعدها .

وظاهر أن المعرف بالألف واللام عندهم ، وبخاصة المعرف بال
الجنسية ، أقلها تعريفاً ، وأقربها من النكرات ، فهو يمثل قاعدة
هرم التعريف . من ثم قال ابن يعيش : « فالألف واللام أبهم
المعارف وأقربها من النكرات ، ولذلك نعتت بالنكرة تقولك :
إني لأمر بالرجل غيرك فينفعني » (١) . وقال الرضي : « ولضعف
تعريف ذي اللام يستعمل بمعنى النكرة نحو قوله تعالى : لئن
أكله الذئب ... » (٢)

أما المضاف إلى معرفة فقد اختلفوا فيه على مذاهب فيما نكر
السيوطي :

أحدها : أنه في مرتبة ما أضيف إليه مطلقاً حتى المضمرة ؛ لأنه اكتسى
التعريف منه فصار مثله ، وعليه ابن طاهر ، وابن خروف ،
وجزم به ابن مالك في التسهيل .

الثاني : أنه في مرتبته إلا المضاف إلى المضمرة فإنه في رتبة العلم ،
وعليه الأندلسيون؛ لئلا ينتقض القول بأن المضمرة أعرف
المعارف .

الثالث : أنه بونه مطلقاً حتى المضاف لذي ال (٣) .

على أن من النحاة من رتب درجات لهذه الأنواع من المعارف من
حيث الأعرافية ، ومن هؤلاء الفاكهي في كتابه الحدود حيث قال : « وكما
أن التفاوت لبي التعريف يكون باعتبار الأقسام بعضها مع بعض يكون

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٨ .

(٢) الرضي : شرح الكافية ١ / ٣١٢ .

(٣) السيوطي : جمع التوامع ١ / ٥٦ ، وأبو حيان : ارتشاف الضرب ١ / ٤٥٦ .

في القسم الواحد باعتبار أنواعه ، فالضمائر أعرفها ضمير المتكلم ، ثم المخاطب ، ثم الغائب ، والأعلام أعرفها أسماء الأماكن ، ثم أسماء الأناسي ، ثم أسماء الأجناس . وأسماء الإشارة أعرفها ماكان للقريب ، ثم البعيد . وذو الأداة الأعراف منه . ا كانت فيه ال للحضور ، ثم للعهد الشخصي ، ثم للجنس ، (١)

ويتبى أن نشير هنا إلى أن ابن مالك انفرد بجعل العلم الشخصي وضمير المخاطب في رتبة واحدة فيما يذكر الرضي (٢) ، ويجعله تاليا لضمير المخاطب فيما يذكر السيوطي (٣) . وقد نقل السيوطي عن أبي حيان قوله : لا أعلم أحداً ذهب إلى التفصيل في المضمرة فجعل العلم أعراف من ضمير الغائب إلا ابن مالك ، (٤) . قال الخضري : والمراد العلم الشخصي ، أما الجنسي فالظاهر أنه دون الجميع ، (٥)

وقد أضاف بعض النحاة إلى المعارف الخمسة معرفتين أخريين إحداهما : المنادى وجعلوه في رتبة المشار إليه (٦) ، معتمدين فيما يبدو لي على قول سيبويه : « وذلك أنه إذا قال : يا رجل ويا فاسق فمعناه كمنعنى يا أيها الفاسق ، ويا أيها الرجل . وصار معرفة ، لأنك أشرت إليه ، وقصدت قصده » (٧) . وإن كان سيبويه حين عمد إلى سرد المعارف لم

(١) الفاكهي : الحدود في النحو ص ١٣٨ . وانظر السيوطي : مع الهوامع ١ / ٥٥ - ٥٦ .

(٢) الرضي : شرح الكافية ١ / ٣١٢

(٣) السيوطي : مع الهوامع ١ / ٥٥ .

(٤) السابق نفسه ، وانظر الفاكهي : الحدود ص ١٣٧ .

(٥) الخضري : حاشية الخضري ١ / ٥٢ .

(٦) السيوطي : مع الهوامع ١ / ٥٥ .

(٧) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٩٧ ، وانظر السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١٥٤ .

ينكر المنادى بينها . والثانية الموصول : وجعل بعضهم رتبة الموصول قبل ذى ال ، وجعلها بعضهم بعده (١) . ورتب بعض النحاة الموصول من حيث الأعرافية في درجات : جاء في حاشية الصبان : « قوله ثم الموصول : قيل : أعرفه ماكان مختصا ، ثم ماكان مشتركا . ويظهر أن أعرف كل منهما ما كان معهودا معينا ، ثم ما للاستفراق ، ثم ما للجنس لجرى الموصول للثلاثة كأل والإضافة » (٢)

وقد أشار ابن الأنباري حين عرض للخلاف بين البصريين والكوفيين في المبهم والعلم أيهما أعرف ؟ إلى بعض القواعد التوجيهية في الحكم على الاسم بأنه أعرف من آخر ، منها : أن ما لا يقبل التنكير أعرف مما يقبله ، وعلى هذه القاعدة اعتمد الكوفيون في القول بأن المبهم أعرف من العلم . ومنها أن الأصل في المعارف ألا توصف ، فما يوصف منها لحط درجة مما لا يوصف (٣) .

وإذا كان البحث في درجات التنكير أمراً لا طائل من ورائه : فإن البحث في درجات التعريف على خلاف : إذ يرتب جمهور النحاة عليه بعض الأحكام النحوية ، ومن ذلك أنهم يشترطون في الموصوف أن يكون أعرف من صفته ، فإن وردت أعرف منه لم يعدها النحاة صفة ، بل بدلاً ، أو يقطعون النعت إلى غيره . يقول سيهويه : «... وإنما منع «أخاك» أن يكون صفة «للطويل» أن الأخ إذا أضيف كان أخص : لأنه مضاف إلى الخاص وإلى إضماره . وإنما منع « هذا » أن يكون صفة

(١) السيوطي : همع الهوامع ١ / ٥٥ ، والصبان : حاشية الصبان ١ / ١٠٧ .

(٢) الصبان : حاشية الصبان ١ / ١٠٧ .

(٣) ابن الأنباري : الإنصاف ٢ / ٧٠٨ فما بعدها . وانظر : السيوطي : همع الهوامع ١ / ٥٥ .

للطويل والرجل أن المخبر أراد أن يقرب به شيئاً ويشير إليه لتعرفه بقلبك وبعينك دون سائر الأشياء ، وإذا قال الطويل فإنما يريد أن يعرفك شيئاً بقلبك ولا يريد أن يعرفك بعينك ، فلذلك صار ينعت بالطويل ولا ينعت الطويل بهذا ؛ لأنه صار أخص من الطويل حين أراد أن يعرفه شيئاً بمعرفة العين والقلب ، وإذا قال الطويل فإنما عرفه شيئاً بقلبه دون عينه ، فصار ما اجتمع فيه شيئان أخص ، (١) .

وقال الرضي : « فينبغي أن تعرف مراتب المعارف في كون بعضها أقوى من بعض ؛ حتى تهني عليه الأمور في قولهم : الموصوف أخص أو مساوي (٢) . ثم لفت إلى أن العلم بالأخص يوجه الإعراب عند أصحاب المذاهب النحوية ، فقال بعد أن ذكر درجات المعارف : « فإننا وجدت الأخص في مذهب تابعاً لغير الأخص فهو بدل عند صاحب ذلك المذهب لا صفة (٣) ذلك بأن أصحاب المذاهب يختلفون في ترتيب درجات التعريف ، وهذا الاختلاف يستتبع خلافاً في الأخص والخلاف في الأخص يستتبع خلافاً في إعراب الكلمة أو تحديد وظيفتها النحوية .

ومن ذلك أنه إذا اجتمع الأخص وغيره غلب الأخص تقدم أو تأخر ، فيقال : أنا وأنت فعلنا ، وأنت وأنا فعلنا ، ولا يقال فعلتما ، وأنت وهو ، أو : هو وأنت فعلتما ، ولا يقال : فعلا (٤) . كذلك يقال : هذا رجل وزيد ضاحكين فينصب على الحال ، ولا يرفع على الصفة (٥) .

(١) سيوطي : الكتاب ٢ / ٧ .

(٢) الرضي : شرح الكافية ١ / ٣١٢ ، وانظر ابن عصفور : المقرب ١ / ٢٢١ وابن

هشام : شذور الذهب ص ٥١٤ .

(٣) الرضي : شرح الكافية ١ / ٣١٣ .

(٤) السيوطي : معجم الهوامع ١ / ٦٢ .

(٥) السيوطي : الأشباه والنظائر ٢ / ٤٧ .

ومن ذلك أن الأعراف أولى بأن يكون مبتدأ (١) .

ومنه أيضاً ما أورده الرضي من أن تعريف المضاف مثل تعريف المضاف إليه عند سيبويه ، أما عند المبرد فهو أنقص منه . وقد ترتب على ذلك اختلافهما في تحديد وظيفة « الظريف » في نحو : رأيت غلام الرجل الظريف فسيبويه يعدها صفة ، والمبرد يعدها بدلاً (٢) .

على أن بعض الكوفيين أجاز وصف النكرة بالمعرفة فيما فيه مدح أو تم استشهاده بقوله تعالى : « ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده » . والجمهور على أنه بدل ، أو نعت مقطوع رفعاً أو نصباً (٣) .

ومن اللازم الآن أن نتلث عند ما يطلق عليه النحاة مصطلح « التخصيص » لنتبين مفهومه ، وموقعه من التدرج الهرمي للتذكير والتعريف ، ودوره في الاستعمال اللغوي .

للتخصيص عند النحاة مفهومان : أحدهما يعني رفع الاشتراك ، فهو مرادف عندئذ للمعرفة . والثاني يعني تقليل الاشتراك في النكرة ، فهو عندئذ أخص درجات النكرات وأقربها إلى المعارف . ونجد المفهوم الأول واضحاً في قول المبرد : « ... لأنه إذا كان معروفاً كان مخصوصاً ، وإذا كان منكوراً كان شائعاً في نوعه » (٤) ، وقول ابن السراج : « ... فاما مثل ، وغير ، وسوى ، فإنهن إذا أضفن إلى المعارف لم يتعرفن ؛ لأنهن لم يخصصن شيئاً بعينه » (٥) . وقول أبي علي الفارسي : « فحكم

(١) ابن السراج : الأصول ١ / ١٥٤ ، وانظر سيبويه الكتاب ١ / ٤٧ .

(٢) الرضي : شرح الكافية ١ / ٣١٢ ، وانظر : ابن هشام : شذور الذهب ص ٥١٥ .

(٣) الرضي : شرح الكافية ١ / ٣١٠ .

(٤) المبرد : المقتضب ٣ / ٣٢ ، وانظر سيبويه : الكتاب ١ / ٣٢٩ .

(٥) ابن السراج : الأصول ٢ / ٥ .

التعجب أن يكون مبهما ، لأنه إذا خصص فعرف لم يكن تعجبا ، (١) .
وقول ابن يعيش : «المضمرات أشد المعارف تخصيصا» (٢) وقول
الرضي : « وإنما كان العلم أخص وأعرف من اسم الإشارة ، لأن مدلول
العلم ذات معينة مخصوصة» (٣)

وأما المفهوم الثاني فهو أكثر شيوعاً ؛ حتى إنه إذا أطلق لم يرد
غيره ، وهو المقصود بالحديث هنا . ونجد ذلك واضحاً في قول أبي علي
الفارسي في الإيضاح العضدي : « وإذا أضفت نكرة إلى نكرة اختصت
بالإضافة وإن لم تتعرف نحو : راكب حمار ، و غلام رجل » (٤) . وفي
قول الزمخشري : وإضافة الاسم على ضربين : معنوية ولفظية ،
فالمعنوية ما أفادت تعريفا كقولك : دار عمرو أو تخصيصا كقولك : غلام
رجل ، (٥)

وقد أوضح ابن هشام المراد بالتخصيص بمفهومه الثاني بقوله :
« والمراد بالتخصيص الذي لم يبلغ درجة التعريف ، فإن غلام رجل أخص
من غلام ، ولكنه لم يتميز بعينه كما تميز غلام زيد » (٦)

(١) أبو علي الفارسي : التعليق ١ / ١٠٩ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ١٠٠ .

(٣) الرضي : شرح الكافية ١ / ٣٠٧ .

(٤) أبو علي الفارسي : الإيضاح العضدي . تحقيق حسن شانلي فرهود (القاهرة
١٩٦٩) ١ / ٢٦٧ .

(٥) الزمخشري : المفصل ٢ / ٨ . وانظر : ابن يعيش : شرح المفصل ٦ / ٨٨ .

وابن عصفور : المقرب ١ / ٢٠٩ . والرضي : شرح الكافية ١ / ٢٧٤ وابن أبي
الريبع : البسيط ١ / ١٨٢ . وابن عقيل : شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك
٣ / ٤٥ .

(٦) ابن هشام : مغني اللبيب ٢ / ٥١٠ . وانظر : الأزهرى : شرح التصريح ٢ / ٢٦ .

على أن الدماميني فرق بين التخصيص بمفهومه الثاني والتعريف، فذكر أن التخصيص في عرفهم تقليل الاشتراك في النكرة ، والتعريف رفع الاحتمال في المعارف (١) .

ومن النحاة من رأى أن التخصيص أقوى مراتبه التعريف (٢)، فهو يسقط المعبر بين هرم التنكير وهرم التعريف ، فحيث نصل إلى أخص درجات التنكير فقد بلغنا التخصيص الذي تتدرج مراتبه إلى أن تصل الدرجة العليا ، وهى درجة التعريف ، فالهرمان عنده كما أشرنا هرم واحد يبدأ بأنكر النكرات وينتهي بأعرف المعارف .

وإننا كنا قد وجدنا من النحاة من يعدّ التخصيص ضرباً من التنكير (٣) فقد وجدنا منهم من يعده ضرباً من التعريف . يقول ابن يعيش : « والتخصيص ضرب من التعريف » (٤)، ولعله استأنس في ذلك بما ورد عند سيبويه من جعله تخصيص النكرة تعريفاً حيث قال : « ولو قلت : رجل ذاهب لم يحسن حتى تعرفه بشيء ، فتقول : راكب من بني فلام سائر ، وتبيح الدار فتقول : حد منها كذا وحد منها كذا ، فأصل الابتداء للمعرفة » (٥)

وظاهر مما أوردنا من نصوص أن تخصيص النكرة يكون بإحدى وسيلتين : الإضافة المحضة والذمت (٦) .

(١) الأزهري : شرح التصريح على التوضيح ٢ / ٢٦ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) ابن هشام : مراتب اللبيب ٢ / ٥١٠ .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ٨ .

(٥) سيبويه : الكتاب ١ / ٣٢٩ .

(٦) انظر: المبرد : المقتضب ٤ / ١٢٧ ، وابن السراج : الأصول ١ / ١٥٤ والفارسي :

الإيضاح ١ / ٢٦٧ ، وابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ٤٧ ، وابن أبي الربيع :

البيسط ١ / ١١٨ ، والأزهري : شرح التصريح ٢ / ٢٦ .

ثالثاً : أصل الوضع / الاستعمال :

التفت بعض النحاة إلى مسألة شديدة الأهمية تتصل بمعيار الشيوخ / التعيين في تحديد النكرة والمعرفة ، تلك هي : هل تتحدد النكرة والمعرفة على أساس من «أصل الوضع» ، أو من الاستعمال ؟ لقد كان الرضي أهم من التفت إلى هذه المسألة ، وبذل جهداً في إيضاحها ، وحاول أن يحلّ على أساس منها عدداً من المشكلات المثارة، لكن الأمر التوى عليه ، فلم يستقم له قول فيها . وقد تلقفها ابن أبي الربيع والسيوطي من بعد محاولين إيضاح بعض جوانبها فأفلحنا حيناً وأخفقنا أحياناً .

لقد أثار المسألة في ذهن الرضي قول ابن الحاجب : « المعرفة ما وضع لشيء بعينه » ، فعنّ له سؤال : هل أراد بذلك أن الواضع قصد ، في حال وضعه ، واحداً بعينه ، بعبارة موجزة : هل كان التعيين حال الوضع ؟ فبادر بنفي ذلك معللاً ، قال : « إذ لو أراد ذلك لم يدخل في حده إلا الأعلام » (١) . ذلك بأن المضمرة ، والمبهمات ، وذا اللام ، والمضاف إلى أحدها تصلح لكل معين . ثم بين المقصود بقوله : « فالمعنى ما وضع ليستعمل في واحد بعينه ، سواء كان ذلك الواحد مقصود الواضع كما في الأعلام أو لا كما في غيرها . ثم رأى أن يعيد صياغة عبارة ابن الحاجب حتى لا تحتمل اللبس ، فقال : « ولو قال : ما وضع لاستعماله في شيء بعينه لكان أصرح » (٢) .

وبعد أن قبل هذه الصياغة حاول أن ينظر في المعارف على أساس

(١) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٢٨ .

(٢) السابق نفسه ٢ / ١٢٨ .

من هذا الحد فوجهه بالمشكلة الأولى ، وهي : هل ذو آل موضوع ليستعمل في شيء بعينه ؟ والجواب القريب المقبول أن « آل » طارئة عليه ، وأنه بدونها موضوع ليستعمل في غير معين ، لكنه لم يشأ أن يقول ذلك ؛ لأنه يخرج من الحد الذي وضعه ، فلجأ إلى التأويل غير المقبول قائلاً : « وإنما جعل ذا اللام موضوعاً كالرجل والفرس وإن كان مركباً كما مر في حد الاسم أن المركبات أيضاً موضوعة بالتأويل الذي ذكرنا هناك ، أو جعل اللام من حيث عدم استقلاله وكونه كجزء الكلمة كأنه موضوع مع ما دخل عليه وضع الأفراد » (١). ولعلك لاحظت أنه بدأ في موقف الموضح لرأي ابن الحاجب فحسب ؛ إذ استخدم الفعل « جعل » مبنياً للفاعل .

ثم نظر في العلم المنكر في نحو : « رب سعاد وزينب لقيتهما » ، فلم يجد بدأ من القول بأنه يدخل في الحد ؛ إذ هو معرفة بالنظر إلى أصل الوضع . وظاهر أن الاعتداد بأصل الوضع هنا غير مقبول ، فالاستعمال في هذا المثال ، لا أصل الوضع ، هو الحري بالاعتداد به .

ثم رجع النظر في الضمير العائد إلى نكرة في نحو قولك : « جاءني رجل فضريته » ، فرأى أنه معرفة ؛ لأن الضمير لهذا الرجل الجائي دون غيره . أما الضمير في نحو : « رب شاة وسخلتها فنكرة » ، كما في ربه رجلا ، لم يختص المنكر المعود إليه بحكم أولا (٢). وواضح أنه معني الآن بالاستعمال لا بأصل الوضع ؛ إذ الأصل في الضمير أنه موضوع ليستعمل في واحد بعينه . والاستعمال هنا هو الذي جعله منكراً .

(١) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٢٨ .
(٢) السابق نفسه

فالخلط بين « أصل الوضع » و « الاستعمال » واضح ، ولا أدل على ذلك من أنه يقرون أحدهما بالآخر في الحدّ : « ما وضع ليستعمل في واحد بعينه » ، إذ المعروف أن الاستعمال قد يرد خروجاً على أصل الوضع . ويبدو لي أن المراد بقوله : « ما وضع » يشمل جانبيين : أولهما : ما وضع معيناً ليستعمل في معين كالعلم ، وثانيهما : ما وضع صالحاً لأيّ معين ليستعمل في معين واحد كسائر المعارف .

لقد أفضى به ما ذكر أنه الأصح في رسم المعرفة إلى تحكيم أصل الوضع - لا الاستعمال - في الحكم على الكلمة بالتعريف فأدخل في المعرفة جميع الضمائر وإن عادت إلى النكرات ، والمعرف باللام العهدية وإن كان المعهود نكرة ، لأنه أشير به إلى خارج مخصوص وإن كان منكراً ، والأعلام حال اشتراكها ؛ إذ يشار بكل واحد منها إلى مخصوص عند الوضع ، وأخرج من المعرفة النكرات المعينة للمخاطب نحو : جاءني رجل تعرفه ، أو رجل هو أخوك ، لأن رجلاً لم يوضع للإشارة إلى مختص ، بل اختص في هذا الاستعمال بصفته ، وكذلك يخرج نحو : لقيت رجلاً إذا علم المتكلم ذلك الملقى ؛ إذ ليس فيه إشارة لا استعمالاً ولا وضعا^(١) فما يأتي به الاستعمال خروجاً عن أصل الوضع عنده من الظواهر العارضة التي لا توضع لها القواعد .

ولعلّ السيوطي كان أوضح من الرضي في عرضه لهذه المسألة ؛ إذ بين الفرق جلياً بين ما وضع لمعين لا يتناول غيره وهو العلم ، وما هو صالح لكل معين ، فإذا استعمل استعمال في معين واحد ، فقال : « العلم ما وضع لمعين لا يتناول غيره » ، فخرج بالمعين النكرات ، وبما بعده سائر المعارف ، فإن الضمير صالح لكل متكلم ومخاطب وغائب ، وليس

(١) السابق نفسه ٢ / ١٢٨ .

موضوعاً لأن يستعمل في معين خاص بحيث لا يستعمل في غيره ، لكن إذا استعمل صار جزئياً ولم يشركه أحد فيما أسند إليه ، واسم الإشارة صالح لكل مشار إليه ، فإذا استعمل في واحد لم يشركه فيما أسند إليه أحد ، والصالحة لأن يعرف بها كل نكرة فإذا استعملت في واحد عرفته وقصرته على شيء بعينه ، وهذا معنى قولهم إنها كليات وضعا جزئيات استعمالا ، (١)

وقد تنبه ابن أبي الربيع إلى ما يطرأ على النكرة من اختصاص عارض ، وما يطرأ على المعرفة من اشتراك عارض ، لكنه ليس الأصل فيهما ، بل يرد في سياق استعمال خاص ، فقال : « اعلم أن النكرة كل اسم يقتضي الاشتراك بوضعه نحو : رجل ، فإنه لم يوضع ليقع على واحد بعينه ، وإنما وضع أن يقع على كل واحد ممن هو على هذه الحقيقة . وقد يطرأ على النكرة اختصاص عارض ، كما طرأ على الشمس والقمر : لأن شمساً وإنما وضعت على كل ما كان على هذا الشكل ، لكنه اختص بهذا الموجود من حيث لم يوجد مثلها ، وكذلك قمر ، (٢) . ثم قال : « ... تقدم أن المعرفة هو الاسم الذي يقتضي بوضعه الخصوص . وقد يطرأ على المعرفة اشتراك عارض : ألا ترى أن زيدا لم يوضع ليفصل شخصا من شخص ، وإنما وضع لواحد معين ، ولم يوضع ليقع على هذا الشخص وكل ما شابهه ، وإنما وضع ليقع عليه بعينه ، إلا أنه قد يسمى آخر ولده زيدا ، ويقصد ما قصده من الاختصاص : فيقع لذلك اشتراك . فالاختصاص في النكرة عارض ، والاشتراك في المعرفة عارض ، (٣) .

(١) السيوطي : معجم الواعى ١ / ٧٠ .

(٢) ابن أبي الربيع : البسيط ١ / ٣٠٠ فما بعدها .

(٣) السابق نفسه .

الفصل الثاني علم المخاطب / المتكلم

يرتبط مفهوم التنكير والتعريف ارتباطاً وثيقاً بمدى معرفة المتكلم والمخاطب بموضوع الحديث ، فالتكلم يختار من الوسائل التعبيرية ما يراه دالاً على نقل ما يريد إلى مخاطب يفترض فيه العلم بالشيء المراد أو الجهل به . وقد أقر بهذه العلاقة نحاة اللغات الأخرى ، فقال حيتييه في سياق عرضه لمفهوم التعريف والتنكير في العربية : « ... فإذا أردت الآن أن أتحدث مع آخرين عن شخص ما دون أن أضطر إلى تعريفهم إياه، فإنني أفترض أن الآخرين يعرفونه من قبل معرفة واضحة ، أو من الممكن أن يعرفوه من سياق الحديث » (١) . ويقول هنتشل / ويت : « فالتعريف يعتمد على ما يفترضه المتكلم من علم السامع بالأمر » (٢) . ثم يقولان : « والتنكير على العكس من ذلك أمور لا يعرف السامع عنها شيئاً ، أو : لا يعرف أى أمر منها يراد بين أمور عديدة... وقد لا تكون معروفة عند المتكلم أيضاً » (٣) . ويقول هاز Haas : « إذا أراد المتكلم أن يجلب إلى ذهن السامع تصوراً عن موضوع ما ، فإن عليه أن يفترض في سامعه علماً بالموضوع أو جهلاً به ، فالعلم به يقتضي التعريف ، والجهل به يقتضي التنكير » (٤) ويقول كلوس close إن « the » في

(١) Gätje , H. : Zur Begriff der Determination und Indetermination im Arabischen . S. 237

(٢) Hentschel & Weydt : Handbuch der deutschen Grammatik . S. 205

(٣) Ebenda . S. 206 , 210

(٤) Haas, J. : Fransösische Syntax . (Halle 1916) S. 161 f.

الإنجليزية علامة يوصل بها المتكلم إلى السامع الرسالة الآتية : أنت تعرف ، أو سوف تعرف الشيء الذي أعني ، (١) . ويقول ثيبري «تستخدم أداة التنكير في اللغة السويدية عندما يكون الشيء أو الشخص مجهولاً عند السامع ، على حين تستخدم أداة التعريف حين يكون معروفاً له ، (٢)» .

من أجل ذلك رأت موسكالسكايا أن تعريف الشيء أو تنكيهه لا يتصل بخاصية في الشيء ذاته (فما من شيء يمكن أن يكون نكرة في ذاته) بل هو محكوم بالعلاقة المفترضة بين المتكلم والسامع في أثناء الاتصال الكلامي ، والفيصل في ذلك هو : درجة علم السامع بالشيء المراد (٣) .

ولم يكن نحاة العربية بعينين عن إدراك دور المخاطب في الاتصال الكلامي بل لقد جعله بعضهم الباعث إلى التعبير عما في نفس المتكلم . قال السهيلي : « اعلم أن الكلام صفة قائمة في نفس المتكلم يعبر للمخاطب عنه بلفظ أو لحظ أو خط ، ولولا المخاطب ما احتيج إلى التعبير عما في نفس المتكلم ، (٤) . وهذا القول على إيجازه يشير إلى ثلاث قضايا أساسية : إحداهما الإشارة إلى القدرة الكلامية الكامنة في

(١) Close , R.A. : English as a foreign language p. 47 .

(٢) أوكه ثيبري : قواعد اللغة السويدية . ترجمة : حاتم زامل . استكهولم ١٩٨٩ ص ١١٦ .

(٣) انظر : Krámsky , J. : The article and the concept of Definiteness in language . p. 76 .

(٤) السهيلي : نتائج الفكر ص ٢١٨ .

نفس المتكلم ، والتي يعبر عنها تشومسكي ومن لف لفه بمصطلحه المشهور competence ، والثانية أن التعبير عنها يكون بوسائل لغوية «لفظ» وغير لغوية «لحظ» ، «خط» (أو قل «منطوقة» وغير «منطوقة») . والثالثة أن المخاطب شريك لا بد منه في الاتصال الكلامي .

وقد نبه عبد القاهر الجرجاني إلى أن صحة التراكيب لا يكفي فيها أن تجري على قواعد النحو ، بل لا بد فيها من مراعاة حال المخاطب . يقول : « فإذا قلت : رجل جاءني لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أن الذي جاءك رجل لا امرأة ، ويكون كلامك مع من قد عرف أنه قد أتاك آت ... وكذلك إن قلت : رجل طويل جاءني لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن أنه أتاك قصير ، أو نزلته منزلة من ظن ذلك » (١) . فهو يتوقف كما ترى في الحكم على الجملة بالصواب أو الخطأ حتى يقف على حال المخاطب . ويقول أيضاً : « اعلم أنك إذا قلت : زيد منطلق كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقاً كان لامن زيد ولا من عمرو : فأنت تفيد ذلك ابتداء . وإذا قلت زيد المنطلق كان كلامك مع من عرف أن انطلاقاً كان إما من زيد وإما من عمرو فأنت تعلمه أنه كان من زيد دون غيره . والنكته أنك تثبت في الأول الذي هو قولك : زيد منطلق فعلاً لم يعلم السامع من أصله أنه كان ، وتثبت في الثاني الذي هو زيد المنطلق فعلاً قد علم السامع أنه كان ، ولكنه لم يعلمه لزيد فأفدته ذلك » (٢) . وظاهر أنه يلتفت إلى أن المتكلم يعمد إلى نظم كلامه على النحو الذي يقتضيه علمه بحال المخاطب أو السامع .

(١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ١٤٢ .

(٢) السابق ص ١٧٨ .

وكذلك فعل الرضي من بعده فقد جعل مراعاة حال المخاطب عنصراً لا بد منه في قبول التراكييب العربية أو رفضها . قال : « ... فلو علم في المعرفة ذلك كما لو علم قيام زيد فقلت : زيد قائم عدّ لغواً . ولو لم يعلم كون رجل من الرجال قائماً في الدار جاز لك أن تقول : رجل قائم في الدار ، وإن لم يتخصص النكرة بوجه . وكذا تقول : كوكب انقضّ الساعة ، وقال الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة ... » (١)

ولقد أدرك النحاة أيضاً أثر العلم بحال المخاطب في التعريف أو التنكير فلفتوا إلى أن على المتكلم أن يراعي حال المخاطب ، فإذا قدر علمه بالشيء استخدمه معرفة ، وإذا قدر جهله به استخدمه نكرة ليعلمه به . فإذا ذكر له ما يعرف كان الكلام لغواً من اللغو . يقول سيبويه : « فإذا قلت : زيد ، فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك ، فإنما ينتظر الخبر ، فإذا قلت « حليماً » فقد أعلمته مثل ما علمت » (٢)

ويقول السيرافي : « وحكم الخطاب المفهوم أن يساوي المخاطب المتكلم في معرفة ما خبره به : فإذا قال : كان زيد عالماً فقد كان المخاطب عالماً بزيد من قبل ، وقد عرف علمه الآن لإخبار المتكلم إياه ، فقد ساواه في الأمرين جميعاً » (٣) . ثم يقول : « ... لأن المنكور في الإخبار مالا يعرفه المخاطب ، وإن كان المتكلم قد رآه وعرفه » (٤)

(١) الرضي : شرح الكافية ١ / ٨٩ ، وانظر ابن يعيش ١ / ٩٨ .

(٢) سيبويه : الكتاب ١ / ٤٨ .

(٣) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ٢ / ٣٧٣ .

(٤) السابق نفسه .

وعلى أساسٍ من هذا رفض السيرافي أن يكون ضمير النكرة معرفة ؛ لأن المخاطب لا يعلم منه إلا ما يعلم من النكرة . يقول : « وضمير النكرة لا يستفيد منه المخاطب أكثر من النكرة . إلا ترى أن قائلاً لو قال : مررت برجل وكلمته » لم تكن الهاء عائدة إلى رجل بموجبة لتعريف شخص بعينه من الرجال ؟ » (١)

ورفض السيرافي أيضاً أن يكون المقترن بال الجنسية معرفة ، لأن الذي يستفيدة المخاطب من المجرد منها والمقترن بها واحد ، قال « .. ومن ذلك أن الذي يستفيدة المخاطب بعسل وماء منكورين هو الذي يستفيدة منهما معروفين ؛ لأنهما نوعان متشابهة الأجزاء . إلا ترى أن قائلاً لو قال : شربت الماء والعسل ، أو قال شربت ماءً وعسلاً كان معناهما عندك واحداً لعلمك أنه إذا قال « العسل » و « الماء » أنه لا يأتي على شربهما أبداً ، وأن غرضه من ذلك البعض . واستواء أجزائهما أن العسل والماء يقال لما قل منه وكثير عسل وماء . إلا ترى أن جرعة ماء وأقل منها يقال لها ماء ، وأن نجلة والفرات والبحر ماء ، فأجزاؤه متساوية ؟ » (٢)

وقد تتبع النحاة المعارف جميعاً ، وأرجع كثير منهم تعريف كل منها إلى علم المخاطب ؛ إلا المنادى ، فقد أرجعوا تعريفه إلى قصد المتكلم ، وسوف نورد الآن من نصوصهم ما يؤيد ذلك :

١ - الضمير : قال سيبويه : « وإنما صار الإضمار معرفة لأنك إنما تضمير اسماً بعد ما يعلم أن من يحدث قد عرف من تعني وما تعني ،

(١) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ٢ / ٣٧٧ ، وانظر ابن يعيش : شرح المفصل . ٩٤ / ٧

(٢) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ٢ / ٣٧٧ .

وأنك تريد شيئاً يعلمه^(١) وقال ابن يعيش : « وإنما صارت
المضمرات معارف لأنك لاتضمّر الاسم إلا وقد علم السامع على من
يعود ، فلا تقول : ضربته ولا مررت به حتى يعرفه ويدري من
هو؟ »^(٢)

٢- العلم : قال سيبويه : « ... من قبل أنك إذا قلت : هذا زيد فزيد اسم
لمعنى قولك : هذا الرجل إذا أردت شيئاً بعينه قد عرفه المخاطب
بحليته أو بأمر قد بلغه عنه قد اختص به دون من يعرف ... »^(٣)

٣- اسم الإشارة : قال ابن يعيش : « ... ومعنى التعريف فيه أن يختص
واحداً ليعرفه المخاطب بحاسة البصر ، وغيره من المعارف يختص
واحداً ليعرفه بالقلب »^(٤)

٤- المعرفة بالألف واللام : قال سيبويه : « وأما الألف واللام فتحو
الرجل والفرس والبعير وما أشبه ذلك . وإنما صار معرفة ، لأنك
أردت بالألف واللام الشئ بعينه دون سائر أمته : لأنك إذا قلت :
مررت برجل فإنك إنما زعمت أنك مررت بواحد ممن يقع عليه هذا
الاسم ، لاتريد رجلاً بعينه يعرفه المخاطب . وإذا أدخلت الألف واللام
فإنما تذكره رجلاً قد عرفه فتقول : الرجل الذي من أمره كذا وكذا
ليتوهم الذي كان عهده بما تذكره من أمره »^(٥) .

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ٦

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٦ .

(٣) سيبويه : الكتاب ٢ / ٩٣

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٦

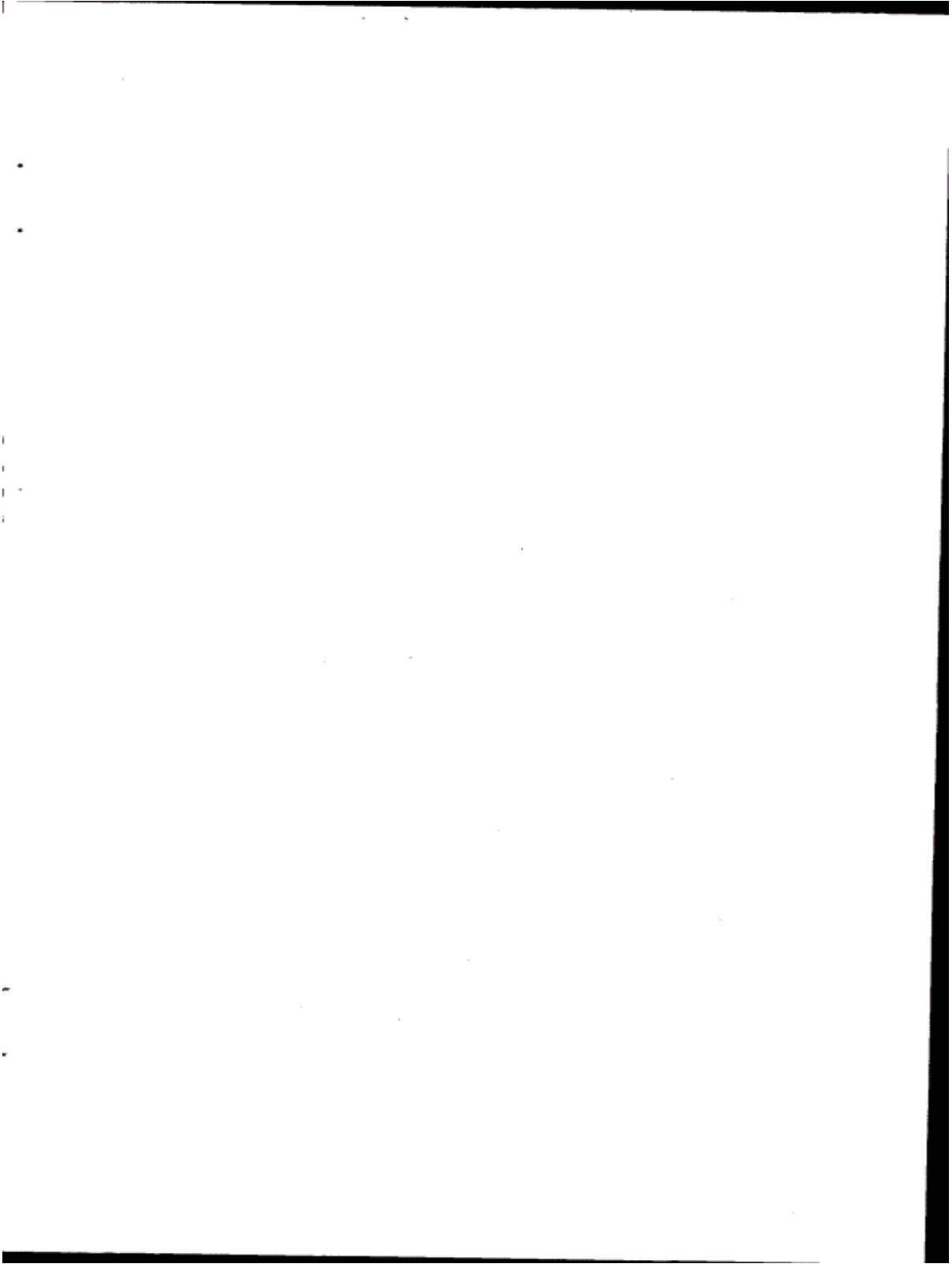
(٥) سيبويه : الكتاب ٢ / ٥ . وانظر : المبرد : المقتضب ٤ / ٢٧٧ . وابن السراج :
الأصول ١ / ١٥٠ . والزجاجي : اللامات ص ٢١ .

٥- المضاف إلى معرفة : قال ابن السراج : « وأنت لاتقول غلام زيد فتضيف إلا وعندك أن السامع قد عرفه كما عرفت » (١). وقال ابن أبي الربيع : « ولا يتعرف الأول إلا بما يكون معلوماً عند المخاطب ، نحو : غلام زيد وصاحب عمرو ، فعمرو بلاشك معروف عند المخاطب ، ولو لم يكن معلوماً ماصح أن يتعرف الصاحب » (٢)

٦- الموصول : قال ابن يعيش : « وينبغي أن تكون الجملة التي تقع صلة معلومة عند المخاطب ؛ لأن الغرض منها تعريف المذكور بما يعلمه المخاطب من حاله ليصح الإخبار عنه بعد ذلك » (٣)

٧- المنادى : وهم لا يرجعون تعريفه إلى علم المخاطب ، ولا إلى علم المتكلم ، بل يرجعونه إلى « قصد » المتكلم . قال سيبويه : « وذلك أنه إذا قال : يا رجل ويا فاسق فمعناه كمعنى يا أيها الفاسق ، ويا أيها الرجل ، وصار معرفة ؛ لأنك أشرت إليه وقصدت قصده..» (٤). وقال السيرافي : « ... والجواب الثاني أن المفرد يؤثر فيه النداء حتى يكون معرفة به كقولك يا رجل ، إذا قصدت واحداً بعينه صار معروفاً بالنداء ؛ لإقبالك عليه وقصدك إياه بحرف النداء» (٥). وقال أبو علي الفارسي : « ألا ترى أنك إذا قلت : يا رجلاً لم ترد واحداً بعينه مقصوداً ، إنما ناديت واحداً من هذا النوع فكل من أجابك منهم فهو الذي أردت . وأنت في المعرفة قاصد لواحد بعينه » (٦)

(١) ابن السراج : الأصول ١ / ٥٣ .
(٢) ابن أبي الربيع : البسيط ١ / ١٨٣ فما بعدها .
(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ١٥٤ ، وانظر : عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ٢٠٠ .
(٤) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٩٧ .
(٥) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١٥٤ .
(٦) أبو علي الفارسي : التعليق ١ / ٣٢٨ .



الفصل الثالث الإشارة إلى خارج

لعلّ الرضي أهم من التفت إلى أن التعريف لا يرتبط بما اختزنه
الذهن من الدلالة المجردة للألفاظ على الأشياء ، بل هو مرتبط بتحقيق
هذه الأشياء في العالم الخارجي ، فقد انتهى إلى القول بأن الأصح في
رسم المعرفة أن يقال : « ما أشير به إلى خارج مختص إشارة
وضعية»^(١).

ونريد أن نتلث عند جانبين في رسم المعرفة الذي ذكره ، أحدهما
يتصل بالإشارة إلى خارج والثاني بالإشارة الوضعية . فإذا أنعمنا النظر
فيما أورده من حديث انتهينا إلى أن الخارج عنده ماخرج عما اختزنه
الذهن من الدلالة العامة المجردة للألفاظ على الأشياء إلى العالم الخارجي
حيث يشار باللفظ إلى شيء فيه . فإذا أشير إلى شيء معين في العالم
الخارجي ، وظل الأمر في حيز التصور الذهني المجرد فهو نكرة . يقول
شارحاً : فقولنا : ما أشير به يشترك فيه جميع المعارف ، ويختص اسم
الإشارة بكون الإشارة فيه حسية بالوضع كما مرّ في بابه ؛ لأن كل اسم
فهو موضوع للدلالة على ما سبق علم المخاطب بكون ذلك الاسم دالاً
عليه . ومن ثم لا يحسن أن يخاطب بلسان من الألسنة إلا من سبق
معرفة بذلك اللسان ، فعلى هذا كل كلمة إشارة إلى ما ثبت في ذهن
المخاطب أن تلك اللفظ موضوع له ، فلو لم نقل إلى خارج لدخل فيه

(١) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٢٨

الأسماء معارفها ونكراتها،^(١)

من ثم رفض قول ابن الحاجب إن الألف واللام في قولك اشرب الماء، واشتر اللحم، وقوله تعالى: « أن يأكله الذئب » تشيران إلى ما في ذهن المخاطب من ماهية الماء واللحم والذئب، وقال معللاً: «... لأن هذه الفائدة يقوم بها نفس الاسم المجرد عن اللام،^(٢) ثم رأى أن الألف واللام للتعريف اللفظي لا الدلالي، أي أن للكلمة شكل المعرفة لا دلالتها^(٣).

وعلى الرغم من أن ارتباط التعريف والتنكير بالإشارة إلى خارج أو عدم الإشارة إليه فكرة ليست شائعة عند النحاة فقد زعم الرضي أن ذلك مرادهم. قال: « .. لأن معنى التنكير ليس كون الشيء مجهولاً، بل معناه في اصطلاحهم ما ذكرناه الآن، أعني كون الذات غير مشار بها إلى خارج إشارة وضعية »^(٤).

وأما الجانب الثاني فيتصل بقوله: « إشارة وضعية »، فهل يعني بالوضع هنا أصل الوضع، أو ما تواضع عليه الناس؟ احتمالان، والظاهر أن الاحتمال الأول هو الأقرب إلى القبول.

على أن ارتباط التعريف عنده بالإشارة إلى شيء محدد في العالم الخارجي يجعل التعريف محصوراً في الذوات التي لها وجود في الخارج، فهل يعني ذلك أن المجردات أو أسماء المعاني لا تتعرف؟ لقد سكت الرضي عن هذه المسألة فلم يثرها لكننا نتوقع بناءً على ما

(١) السابق نفسه.

(٢) الرضي: شرح الكافية ٢ / ١٢٩.

(٣) السابق نفسه.

(٤) الرضي: شرح الكافية ١ / ٣٠٧.

فهمناه من كلامه أن يخرج المجردات من المعارف المعنوية ، ويجعلها إن استخدمت استخدام المعارف من قبيل المعارف اللفظية .

ويبدو لي أن الرضي ارتضى مصطلح التعريف اللفظي حين يكون للكلمة حكم المعرفة لفظاً لا معنى ، ولهذا لم يتردد في القول بأن ما ذكره النحاة مثلاً من الفرق بين علم الجنس واسم الجنس محض تكلف . قال : « ... والحامل للنحاة على هذا التكلف في الفرق بين الجنس وعلم الجنس أنهم رأوا أسامة وثعالة وأبا الحصين وأم عامر وأويسا ... لها حكم الأعلام لفظاً من منع صرف أسامة ، وترك إدخال اللام على نحو أويس ، وإضافة أب وأم وابن وبنات إلى غيرها كما في الكنى في الأعلام الأناسي ، وتجيء عنها الأحوال وتوصف بالمعارف ، ومع هذا كله يطلق على المنكر ، بخلاف نحو : أسد ، وذئب ، وضبع . فإن ذلك لا يجري مجرى الأعلام في الأحكام المذكورة » (١) . ثم أعقب ذلك بما يدل على اقتناعه بمصطلح التعريف اللفظي ، ومحاولة الإقناع به فقال : «واقول : إذا كان لنا تانيث لفظي كغرفة وبشرى وصحراء ، ونسبة لفظية نحو : كرسي ، فلا بأس أن يكون لنا تعريف لفظي إما باللام كما ذكرنا قبل ، وإما بالعلمية في أسامة وثعالة» (٢) . وأنت ترى أنه حصر التعريف اللفظي في نوعين : أحدهما المعرف بلام الجنس كما يقول والثاني علم الجنس .

(١) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٣٢ .

(٢) السابق نفسه . وقد استخدم السهيلي من قبله مصطلحي : التعريف المعنوي والتعريف اللفظي ، لكنه كان يعني بالأول تعريف الأعلام وبالتالي التعريف بالأداة أو الصيغة (انظر : السهيلي : نتائج الفكر ص ٢١٥) .

على أني وجدت جيتييه أشار إلى ما أسماء المنكر لفظاً حين يكون للكلمة لفظ التنكير نحو محمد بالتنوين لكنها تدل على معرفة ، وإلى ما أسماء المعرف لفظاً حين يكون للكلمة لفظ التعريف نحو : بعضه لكنها تدل على نكرة ، واتخذ من ذلك دليلاً على أن المعيارين الشكلي والدلالي كل منهما منفصل عن الآخر (١). ولانعرف على وجه اليقين إن كان قد أقاد في ذلك من الرضي أم كان ذلك استنتاجاً منه ، لكن دلالة ذلك على وجهة رأي الرضي لاتخفى .

تلك هي المحاور الثلاثة التي يدور عليها فيما نرى المعيار الدلالي في الحكم على الكلمة بالتعريف أو التنكير ، ولعله قد ظهر لك من هذا العرض المفصل أن معيار الشيوخ / التعيين كان أقربها إلى اهتمام النحاة وأكثرها إثارة للجدل وخلقاً للمشكلات ، ولاتكاد تجد واحداً ممن هاجموا النحو العربي لم يعرض له بنقد ، ثم كان معيار علم المخاطب أقربها إلى ربط الكلام بالسياق الاجتماعي ، لكن النحاة برغم ذلك لم يولوه العناية الجديرة به ليقوم بدور أساسي في النظرية النحوية العربية . وكان معيار الإشارة إلى خارج أقلها شيوعاً ، وأقرب إلى النزعة الفلسفية منه إلى الواقع اللغوي . لكن المعايير جميعاً تتألف في النظرية العربية وقد تتداخل وتتعارض أحياناً . ولم يحاول أحد من النحاة أن يفصل بينها أو أن يعلي من شأن أحدها على الآخر .

(١) Gätje, H.: Zur Begriff der Determination und Indetermination im Arabischen . S. 232.

الباب الثاني المعيار الشكلي

•
•

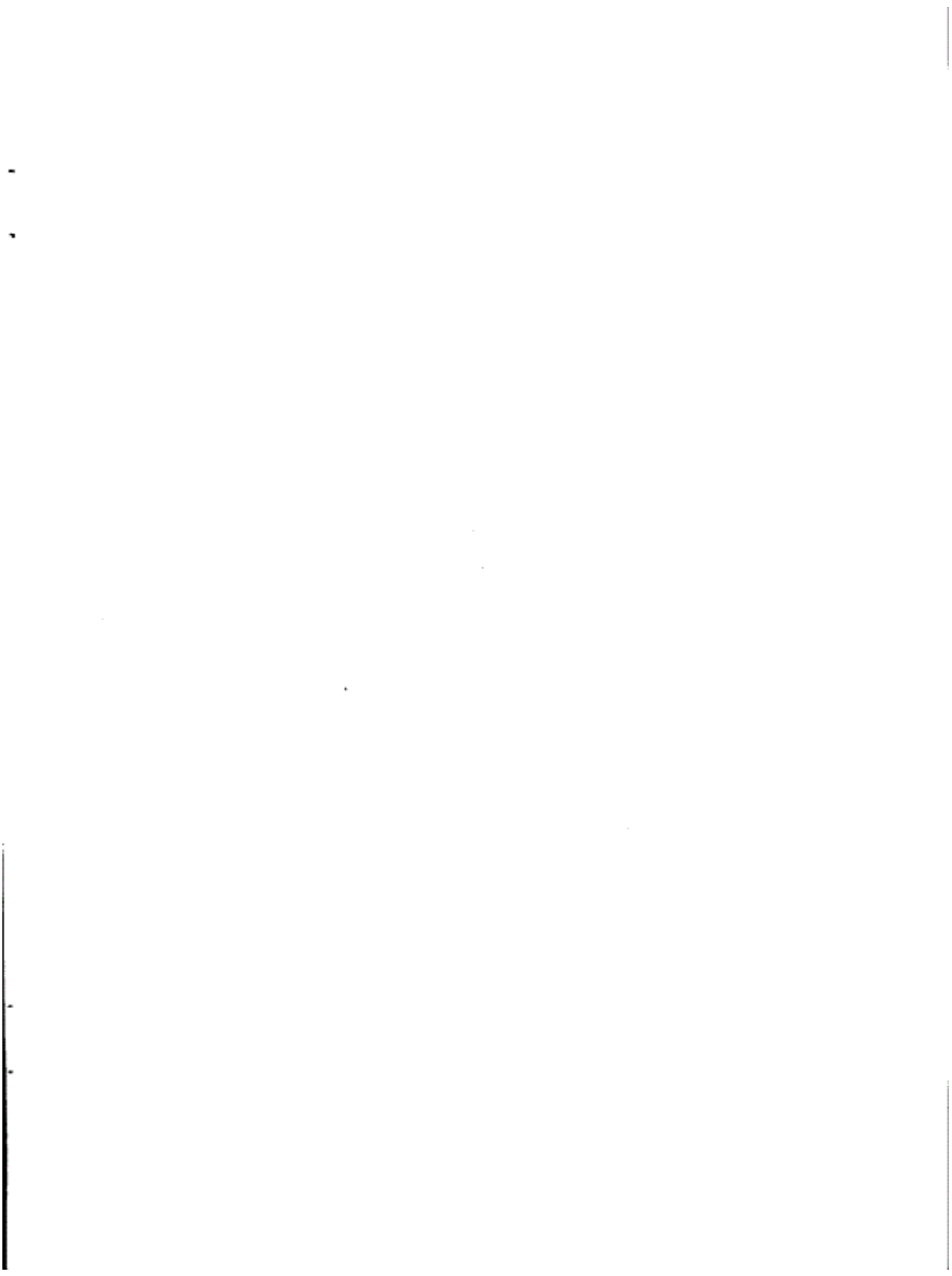
•
•
•
•

•
•

مدخل :

يعتمد نحاة العربية على ما نسميه المعيار الشكلي في الحكم على الكلمة بالتعريف أو التنكير ، كما يعتمدون على المعيار الدلالي . ولا تكاد الحدود الفاصلة بينهما تراعى عند كثير من النحاة : بل المعياران يتداخلان أحياناً ، ويتكاملان أحياناً ، وقد يتعارضان . وليس فصلنا بينهما هنا لغرض الدراسة دليلاً على انفصالهما عند النحاة : فالحق أنهما يتعايشان في النظرية النحوية العربية جنباً إلى جنب ، ولا يجد النحاة بأساً في ذلك : حتى إن العبارة الواحدة عند بعضهم قد تشملهما معاً . وهم يذكرون أحدهما تعليلاً للآخر وتثبيتاً له . والنحاة أنفسهم لا يعنون بالالتفات إلى كل معيار على حدة لاستيفاء جوانبه : بل هذا محاولنا أن نقوم به بأن نجمع ما يدخل تحت كل معيار ، وأن نعيد عرضه على النحو الذي تراه إن شاء الله .

فإذا نظرنا فيما أورده النحاة مما يدخل فيما نسميه المعيار الشكلي وجدناه معياراً جامعاً يشمل أربعة معايير فرعية : أحدها : ما يمكن أن نسميه التوزيع مستعيرين المصطلح من البنيوية الأمريكية ، وثانيهما : ما يمكن أن نسميه الاستبدال مستعيرين المصطلح من البنيوية الأمريكية أيضاً ، وثالثها : البنية الصرقية ، ورابعها : الظواهر النحوية . وسوف نعرض الآن تفصيلاً لهذه المعايير لنتبين كيف استخدمها النحاة في تحديد هذه الظاهرة :



الفصل الأول التوزيع

ونعنى به أن الأداة لا يليها إلا اسم ، وأنه يصير معرفة أو نكرة
بنحولها عليه . فالأداة التي يكون الاسم بها أو بعدها معرفة هي الألف
واللام ، وأداة النداء إذا كان في المنادى لاحقة تفيد البناء على ما يرفع به ،
والعناصر اللغوية التي لا يكون الاسم بعدها إلا نكرة هي : ربّ ، وكم
الخبرية ، ومن الاستفراقية ، ولا النافية للجنس ، ولا العاملة عمل ليس .
وسوف نعرض الآن للقضيتين الأساسيتين اللتين ترتبطان بهذا المعيار
وهما استخدام الأداة ، وامتناع الأداة .

١- استخدام الأداة :

أولاً : التعريف والأداة

قبل أن يعرض النحاة لاستخدام « آل » في العربية و « توزيع »
الاسم بعدها يعرضون لقضية أساسية تتصل بهذه الأداة نفسها من
حيث أصلها : أثنائية الوضع هي أم أحادية ؟ وبعبارة أخرى : هل الأداة
هي « آل » ؟ أو اللام فقط ؟ أو الهمزة واللام فارقة بينها وبين همزة
الاستفهام .

لقد لفتت هذه المسألة نظر عدد من الباحثين المحدثين في الشرق
والغرب فأفردوا لها أبحاثاً مستقلة بعضها يعتمد على المقارنات السامية
كالبحث الذي نشره جلازر E. Glaser سنة ١٨٩٧ في مجلة المستشرقين
الألمان ZDMG بعنوان أصل الأداة العربية (ال) .

(ال) Ursprung des arabischen Artikels

والبحث الذي نشره د. فؤاد حسنين سنة ١٩٤٤ في مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة) وعنوانه : أداة التعريف في اللغة العربية . وبعضها يعتمد على منجزات علم اللغة كبحث الدكتور داود عبده عن أداة التعريف المنشور في كتابه « دراسات في علم أصوات العربية (الكويت د. ت) » ، وبعضها لا يعدو أن يكون ترديداً لما جاء في كتب النحاة المتأخرين كالبحث الذي نشره سالم شليبيك عام ١٩٩١ وعنوانه : « آل » في لغة العرب في مجلة كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس ليبيا (العند الثامن) ، فضلاً عن تعرض الباحثين في فقه اللغات السامية ، ومسائل التعريف والتنكير بصفة عامة، لهذه المسألة . من ثم نرى لزماً علينا أن نعرض لمسألة أصل الأداة قبل أن نعرض لوظيفتها^١ وتوزيع الاسم بعدها .

١- أصل الأداة :

لقد ذكر ابن هشام في « قطر الندى » آراء النحاة قبله في أصل الأداة ، فقال : والمشهور بين النحويين أن المعرف « آل » عند الخليل ، واللام وحدها عند سيبويه ، ونقل ابن عصفور الأول عن ابن كيسان والثاني عن بقية النحويين ، ونقله بعضهم عن الأخفش . وزعم ابن مالك أنه لاخلاف بين سيبويه والخليل في أن المعرف « آل » ، وقال : وإنما الخلاف بينهما في الهمزة زائدة هي أم أصلية ، واستدل على ذلك بمواضع أوردها من كتاب سيبويه . وتلخيص الكلام أن في المسألة ثلاثة مذاهب : أحدها : أن المعرف آل والألف أصل ، والثاني : أن المعرف آل والألف زائدة ، والثالث : أن المعرف اللام وحدها ،^(١) . قال الأزهرى

(١) ابن هشام : قطر الندى . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٦٦) ص ١٥٤ .

معقبا عليه : « وأسقط مذهبا رابعاً هو أن المعرف الهمزة وحدها واللام زائدة للفرق بينها وبين همزة الاستفهام ، وهو مذهب المبرد » (١) . وقد قال الرضي إن المبرد ذكر ذلك في كتاب « الشافي » (٢) فإذا ذهبنا نحقق ما أورده ابن هشام من آراء النحاة من خلال كتب النحو تبين لنا ما يأتي :

١- نسب بعض النحاة القول بثنائية الأداة إلى الخليل ، ونسبه بعضهم إلى ابن كيسان ، ونسبه آخرون إليهما معاً . فمن نسب إلى الخليل الزجاجي (٣) ، وابن يعيش (٤) . والرضي (٥) . والمالقي (٦) ، وابن عقيل (٧) .

ومن نسب هذا القول إلى ابن كيسان ولم ينسبه إلى الخليل السيرافي (٨) وذكر الأزهري أن ابن عصفور نقل ذلك عن ابن كيسان (٩) .

ومن نسب إلى الخليل وابن كيسان معاً السيوطي في جمع

-
- (١) الأزهري : شرح التصريح ١ / ١٤٨
(٢) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٣١ ، وانظر الأزهري : شرح التصريح ٣ / ٧٢ .
(٣) الزجاجي : اللامات . تحقيق مازن المبارك (دمشق ١٩٦٩) ص ١٧ .
(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٩ / ١٧
(٥) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٣١
(٦) المالقي : رصف للمباني في شرح حروف المعاني . تحقيق أحمد محمد الخراط . دمشق (١٩٧٥) ص ٧١ .
(٧) ابن عقيل : شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ١ / ١٧٧ .
(٨) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ٢ / ١٢٦ .
(٩) الأزهري : شرح التصريح ١ / ١٤٨ .

الهوامع (١) فقد وجد بعض المصادر تشير إلى الخليل وبعضها إلى ابن كيسان فنسب القول بثنائية الأداة إليهما معاً (٢).

٢- لم يحقق النحاة صحة النسبة إلى الخليل ، أو إلى ابن كيسان ، أو إليهما معاً ، ومال أغلبهم إلى نسبة ذلك إلى الخليل ، فنقله خلف منهم عن سلف أمراً مقروناً حتى انتهى إلى بعض المحدثين فأخذوا به دون تمحيص . ولم يحقق ذلك من القدماء إلا ابن مالك كما سيأتي .

٣- نص عدد من النحاة على أن سيبويه خالف الخليل في أصل الأداة فرأى أنه اللام فقط وجيء بالهمزة وصله إلى النطق بالسكان ومن هؤلاء ابن يعيش حيث يقول : « واللام هي حرف التعريف وحدها ، والهمزة وصله إلى النطق بها ساكنة . هذا مذهب سيبويه ، وعليه أكثر البصريين والكوفيين ما عدا الخليل » (٣) .

وبناء على هذا الخلاف المزعوم وجدنا من النحاة من يفضل إطلاق « آل » على هذه الأداة أخذنا بالقول المنسوب إلى الخليل ومنهم ابن هشام إذ قال : « ذكرت للاسم ثلاث علامات يتميز بها عن قسيميه : إحداهما آل . وهذه العبارة أولى من عبارة من يقول الألف واللام : لأنه لا يقال في هل الهاء واللام ، ولا في بل الهاء واللام » (٤) . والجدير بالذكر أن سيبويه لا يكاد يستخدم (آل) بل أكثر ما يستخدم « الألف واللام » . ومن النحاة من فضل إطلاق لام المعرفة أو لام التعريف عليها أخذنا

(١) السيوطي : همع الهوامع ١ / ٧٩ .

(٢) السابق : ١ / ٧٨ .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٩ / ١٧ .

(٤) ابن هشام : شذور الذهب ص ١٨ .

بالرأى المنسوب إلى سيبويه ، ومن هؤلاء أبو علي الفارسي (١) ، وابن جني (٢) ، والزمخشري (٣) ، والرضي (٤) .

ومن النحاة من لم يخص سيبويه بالذكر ، بل نسب القول بأن اللام للتعريف وحدها وأن الألف زيدت قبلها للتوصل إلى النطق باللام ساكنة إلى غير الخليل من النحاة ، ومن هؤلاء الزجاجي (٥) ، والمالقي (٦) .

٤- لم يكتف الذين نسبوا إلى الخليل القول بثنائية الأداة بذلك بل مضى بعضهم يلتمس الأدلة التي تقويه مما نقله سيبويه عن الخليل حيناً ، ومما استنبطوه هم أحياناً (٧) . كذلك لم يكتف الذين نسبوا إلى سيبويه القول بأحادية الأداة بذلك ، بل مضوا يناقشون الأدلة التي تقوي المنصب المنسوب إلى الخليل في محاولة منهم لإضعافها ترجيحاً لما زعموا أنه رأي سيبويه (٨) .

٥- من النحاة من لم يثبت خلافاً بين الخليل وسيبويه في أن المعرف « ال » . إنما أثبت خلافاً في الهمزة : أزايدة هي أم أصلية .

(١) أبو علي الفارسي : الإيضاح ١ / ٢٦٥ ، والتكملة ٢ / ١٠ فما بعدها .

(٢) ابن جني : اللعص من ٢٢٢ فما بعدها .

(٣) الزمخشري : المفصل من ٣٩٩ .

(٤) الرضي : شرح الكافية ١ / ١٣ .

(٥) الزجاجي : اللامات من ١٧ .

(٦) المالقي : رصف المباني من ٧٠ .

(٧) انظر : ابن يعيش : شرح المفصل ٩ / ١٨ ، والمالقي : رصف المباني من ٧١ .

والأزهري : شرح التصريح ١ / ١٤٩ ، والسيوطي : همع الهوامع ١ / ٧٩ .

والرضي : شرح الكافية ٢ / ١٣١ .

(٨) انظر : ابن يعيش : شرح المفصل ٩ / ١٨ ، والمالقي : رصف المباني من ٧١ .

والأزهري : شرح التصريح ١ / ١٤٩ .

فالمهمزة عندهما معتد بها لكنها عند الخليل أصلية ، أى جزء من بنية الكلمة ، وهي عند سيبويه زائدة والذي أثبت ذلك ابن مالك . نقل الأزهري عنه قوله : « وهي « ال » لا اللام وحدها وفاقا للخليل وسيبويه ، وليست المهمزة زائدة خلافاً لسيبويه »^(١) . وقال ابن هشام : « وزعم ابن مالك أنه لاخلاف بين سيبويه والخليل في أن المعرف « ال » . قال : وإنما الخلاف بينهما في المهمزة : أزائدة هي أم أصلية . واستدل على ذلك بمواضع أوردها من كلام سيبويه »^(٢) .

٦- يستلفت النظر بعد ذلك أمران : أحدهما : أن ابن هشام جعل المذاهب ثلاثة (بإسقاط ما نسب إلى المبرد) : الأول : أن المعرف ال والالف أصل . والثاني : أن المعرف ال والالف زائدة . والثالث : أن المعرف اللام وحدها . ونحن نتساءل : أئمة فرق بين المذهبين الثاني والثالث يميز أحدهما عن الآخر ، واقع الأمر ينبيه بأنه لا فرق بينهما : إذ اللام وحدها لا تكون حرف تعريف إلا مسبوقة بهمزة الوصل تثبت في أول الكلام وتسقط في الدرج . فهل يعني قوله : الالف زائدة أنها الف غير الف الوصل ؟ وما معنى كونها زائدة ؟

والذي يرجح عندنا أنه لا فرق بين المذهبين الثاني والثالث أن من النحاة من عددهما مذهبين اثنين لا ثلاثة ، ومنهم الزجاجي^(٣) ، وابن يعيش^(٤) ، والسيوطي^(٥) . ويبدو أن لبساً وقع عند ابن هشام بين ما

(١) الأزهري : شرح التصريح ١ / ١٤٨

(٢) ابن هشام : قطر الندى ص ١٥٤ وما بعدها .

(٣) الزجاجي : اللامات ص ١٧

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٩ / ١٧ .

(٥) السيوطي : همع الهوامع : ١ / ٧٨ فما بعدها

ذكره ابن مالك ، وماهو مشهور عند النحويين . فالمشهور عند النحويين أنهما مذهبان : آل بتمامها وهمزتها أصلية مقطوعة ، والثانية اللام وجيء بالهمزة توصلاً إلى النطق بالساكن . وما ذكره ابن مالك أنها آل عند الخليل وسيبويه معاً ، ولكن الأول يرى همزتها همزة قطع أصلية والثاني يراها همزة وصل ليست جزءاً من بنية الكلمة . ولانعرف كيف يفهم من ذلك أن ثمة مذهباً ثالثاً يرى أن اللام فقط حرف تعريف دون أن تكون مسبوقه بهمزة وصل ، وفي هذا ما فيه من مخالفة للأصل : إذ يقتضى وضع كلمة مستحقة للتصدير على حرف واحد ساكن (١) . وأظن أنه من غير المقبول إطلاق كلمة « مذهب » على القول بأن اللام هي المعرفة وحدها حين تسقط في درج الكلام ، فهذا مفهوم من أنها همزة وصل في المذهب الثاني .

لقد كان الخطب هيئاً لو أن الأمر اقتصر على إطلاق كلمة مذهب على سقوط همزة الوصل في درج الكلام ، لكنه أدى إلى لبس عند بعض علماء اللغة المحدثين بنيت عليه نتيجة ، ورجح رأى ، وضعفت آراء . فقد نظر الدكتور دلود عبده - على علمه وفضله - في المذاهب الثلاثة التي أوردها ابن هشام ، والتفت إلى المذهب الرابع الذي استدركه بعض النحاة عليه ونسبوه إلى المبرد ، وصاغ المذاهب الأربعة صياغة حديثة مبيناً ما على كل منها من بعض اعتراضات أشار إليها النحاة ، ثم انتهى إلى ترجيح واحد منها ، وذلك على النحو الآتي :

١- المذهب الأول : تتألف لغة التعريف فيه من ثلاثة أصوات :
الهمزة والفتحة واللام (ء - ل)

(١) السلبق ١ / ٧٩ .

٢- المذهب الثاني : أداة التعريف فيه تتألف من صوتين : الفتحة واللام (لَ -)

٣- المذهب الثالث : أداة التعريف تتألف فيه من صوت واحد هو (ل)

٤- المذهب الرابع : أداة التعريف فيه هي الهمزة المفتوحة (ء -) وقد أشار إلى أن رأي الدكتور كمال بشر يتفق مع المذهب الأول ، وأن رأي الدكتور تمام حسان يتفق مع المذهب الثاني (١).

ونريد أن نفرق ابتداءً بين اجتهاد القدماء في تفسير ظاهرة لغوية واجتهاد المحدثين دون أن نحمل أحدهما على الآخر ، مالم يكن بين أيدينا من القرائن ما يدل على تطابق التصورين . لقد فسر الدكتور داود عبده المذهب الثاني بقوله : « وأما الرأي القائل : إن أداة التعريف هي «ال» ولكن الهمزة غير أصلية فإنه يعني في الواقع أن أداة التعريف هي (لَ -) أي : فتحة ولام » (٢) . وهذا في ظني خلط بين تصور القدماء وتصور المحدثين : لأن القدماء حين قالوا إن الهمزة زائدة كانوا يعنون الهمزة مع حركتها لا الهمزة وحدها ، فهي عندهم إذا ذكرت ذكرت معها الحركة التالية لها ، وإذا سقطت سقطت معها الحركة .

وقد بينا أن المذهب الثالث لا يصح أن يكون مذهباً : أولاً لأنه يعني أن المعرف اللام في درج الكلام فحسب ، ولا تصح نسبته إلى سيبويه

(١) د. داود عبده : أداة التعريف . في : دراسات في علم أصوات العربية . الكويت . مؤسسة الصباح (دت) ص ٧١ .
(٢) السابق ص ٧٣ .

ثانياً ؛ لأن سيبيويه كما زعم ابن مالك - وهو زعم صحيح كما سيوضح بعد - كان يرى أن المعرف ال وهمزتها همزة وصل تذكر في أول الكلام وتسقط في الدرج كهمزة استمع ، وهمزة « ايم الله » . فهي عند سيبيويه معتد بها في أصل الوضع وسقوطها في الدرج ظاهرة من ظواهر الاستعمال .

ومن الغريب بعد ذلك أن يرى الدكتور داود عبده أن ما نسب إلى سيبيويه من أن أداة التعريف هي اللام وحدها هو أصح الآراء عنده برغم الاعتراضات التي توجه إليه ، وقد ذكر بعضها مما أشار إليه النحاة ، ورد عليها بما أوردوا بعضه ، ومنها أن اللام صوت واحد وليس هناك كلمة عربية تتألف من صوت واحد ، قال : ويمكن الرد على هذا بأن أداة التنكير في العربية تتكون من صوت واحد فقط هو النون (١) . ومنها وجود فتحة قبل اللام إذا كانت أول المنطوق فيقال : الولد نشيط في حين أن العلة التي يؤتى بها لتجنب صحيحين متوالين هي الكسرة ، كما هو واضح من كلمات مثل : انكسر ، ابن ، اذهب ... الخ . ثم قال : وفي رأيي أن الأصل هو الكسرة لا الفتحة ، أي أن الأصل أن يقال : الولد نشيط بكسر اللام تماماً كما يقال : « العب » بكسرة قبل اللام ، وأن الفتحة دخلت الفصحى من لهجة كانت تستعمل الفتحة لتجنب توالي الصراح في أول المنطوق وفي وسطه على السواء ، فيقال في تلك اللهجة : ضربت الولد ، كما يقال الولد نشيط (٢) .

(١) السابق نفسه ص ٧٢ .

(٢) داود عبده : أداة التعريف . في : دراسات في علم أصوات العربية ص ٧٤ .

ولعلك لاحظت أنه قطع بأن العلة التي يؤتى بها لتجنب صحيحين متواليين هي الكسرة ، وأورد أمثلة على ذلك ، لكنه أغفل أمثلة أخرى يجب فيها ضم همزة الوصل في نحو أنطلق واستخرج مبنيين لغير الفاعل ، وأمر الثلاثي المضموم العين أصالة مثل : اسخل واكتب ، فضلاً عن أنه افترض أن الفتحة دخلت الفصحى من لهجة كانت تستعمل الفتحة دون أن يحدد اللهجة . ولا دليل عليه .

ثم أنهى الدكتور داود عبده بحثه بقوله : « إن رأي سيبويه يظل أقرب الآراء السابقة إلى الصحة ، فهو يفسر عدم وجود همزة عند الوصل ، كما يفسر وجود الكسرة قبل اللام في وسط العبارة سواءً في الفصحى أو في اللهجات المحكية ، شأنها في ذلك شأن جميع الكلمات التي تبدأ بما يسمى همزة الوصل ، أي الكلمات التي تبدأ بصحيحين متواليين ، (١) .

فأما قوله إنه يفسر عدم وجود همزة عند الوصل فالمنهج الثاني كما أوضحه هو - مع اختلافنا معه في تفسيره - لا تظهر فيه همزة عند الوصل . وأما قوله : إنه يفسر وجود كسرة قبل اللام ، فهذا يعني أنه لا بد من حركة قبل اللام سواء أكانت في درج الكلام أم في أوله ، فعاد المنهج الثالث المنسوب إلى سيبويه إلى ما قبله . ثم إن الزعم بأن الكلمات التي تبدأ بصحيحين متواليين تسبق بكسرة في الوصل ، وتعميم ذلك على الفصحى واللهجات غير دقيق أيضاً ، لأنك تقول في الفصحى : قرأت الكتاب بضمه قبل اللام إن أردت المفرد المتكلم ، وفتحة قبلها إن أردت المخاطب ، وكسرة قبلها إن أردت المخاطبة ، وفي اللهجة

(١) داود عبده : أداة التعريف ص ٧٤ .

المصرية يقال أيضاً : انس الدنيا بفتحة قبلها ، وانسي الدنيا بكسرة قبلها وانسوا الدنيا بضمه قبلها . فالكسرة الطويلة والضممة الطويلة تقصران في الوصل لتصبح كل منهما كسرة قصيرة وضممة قصيرة .

وما قدمناه يفضي بنا إلى الأمر الثاني الذي يستلقت النظر وهو أن النحاة ذكروا ما زعمه ابن مالك من أنه لاخلاف بين الخليل وسيبويه في أن المعرف « ال » وإنما الخلاف في الهمزة الزائدة هي أم أصلية ، وأشاروا إلى أنه أورد مواضع من سيبويه تثبت ذلك ، لكن أحداً من هؤلاء النحاة لم يذكر هذه المواضع ، ولم يحاول أن ينظر في كتاب سيبويه ليتثبت من ذلك ، وكنت قد عقدت العزم للقيام بهذه المهمة ، لكنني آثرت أن أتبع أولاً أبحاث المحدثين لعلي أجد واحداً منهم حقق هذا الخلاف المزعوم بين الخليل وتلميذه ، وقد ظفرت منهم بمن كفاني ذلك ، فقد وجدت الدكتور عبد الكريم الزبيدي حقق ذلك في بحثه : « أداة التعريف في اللغة العربية بين القدماء والمحدثين » فقد نظر الرجل في نصوص سيبويه وانتهى إلى نتيجة أراها صحيحة هي أنه لاخلاف بين الخليل وسيبويه في أن المعرف ال ، وأن الألف فيها موصولة عندهما معاً . قال : « وخلاصة القول أنه لا يوجد خلاف بين سيبويه والخليل في كون الألف واللام معاً أداة التعريف ، وأن ليست واحدة منهما منفصلة من الأخرى ، ولا يوجد خلاف بينهما في الألف أيضاً ، فهما يذهبان إلى أن الألف في (ال) موصولة كالف (ايم) و (ايمن) في القسم ، وهذا ما قرره السيرافي شارح كتاب سيبويه بقوله : فقصة (ايم) عند سيبويه والخليل قصة الألف واللام » (١) .

(١) د. عبد الكريم جواد الزبيدي : أداة التعريف في اللغة العربية بين القدماء والمعاصرين . في : مجلة كلية الآداب . جامعة الإمارات ، العدد الثاني سنة ١٩٨٦ . ص ٣١٣ .

بقي أن ننظر في الرأي المنسوب إلى المبرد الذي يقول إن المعرف هو الهمزة وحدها ، واللام فارقة بين التعريف والاستفهام ، أي أنه يرى الهمزة أصل أداة التعريف ، واللام مجتلبة للفرق . ولانكاد نطمئن إلى نسبة هذا الرأي إلى المبرد ، وإن نقله ثقات كالرضي ؛ لأنه يبدو لي أنه إكمال للقسمة العقلية ، فهناك من يرى الألف واللام كليهما أصليتان ، ومن يرى أن اللام أصلية والألف زائدة ، فلم لا يكون هناك من يقول إن الألف أصلية واللام زائدة ، ولأن ما في المقتضب ينفيه ، ولا يشير إليه من قريب أو من بعيد ، فقد قال في المقتضب : « ومن الفات الوصل الألف التي تلحق مع اللام للتعريف » (١). وقال في موضع آخر : « فلا تكون الف الوصل إلا فيما تكررت لك من الأسماء إلا الألف التي مع اللام للتعريف ، فإنها داخلة على حرف لا يكون إلا ساكناً » (٢) . وقال في موضع ثالث : « ومن الفات الوصل الألف التي تلحق مع اللام للتعريف، وإنما زيدت على اللام لأن اللام منفصلة عما بعدها فجعلت معها اسماً واحداً بمنزلة قد » (٣) .

وظاهر جداً أن رأي المبرد لا يختلف عن رأي الخليل وسيبويه . وليس بين أيدينا دليل ظاهر يؤكد نسبة القول إليه بأن الهمزة للتعريف واللام فارقة . ويؤيد ما نذهب إليه أن أكثر النحويين لم يشيروا إليه، ومن أشار إليه منهم لم يحفل به ، فضلاً عن أن لغويًا حديثًا هو الدكتور داود عبده يرى أنه يصطدم باعتراضات عدة ، منها أنه لا تفسير لوجود اللام؛ لأن الخشية من اشتباه كلمة بأخرى لا يؤدي إلى إضافة صوت إلى

(١) المبرد : المقتضب ١ / ٢٢١ .

(٢) السابق ١ / ٢٨٧ .

(٣) السابق نفسه ٢ / ٩٢ .

إحداهما ، ومنها أن الهمزة إذا كانت من بنية الكلمة لاتسقط في درج الكلام (١).

على أن علماء الساميات يرجحون أن الأصل في أداة التعريف السامية هو الهاء واللام ، ويقولون إن الألف حلت محل الهاء في العربية الفصحى وأن الميم حلت محل اللام في بعض اللهجات العربية القديمة ، وهي لهجات قبائل طيء والأزد وقبائل حمير في جنوب الجزيرة ، وهي الظاهرة المعروفة بالطمطممانية (٢) . لكن الدكتور فؤاد حسنين بعد أن أجاز أن تكون الأداة السامية قد تطورت إلى « ال » في العربية الشمالية ، قال : « والنتيجة التي مهدت لها بهذا البحث وأحب أن أصل إليها هي أن أداة التعريف في لغتنا ليست «ال» ، بل الهمزة والتشديد، وأما « ال » فلم تستعمل إلا في الحالات القليلة السابقة ، والتي يتعذر فيها حقيقة التشديد ، وتتفق لغتنا في هذه الظاهرة مع معظم اللهجات العربية والأسرة الكنعانية » (٣) .

ولا نكاد نفهم أن يكون التشديد جزءاً من بنية أداة التعريف ، والأقرب إلى الفهم أن يكون هذا التشديد ناتجاً عن تماثل صوتين مخرجاً وصفة ، فاللام حين جاورت بعض أصوات العربية تحولت إلى صوت مماثل له ، فحدث التشديد أو الإدغام أو المماثلة الكلية بمصطلح المحدثين ، والمعروف أن هذه المماثلة تكون حين تجاور اللام أربعة عشر

(١) د. دلود عبده : أداة التعريف ص ٧٢ .

(٢) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي . (القاهرة ١٩٨٥) ص ٢٤٤ فما بعدها .

(٣) د. فؤاد حسنين : أداة التعريف في اللغة العربية . في : مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (- القاهرة) م ٧ يولية ١٩٤٤ ص ١٧٧ .

صوتاً من أصوات العربية (١).

٢- توزيع الأداة

أولاً : الأداة والتعريف

أ- ال :

١- مايقبل دخول (ال) عليه :

النحاة على أن في اللغة أسماء تقبل دخول (ال) عليها ، ويجوز أن تستعمل خالية منها ، وهذه الأسماء عندهم نوعان : نوع تؤثر فيه (ال) التعريف ونوع لا تؤثر فيه التعريف . فما تؤثر فيه التعريف لا يكون إلا نكرة قبل دخولها ، ويرتد إلى النكرة بعد إسقاطها عنه . وهذا ظاهر في قول سيبويه : « ... وأما ابن لبون وابن مخاض فنكره لأنها تدخلها الألف واللام ، فإذا أخرجت الألف واللام صار الاسم نكرة » (٢) . وقول ابن عصفور : « ... والمعرف بالألف واللام وهو كل ما يكون بهما معرفة ، فإذا زالتا منه كان نكرة نحو : الرجل والغلام » (٣) .

من ثم جعل ابن مالك وشراحه من بعد قبول الاسم دخول (ال) عليه مؤثرة فيه التعريف دليلاً على تنكيره (٤) .

(١) انظر : ابن الأنباري : أسرار العربية ص ٤٢٦ ، ود . رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ص ٢٤٤ وما بعدها .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ٩٩ .

(٣) ابن عصفور : المقرب ١ / ٢٢٢ ، وانظر : ابن السراج : الأصول ١ / ٤٢ ،

والسيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١٧٩ والزجاجي : اللامات ص ٢١ ،
والزمخشري : المفصل ص ٣٢٦ والسيوطي : الأشباه والنظائر ١ / ٣١٨ .

(٤) انظر : ابن عقيل : شرح ابن عقيل ١ / ٨٦ ، والأشموني : شرح الأشموني على الفية ابن مالك (القاهرة د.ت) ١ / ٦٧ .

وقد نص ابن يعيش على أن أداة التعريف لا تلزم ، بل يجوز إسقاطها وزعم أن ذلك مبني على الاستقراء . قال : « ... ولام التعريف لانعرفها جاءت لازمه ، بل يجوز إسقاطها » (١) . وقال : « ... لأننا استقرينا جميع ما فيه لام التعريف فإذا إسقاط لامة جاز نحو الرجل ورجل ، والغلام وغلام » (٢) . من هنا جعل بعض النحاة لزوم الألف واللام للاسم دليلاً على أنهما ليستا للتعريف ، على حين رأى بعض آخر أن المعرفة قد ترد لازمة . وسيأتي حديث ذلك إن شاء الله .

أولاً : ما يقبل ال مؤثرة فيه التعريف :

المتتبع لما جاء في كتب النحو يجد (ال) لاتفيد التعريف إلا إذا دخلت على واحد مما يأتي :

١- اسم الجنس (٣) : سواء كان لذات أم لمعنى ، وهو اسم جامد يعده النحاة أصل الأسماء . يقول ابن يعيش : « .. لأن الألف واللام لاتكون في أسماء الأجناس التي هي الأصول إلا معرفة » (٤) . وقد مثل له ابن السراج بقوله : نحو الرجل والإنسان والمرأة والجمل والحمار والدينار والدرهم والضرب والأكل والنوم والحمرة والصفرة والحسن والقبح (٥) . وواضح من تمثيله أنه يشمل أسماء الذوات عاقلة وغير

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ١٤١ ، وانظر : ابن هشام : مقني اللبيب ١ / ٥٠

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٤ / ١٠٤ .

(٣) انظر في تحديد هذا المصطلح ابن يعيش : شرح المفصل ١ / ٢٦ .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٦ / ٦٠ ، وانظر السيرافي : شرح كتاب سييويه ١ / ٣٥ .

(٥) ابن السراج : الأصول ٢ / ١١١ .

عاقلة منكرة ومؤنثة ، وأسماء المعاني سواء أكانت دالة على حدث أم غيره . وقد ذكر الأزهري أن ثمة اتفاقاً على أن (ال) الداخلة على الجامد معرفة . قال : « وهي مع الجامد معرفة اتفاقاً » (١) .

وفي كلام سيبويه ما يدل على أن دخولها على اسم الجنس لا يكون إلا للتعريف ، وإسقاطها عنه مؤذن بالتنكير . يقول : « وأما الألف واللام فنحو الرجل والفرس والبعير وما أشبه ذلك . وإنما صار معرفة لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته ، لأنك إذا قلت : مررت برجل فإنك إنما زعمت أنك مررت بواحد ممن يقع عليه هذا الاسم لاتريد رجلاً بعينه يعرفه المخاطب . وإذا أدخلت الألف واللام فإنما تذكره رجلاً قد عرفه ... » (٢) .

وقد يطلق بعض المحدثين على هذا النوع من الأسماء مصطلح « الاسم العام » (٣) يقابلون به المصطلح الانجليزي Common noun .
وصاغ د. محمد فتوح قاعدة تعريفه على النحو الآتي :

[+ عام] ← [+ معرف] / ال _____

قال : « وتقرأ كما يلي :

الأسماء المتسمة بالسمة (+ عام) تتسم بالسمة (+ معرف)

إنما ما وقعت بعد أداة التعريف ال ، أي : في المكان الذي تشغله الشرطة الكبيرة » (٤) .

(١) الأزهري : شرح التصريح على التوضيح ١ / ١٣٧ .
(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ٥ ، وانظر : الفارسي : التعليق ١ / ١٤ - ١٥ .
(٣) أنظر د. إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة (القاهرة ١٩٨٥) ص ٢٨٢ .
(٤) د. محمد فتوح : التمهيد الذي صدر به ترجمته لكتاب تشومسكي : المعرفة اللغوية : طبيعتها وأصولها واستخدامها . (القاهرة ١٩٩٢) ص ٢٧ .

٢- اسم الجنس الجمعي ويفرق بينه وبين واحده بالتاء نحو : تمر وتمررة وكلم وكلمة ، وكذلك اسم الجمع سواء اكان له واحد من لفظه مثل ركب وصاحب أم لم يكن كقوم ورهط (١) .

٣- الصفة التي استعملت استعمال الأسماء نحو : المؤمن والكافر والكاتب والصاحب ، قال في مثلها حرف تعريف لا موصولة . وكذلك كلمة دنيا ؛ إذ الأصل فيها أنها صفة على وزن « فعلى » منكرها الأدنى ، وكان القياس أن تلزمها (ال) فلما غلب استعمالها استعمال الأسماء الجامدة أجروها مجراها تعريفاً وتنكيراً (٢) .

٤- الأسماء المثناة والمجموعة بعد أفراد مما لا يدخل في الصفة الصريحة (والمقصود بالصفة الصريحة اسم الفاعل واسم المفعول) ؛ لأن ما ثني أو جمع بعد أفراد لا يكون إلا نكرة ، ولا تدخل عليه الألف واللام إلا للتعريف (٣) . إلا أن يكون أفعال تفضيل مجرداً من (من) (٤) .

٥- الصفات غير الصريحة وما في حكمها كأفعال التفضيل نحو : الأفضل ، قال الداخلة عليه ليست موصولة اتفاقاً (٥) . وذلك مفهوم أيضاً من قول سيبويه : « ... وذلك قولك : هذا الحسن الوجه ، أدخلوا الألف واللام على حسن الوجه لأنه مضاف إلى معرفة لا يكون بها

(١) انظر : شرح الأشموني على الفية ابن مالك ٢ / ٤٦١ .

(٢) انظر : الزجاجي : اللامات ص ٢٤ . وابن هشام : قطر الندى ص ١٤٢ .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٦ / ١٠٠ .

(٤) ابن السراج : الأصول ٢ / ١١٣ ، والسيوطي : همع الهوامع ١ / ٤٦ .

(٥) الأشموني : شرح الأشموني ١ / ١٢٤ . وانظر : ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٤٩ . والأزمري : شرح التصريح ١ / ١٣٧ .

معرفة أبدا « (١) . وهم يعدون من الصفات غير الصريحة المنسوب نحو: القوشي (٢) وكذلك « شبيه بك » وتعريفها بالألف واللام (٣) .

٦- الأعداد : سواء اكانت اعداداً مركبة أم معطوفة أم مفردة مقيدة بمعنود منكور أو محذوف ، جاء في المقرب لابن عصفور : .. وتعريف المركب بإسخالها على الاسم الأول نحو : الأحد عشر رجلاً ، وتعريف المعطوف والمعطوف عليه بإسخال الألف واللام على الاسمين نحو الثالثة والعشرين ، وتعريف المفرد بإسخال الألف واللام عليه نحو : الواحد والاثنين ، (٤) .

أما الأعداد المطلقة نحو : ثلاثة أقل من أربعة فبعض النحاة يراها معرفة بالعلمية ، فإننا دخلت عليها ال كانت مما اعتقب عليه تعريفان : تعريف العلمية وتعريف (ال) . وقد ذكر الرضي أن ابن جنبي أثبت تعريف العلمية للعدد المطلق وأن الزمخشري ضعفه (٥) .

٧- الأسماء الأعجمية التي ليست أعلاماً مثل : ديباج وإبرسيم ونيروز وفرند وزنجبيل ... قال المبرد : « وما كان من الأعجمية معرباً فهنا سبيله . والمعرب منها ما كان نكرة في بابه ؛ لأنك تعرفه بالألف واللام فإن كان كذلك كان حكمه حكم العربية لا يمنعه من الصرف إلا ما

(١) سيبويه : الكتاب ١ / ١٩٩ .

(٢) ابن عقيل : شرح ابن عقيل ١ / ١٥٦ .

(٣) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٣ .

(٤) ابن عصفور : المقرب ١ / ٣١١ .

(٥) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٣٥ ، وانظر : المبرد : المقتضب ٢ / ١٦٥ ، وابن

السراج ٢ / ١٤ والزجاجي : الجمل ص ١٢٩ وابن يمش ٦ / ٢٣ .

يمنتجها فصرح بذلك :: رافيريد وجيلموس ورفيريد :: لأنك تعرفه بالألف واللام (٢٦).

وقال ابن السراج :: « فقلنا ما المربطة العربية من التكررات من كلام الصيغ والمنطقت عليه الألف واللام فقد أجروها مجرى ما أصله بمثلها له .. وذلك نحو :: سيباج والبريسم ونيرون ورفيريد ورفيريد ورفيريد ورفيريد ورفيريد .. فهذا كله قد المربطة العربية فهي تكررته .. والمنطقت عليه الألف واللام (٢٧) .

٨- ألقاب حروف الهجاء :: قال سيبويه :: « وأما الباء، والتاء، والثاء، والياء، والنون، والراء، والطاء، والظاء، والفاء فيبدأ صون الأسماء مدحون كما مدحت لا .. إلا أنهم إذا كن الأسماء فهون يجرى مجرى رجل ونحوه، ويكون تكررته بغير ألف واللام (٢٨) »

٩- كلمة « صور » إذا استحصلت غير معدولة لا تعرف إلا بالألف واللام .. قال سيبويه :: « ... إذا قلت منذ الصور، أو عند الصور الأظرف لم يكن إلا بالألف واللام .. فهذه حاله .. لا يكون معرفة إلا بهما، ويكون تكررته إلا في الموضع الثاني على فيه (٢٩) .

١٠- العلم إذا استعمل جتملاً نحو : نضم الصور عمر بين الخطيب أو اسم جتمى جسمى نحو :: اليهود والجيوس (٣٠) ، أو اسماً من الأسماء أيا لم الاسبورج فيصا يرض المبريد .. كما نكر ذلك أبو حيان (٣١) .

(٢٦) المبريد : المقتضب ١٣ // ١١٢٥٠ ..

(٢٧) ابن السراج : الأصول ١٣ // ٩٤٢ ..

(٢٨) سيبويه : التكميل ١٣ // ١٣٢٤ ..

(٢٩) السائق ١٣ // ١١٢٥٠ ..

(٣٠) ابن السراج : الأصول ١٩ // ١٢٩٩ فقط بهما، والفارسي : التكميل ٢٢ // ١٢٥٠ ..

(٣١) أبو حيان الأندلسي : ترويض الألف واللام ١١ // ٤٩٦٦ ..

١١- اسما الفاعل والمفعول : والجمهور على أن ال فيهما موصولة خلافاً للأخفش الذي رأى أنها فيهما حرف تعريف . وقد رفض الدكتور عبد الرحمن أيوب رأى جمهور النحاة لسببين : أحدهما أن الاسم الموصول تعريفه عندهم بال أو بالصلة ، وليس من المتصور أن تكون ال معرفة بأخرى مقدرة ، وكذلك تعريفها بالصلة قلب للأوضاع ، فبدلاً من أن تكسب الاسم التعريف أصبحت تكتسب منه التعريف . ويتساءل: هل قائم دون ال معرفة أو نكرة ؟ ويجيب : إنه ليس من المعارف التي نكروها ، وهو لذلك نكرة . ومن المعلوم أن كل نكرة تقبل (ال) وتكتسب التعريف بدخولها ، وهو مبدأ قرره (١) .

ويبدو لي أن ال هذه داخلة على صفة قائمه مقام موصوف محذوف، إذ الأصل في نحو قعد القائم : قعد الرجل القائم أو نحوه ، ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه فأخذت حكمه . من هنا نرى رأى من قال إنها حرف تعريف .

وجمهور النحاة على أن التعريف بالالف واللام نوعان : تعريف عهد ، وتعريف جنس، وكل منهما ثلاثة أنواع : فأما العهد فأنواعه هي:
١- ذكري : وهو أن يتقدم لمصحوب الألف واللام ذكر نحو قوله تعالى : كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول . وقوله جل وعز : فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجاة كأنها كوكب دري(٢).

(١) د. عبد الرحمن أيوب : دراسات نقدية في النحو العربي (القاهرة ١٩٥٧)
ص ٩٩
(٢) ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٥٠ .

والألمانية والإنجليزية في ذلك كالعربية ، فإننا ذكر الاسم فيهما
نكرة ، ثم أعيد ذكره في سياق لغوي واحد أعيد معرفة . ففي الألمانية
يقال : (١)

Dort steht ein Haus . Das Haus gehört meinem Freund.

ويقال في الإنجليزية (٢)

His car struck a tree ; you can still see the mark on the tree .

وقد نكر ابن هشام ضابطاً يعرف به (ال) التي للعهد الذكري هو
صحة أن يسدَّ ضمير المتقدم مسدّها مع مصحوبها (٣) . وذكر بعض
نحاة العربية أن فائدة (ال) التي للعهد الذكري التنبيه على أن الثاني هو
الأول : لأنه لو أعيد منكراً لتوهم السامع أنه غير الأول (٤) . قال ابن
هشام ويشكل عليه قوله جل وعزَّ (الله الذي خلقكم من ضعف)
الآية (٥) ، وقوله جل وعزَّ : (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله)
والله إله واحد سبحانه وتعالى (٦) . ولعلَّ الأقرب إلى القبول أن يقال إن
تقدم نكره جعله متصوِّراً أو معروفاً لدى المخاطب .

(١) Helbig , G . & Buscha , J . : Deutsche Grammatik (Leipzig 1980) S. (١)
331 .

(٢) Thomson , A. J. & Martinet, A.V. : A Practical English Grammar.(٢)
(Oxford 1986) p. 19 .

(٣) ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٥٠ .

(٤) انظر : الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٣١ ، والأزهري : شرح التصريح ١ / ١٥٠ ،
والسيوطي ١ / ٧٩ .

(٥) تاملها : ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشبهة
يخلق ما يشاء وهو المعلم القدير (الروم ٥٤) .

(٦) ابن هشام : مغني اللبيب ٢ / ٦٥٧

٢- علمي أو ذهني : وهو أن يتقدم لمصحوب اللام علم به قبل ذكره نحو قوله تعالى : (إذ هما في الغار) ، (إذ يبأيعونك تحت الشجرة) ، (إذ ناداه ربه بالواد المقدس)؛ لأن ذلك معلوم عندهم (١) .

٣- حضوري : وهو أن يكون مصحوب اللام حاضراً وقت التكلم نحو قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، أي اليوم الحاضر وهو يوم عرفه ومنه قولك لمن لم تره من قبل ، ولم يتقدم له ذكر في الكلام : « يا أيها الرجل أقبل » .

وقد نقل ابن هشام عن ابن عصفور تحديده للمواضع التي يكون فيها العهد حضوريا قائلاً : « قال ابن عصفور : ولاتقع هذه إلا بعد أسماء الإشارة نحو : جاءني هذا الرجل ، أو أي في النداء نحو : يا أيها الرجل ، أو إنا الفجائية نحو : خرجت فإذا الأسد ، أو في الزمان الحاضر نحو : الآن » (٢) . ثم قال ابن هشام : « وفيه نظر : لأنك تقول لشاتم رجل بحضرتك : لا تشتم الرجل ، فهذه للحضور في غير ما ذكر ، ولأن التي بعد إذا ليست لتعريف شيء حاضر حالة التكلم فلا تشبه ما الكلام فيه ، ولأن الصحيح في الداخلة على الآن أنها زائدة لأنها لازمة ، ولا يعرف أن التي للتعريف وردت لازمة بخلاف الزائدة ، والمثال الجيد للمسألة قوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم » (٣) .

ويبدو لي أن العهد الحضوري وظيفته إشارية تقوم بها (ال) ، ولا

(١) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٣١ ، ابن هشام : مغني اللبيب ٢ / ٦٥٧ ، الأزهرى : شرح التصريح ١ / ١٥٠ ، السيوطى : معجم الهوامع ١ / ٧٩ .
(٢) ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٥٠ ، وانظر ابن يعيش : شرح المفصل ٩ / ٢٠ ، والأزهرى : شرح التصريح ١ / ١٥٠ .
(٣) ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٥٠ .

أدل على ذلك من أنه يجوز وضع اسم الإشارة قبلها مع مصحوبها ، فإذا حذف اسم الإشارة أو استغنيا عنه قامت (ال) بوظيفته وأغنت عنه ، فإذا نكر اسم الإشارة معها كانت لتأكيد الحضور . وهذه الوظيفة الإشارية die demonstrative Funktion موجودة في الألمانية في نحو قولهم : Ich meine die Frau da drüben مع فارق في الاستعمال إذ يمكن أن يحل اسم الإشارة محل الأداة في الألمانية ولا يمكن ذلك في العربية .

لقد نص ابن يعيش على أنه لا بد في تعريف العهد من ثلاثة : المذكور والمتكلم والمخاطب (١) . وجعل السيوطي تعريف الحضور أقوى من تعريف العهد (٢) .

وجعل ابن عصفور الحكم على التعريف بالألف واللام بأنه تعريف حضور أو تعريف عهد موجهاً للإعراب ، فقد نقل ابن هشام عنه قوله : أجازوا في نحو : مررت بهذا الرجل كون الرجل نعتاً وكونه بياناً مع اشتراطهم في البيان أن يكون أعرف من المبين ، وفي النعت ألا يكون أعرف من المنعوت ، فكيف يكون الشيء أعرف وغير أعرف ؟ وأجاب بأنه إذا قدر بياناً قدرت (ال) فيه لتعريف الحضور ، فهو يفيد الجنس بذاته والحضور بدخول (ال) ، والإشارة إنما تدل على الحضور دون الجنس . وإذا قدر نعتاً قدرت (ال) فيه للعهد ، والمعنى : مررت بهذا وهو الرجل المعهود بيتنا ، فلا دلالة فيه على الحضور ، والإشارة تدل عليه فكانت أعرف ، قال : وهذا معنى كلام سيبويه (٣) .

(١) ابن يعيش ٥ / ٨٦ .

(٢) السيوطي : همع الهوامع ١ / ٥٦ .

(٣) ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٥١ .

وقد نص ثعلب على أن تعريف المصادر لا يكون إلا تعريف عهد .
قال : « والمصادر كلها إذا دخلت فيها الألف واللام كانت لمعهد » (١) .

وأما تعريف الجنس - والمقصود به أن تدخل الألف واللام لتعريف
الجنس كله لا لتعريف فرد منه (٢) - فأنواعه ثلاثة أيضا هي :

١- أن يكون لاستغراق الأفراد ، وله ضوابط (٣) :

أحدها : أن يصح وقوع كل "موقع الألف واللام حقيقة لا مجازا نحو
قوله تعالى : (وخلق الإنسان ضعيفا) .

ثانيها : أن يصح الاستثناء مما دخلت عليه الألف واللام كقوله
تعالى : (إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) . قال
ابن يعيش ، فالإنسان هنا عام يراد به جميع الأتَمِيين بدليل استثناء
الجمع منه : لأنه إنما يستثنى الأقل من الأكثر (٤) .

ثالثها : أن يصح نعتة بالجمع كما في قوله تعالى : (أو الطفل
الذين لم يظهروا على عورات النساء) وقولهم : أهلك الناس الدينار
الحمير والدرهم البيض .

رابعها : أن يصح إضافة أفعال إليه .

٢- أن يكون لاستغراق خصائص الأفراد ، أو لشمول بعض ما

(١) ثعلب : مجالس ثعلب . تحقيق عبد السلام هارون . القسم الثاني (القاهرة
١٩٨٠) ص ٣٩٧ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٩ / ١٩ .

(٣) انظر : ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٦ ، وابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٥٠ .

والأزهري : شرح التصريح ١ / ١٤٩ ، والسيوطي : همع الهوامع ١ / ٧٩ .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٦ .

يصلح له اللفظ . وضابطه أن يصح فيه وقوع « كل » موقع الألف واللام مجازاً لاحقية فالأول نحو قولك : زيد الرجل علما ، أي الكامل في هذه الصفة : إذ إنه لو قيل : أنت كل رجل علماً لصح على المجاز ، بمعنى أنه اجتمع فيه كل ماتفرق في غيره من حيث كماله في العلم ، ولا اعتداد بعلم غيره لقصوره عن رتبة الكمال (١) .

والثاني نحو قولك : جمع الأمير الصاغة ، فكل تقع فيه موقع الألف واللام مجازاً ، ولكنها ليست لشمول الخصائص ، وإنما لشمول بعض ما يصلح له اللفظ ، وهو صاغة بلد الأمير ، أو صاغة مملكته دون من عداهم (٢) .

٣- أن يكون لبيان الحقيقة أو ماهية الجنس : وضابطه : أنه لا يجوز أن تخلف فيه « كل » الألف واللام لا حقيقة ولا مجازاً ، نحو قوله تعالى : (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ، وقولك : والله لا أتزوج النساء ، ولا ألبس الثياب ، ولذلك يقع الحنث بالواحد منها (٣) . قال الرضي : « ولا دلالة فيه على القلة ولا الكثرة ، بل ذاك احتمال عقلي كما في قوله تعالى (لئن أكله الذئب) ولم يكن هناك نثب معهود ، ولم يرد استغراق الجنس أيضاً ، ومثله قولك : ادخل السوق واشتر اللحم ، وكل الخبز ، فهذا النوع من الجنس لا يناقض الوحدة ، إذ لا دلالة فيه على الكثرة » (٤) .

(١) الأزهري : شرح التصريح ١ / ١٥٠ .

(٢) انظر : ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٥٠ ، والأزهري : شرح التصريح ١ / ١٥٠

والسيوطي : همع الهوامع ١ / ٧٩ .

(٣) ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٥٠ ، والسيوطي همع الهوامع ١ / ٧٩ .

(٤) الرضي : شرح الكافية ١ / ٤ .

وقد فرق بعض النحاة بين تعريف العهد وتعريف الجنس ، فتعريف العهد قد يكون بتقديم الذكر ، ولذلك يحسن أن يقع موقعه المضمرة ، وليس كذلك تعريف الجنس (١) .

على أن بعض نحاة الإنجليزية لم يكن بعيداً عن مفهوم تعريف الجنس ، إذ أثبت في الإنجليزية تعريفاً يميز به جنس من جنس . قال كلوس في إيضاحه لتعريف The lion في الجملة : The lion is the king of the beasts ما يكاد يتطابق مع ما قاله النحاة العرب :

" an imaginary representative of a class , as distinct from animals of other classes " (٢)

ومن النحاة من رأى أن التعريف لا يكون إلا للعهد ، وأن تعريف الجنس في الحقيقة تعريف عهد : لأنك إذا قلت : الدينار خير من الدرهم فأنت تقصد أن جنساً معهوداً على شكل من الأشكال وقيمة من القيم خير من جنس آخر معهود على شكل من الأشكال وقيمة من القيم ، فالتعريف كله تعريف عهد (٣) . فجعل العهد كما ترى شاملاً للأفراد والأجناس .

ثانياً : ما يقبل (ال) غير مؤثرة فيه التعريف :

وهو نوعان : نوع إذا حذفته منه (ال) لم يعد نكرة ، بل يظل معرفة . ونوع إذا دخلت عليه (ال) لم تكسبه تعريفاً معنوياً ، وإن ظل

(١) انظر : ابن يعيش : شرح للفصل ٩ / ١٩ .

(٢) Close , R.A.: English as a foreign language p. 48 .

(٣) انظر : السيوطي : معجم الهوامع ١ / ٧٩ .

يستخدم استخدام المعارف .

فمن النوع الأول دخولها على الأعلام المنقولة عن الصفات والمصادر نحو الحسن والعباس والفضل والنضر ، وكذلك ما نقل من اسم عين إذا كان مشعراً بمدح أو ذم نحو : الأسد ، فإن الألف واللام فيه للمح الأصل لا للتعريف ؛ لأن تعريفه بالعلمية (١) . أما إن نقل إلى العلمية مجرداً من (ال) فلا يجوز دخولها عليه بعد النقل نحو : سعيد ومكرم (٢) . فإن فقد علميته وأصبح دالاً على الجنس كان (ال) فيه لتعريف الجنس كقولهم : نعم العمر عمر بن الخطاب ، ويثس الحجاج حجاج بن يوسف ، تجعل العمر جنساً لكل من له هذا الاسم وكذلك الحجاج (٣) ، كذلك إن استخدم العلم اسم جنس جمعي نحو : اليهود والمجوس ، فإن ال فيه للتعريف (٤) .

وقد حدد النحاة مفهوم المنقول بأنه ما حفظ له أصل في النكرات ، أو ما سبق له وضع في النكرات (٥) .

و (ال) تسقط من هذا النوع من الأعلام عند النداء ، فلا يصبح الاسم نكرة ، بل يظل معرفة علماً نحو : يا حسن ويافضل (٦) ؛ لأن

(١) الرضي : شرح الكافية ١ / ١٣٩ - ١٤٠ ، وأبو حيان : ارتشاف الضرب ١ / ٤٩٩ - ٥٠٠ ، والأزهري : شرح التصريح ١ / ٩٤ ، والسيوطي : الأشباه والنظائر ٢ / ١١٢ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ١ / ٢٩ .

(٣) ابن السراج : الأصول ١ / ١٩ ، والزمخشري : المفصل ص ١١ .

(٤) سيبويه ٣ / ٢٥٤ ، والفارسي : التكملة ٢ / ١٢٥ .

(٥) أبو حيان : ارتشاف الضرب ١ / ٤٩٦ .

(٦) الزجاجي : اللامات ص ٢٥ ، والسيوطي : همع الهوامع ١٧٤ .

(يا) لاتدخل على ما فيه (ال) إلا لفظ الجلالة نحو : يا الله (١) .

ويرى بعض النحاة أن العلم المجرد من (ال) يقبل دخولها غير موثرة فيه التعريف نحو : عباس ، إذ يجوز أن تدخل عليه الألف واللام فتقول : العباس . يقول ابن عقيل : « واحترز بقوله : وتؤثر فيه التعريف مما يقبل (ال) ولا تؤثر فيه التعريف كعباس علماً ، فإنك تقول فيه العباس فتدخل عليه (ال) ، لكنها لم تؤثر فيه التعريف ، لأنه معرفة قبل دخولها عليه » (٢) . وهو ينطلق في ذلك مما قرره كثير من النحاة من أن (ال) في الأعلام المنقولة زائدة زيادة غير لازمة (٣) .

وقد فهم ابن عقيل وغيره أن قولهم زائدة يعني جواز إسقاطها ، وليس هنا صحيحاً فيما يرى اللقاني فيما نقله عنه الصبان ، يقول الصبان : « والمراد بزيادتها كما قال الناصر اللقاني كونها غير معرفة ، لاصلاحيتها للسقوط : إذ اللازم لا يصلح له » (٤) .

من ثم رأينا إسقاط (ال) منه لا يكون إلا عند النداء ، فالعلم إما أن يكون فيه (ال) عند التسمية به فتلزمه ، وإما أن يخلو منها عند التسمية فيستلزم تجرده منها ، فمن أسمه الحارث لم يكن في الحقيقة مجرداً من اللام ثم أضيفت إليه ، لكنه هكذا سمي ، وكذلك من سمي حارثاً ، لا يقبل بعد العلمية دخول (ال) عليه ، ولذلك جاز عندهم النقل بـ (ال)

(١) الزمخشري : المفصل ص ٤١ ، وابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ٨ .

(٢) ابن عقيل : شرح ابن عقيل . تحقيق محمد معيي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٨٠) ١ / ٨٦ .

(٣) انظر : الزمخشري : المفصل ص ١١ ، والرضي : شرح الكافية ١ / ١٣٩ والأشموني ١ / ١٨٠ .

(٤) الصبان : حاشية الصبان ١ / ١٨٠ .

ويدونها قال سيبويه : « وزعم الخليل رحمه الله أن الذين قالوا الحارث والحسن والعباس إنما أرادوا أن يجعلوا الرجل هو الشيء بعينه ، ولم يجعلوه سمي به ، ولم يجعلوه كأنه وصف غلب عليه ، ومن قال حارث وعباس فهو يجريه مجرى زيد » (١) . وبين السيوطي الفرق بين ما يستخدم منها بالأداة وما يستخدم مجرداً منها ، فقال : « ... فإن لمح فيها الأصل دخلت الأداة ، فيقال الفضل والحارث والليث ، وإن لم يلح استديم التجرد » (٢) .

ومما يدخل في الأعلام التي تستخدم مقترنة بال فإنها حذف منها ظل الاسم معرفة كلمة « الاثنين » علماً على يوم من أيام الأسبوع ، ويجوز عندهم استخدامها غير مقترنة بال دون سائر أسماء الأيام ، فقد نص سيبويه على أن العرب تقول : هذا يوم اثنين مباركا فيه ، وأتيتك يوم اثنين مباركا فيه ، وقال : « جعل اثنين اسماً له معرفة كما تجعله اسماً لرجل » (٣) لكنه إذا اقترن بال لا تكون فيه للتعريف ؛ لأنه معرفة بالعلمية ، خلافاً للمبرد (٤) .

ومن هذا النوع أيضاً ما كان كناية عن أعلام البهائم ، فيقال : الفلان والفلانة ، وأبو الفلان وأبو الفلانة ، فال فيه ليست للتعريف ؛ لأنه معرف بالعلمية ، وإنما أل فيه للفرق بين الكناية عن أعلام البهائم وأعلام الأناسي . فإذا سقطت لا يصبح الاسم نكرة ، بل يظل معرفة لكن تتحول دلالته إلى أعلام الأناسي . يقول السيوطي : « كنت العرب عن

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٠١ .

(٢) السيوطي : معجم الهوامع ١ / ٧٢ .

(٣) سيبويه : الكتاب ٢ / ٢٩٢ .

(٤) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٣٦ .

علم المنكر العاقل نحو زيد يفلان — والدليل على أنه علم منح مؤنثه من
الصرف في قوله : فلانة أضحت خلة لفلان . وكنوا عن علم مالا يعقل
بالفلان في المنكر والفلانة في المؤنث « قولوا ((ال)) قولاً بين العاقل
وغيره » (١) .

ومن النوع الثاني الذي تتخل عليه ((ال)) قلا تقييده تعريفاً معتوباً
لكنه يستخدم لفظاً استخدام المعارف ما يأتي :

١- اسم الجنس الإفراني - وهو توح من الأسماء غير معدود يدل
على كمية أو مقدار ، ويستوي فيه القليل والكثير نحو غسل وماء ،
وهذا النوع من الأسماء لا تكسيه ((ال تعريفاً)) من حيث المعنى ، بل
تعريفه لفظي كما ذكر الرضي : إتيته يستخدم في الجملة المستخدمة
المعارف لكنه لا يدل على معين « قال السيرافي معللاً : « وتلك أن الذي
يستفيدة المخاطب بعسل وماء متكورين هو الذي يستفيدة منهما
معرفين ؛ لأنهما نوعان متشابهة الأجزاء . ألا ترى أن قائلنا لو قال :
شربت الماء والعسل ، أو قال : شربت ماءً وعسلًا كلن معتلما عتلك
واحدا ... (٢) . وقال ابن يعيش مستنداً على أن المعرف بالالف واللام
أبهم المعارف وأقربها إلى التكررات = هو يدل على تلك أن من المعرف بالالف
واللام ما يستوي في معناه مائتيه الف واللام ومالا لام فيه ، نحو :
« شربت ماءً والماء ، واكلت خبزاً والخبز » (٣) . وقال في موضع آخر :
« ... مع أن عسلًا وماءً جسدان » ولا فرق بين تعريف الجنس وتكبيره ،
حيث لم يكن لأجزائه لفظ يخصه ، بل يعبر عنه بالفظ الجنس ، فإذاً

(١) السيوطي : معجم الهوامع ٩ // ٧٤ .

(٢) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ٣ // ٣٧٩ ..

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ // ٨٧ ..

لا فرق بين قولك : « عسل » و « العسل » إذا أريد الجنس (١) .

٢- بعض الكلمات الدالة على الزمان نحو : الغد ، والعشي . قال السيرافي : « ... فيستوي في فهم المخاطب آتيك غداً ، وآتيك الغد ، وآتيك العشي ، وآتيك عشياً ، وكذلك عتمة » ، وإن كان التقدير مختلفاً (٢) .

٣- الكلمة الواقعة حالاً أو تمييزاً إذا دخلت عليها الألف واللام لاتفيدها تعريفاً ، بل هي في حكم النكرة ، وتقوم بوظيفتها ، فالأصل في الحال والتمييز أن يكون كل منهما نكرة . وقد ورد في بعض النصوص الحال والتمييز مقترنين بالألف واللام ، فحملهما النحاة على الضرورة . فما ورد من الأحوال مقترنا بالألف واللام قولهم : ادخلوا الأول فالأول . قالوا : أي : أولاً فأولاً وقول الشاعر :

* دمت الحميد فما تنفك منتصراً *

أي حميداً ومنه قول الشاعر :

فأرسلها العراك ولم يذها ولم يشفق على نغص الدخال
أي : اعتراكا أو معتركة (٣) .

ونكر ابن عقيل أن البغداديين ويونس يجوزون تعريف الحال مطلقاً ، ثم قال : وفصل الكوفيون فقالوا : إن تضمنت معنى الشرط

(١) السابق ٧ / ٩٤ .

(٢) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١٥٠ .

(٣) انظر : سيبويه : الكتاب ١ / ٢٧٢ ، والسيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١٢٨ ، والسيوطي : جمع الهوامع ١ / ٨٠ .

صح تعريفها وإلا فلا .. (١) ،

لكن ذلك لا يقاس عليه عند جمهور النحاة ، وهو ممنوع عندهم في الاختيار . قال سيبويه : « وأما الألف واللام فلا يكونان حالاً البتة ، ولو قلت : مرتت بزيد القائم كان قبيحا إذا أردت قائماً » (٢) .

وقد نقل عن أبي العباس المبرد قوله : إذا قلت : انخلوا الأول فالأول فهو غير شاذ ، وذلك أن الألف واللام ما دخلتا على معهود ، وإنما هو تعريف للجنس ، فهو أقرب إلى النكرة (٣) .

وقد ورد من التمييز قول الشاعر :

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا صدت وطبت النفس يا قيس عن عمر
قال الأشموني : أراد طبت نفساً ؛ لأن التمييز واجب التنكير خلافاً للكوفيين ، (٤)

٢- ما تلزمه (ال) : ذكر النحاة أن في اللغة أسماء تقتون بأل اقتراناً لازماً فلا تستخدم إلا معها ولا يجوز إسقاطها . ومع أنهم قرروا أن التي للتعريف لا تكون لازمة بل يجوز إسقاطها ، واتخذ بعضهم من هذا المبدأ معياراً للحكم على بعض الكلمات التي وردت فيها ال لازمة بأنها ليست للتعريف (٥) فقد اتفق النحاة على أن بعض ما لزمته الألف واللام كان معرفة بهما ، واختلفوا في بعض آخر ، فرأها بعضهم

(١) ابن عقيل : شرح ابن عقيل ٢ / ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) سيبويه ٢ / ٥٨ ، وانظر ابن السراج ١ / ٢١٤ .

(٣) أبو علي الفارسي : التعليقة ١ / ٢١٢ .

(٤) الأشموني : شرح الأشموني ١ / ١٤٠ .

(٥) ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٥٠ .

للتعريف ، ولم يرها كفلك آخرون .

فكما اتفق النحاة على أن ال فيه لازمة معرفة كلمة : البتة إذ لم يؤثر عن النحاة - إلا الفراء - خلاف في أن الألف واللام فيها للتعريف ، ولا تستخدم إلا مقررة بوما . ويبدو أن النحاة أخذوا في ذلك بما قرره سيبويه حيث قال : « ولا يستعمل إلا معرفة بالألف واللام » (١) فقد قرر ذلك المتأخرون من النحاة أيضاً ، نقل السيوطي عن أبي حيان قوله : « وقد التزم في بعضها التعريف فقط ، كقولك : لا أعله البتة ، وأنت طالق البتة (٢) . على أنني وجدت ابن منظور في لسان العرب يقول : « ويقال لا أعله بته ، ولا أعله البتة ، لكل أمر لارجعة فيه » ثم نقل عن ابن بري قوله : « مذهب سيبويه وأصحابه أن البتة لا تكون إلا معرفة البتة لاغير ، وإنما أجاز تنكيره الفراء وحده ، وهو كوفي » (٣)

ومما اختلف النحاة فيه بين قائل بأنه معرفة بال فيه ، وبأنه معرفة بذاته وال زائدة لازمة ، أي لا يجوز إسقاطها ، ولكنها لا تفيد التعريف ما يأتي :

١ - لفظ الجلالة (الله)

و (ال) فيه لازمة لا تفارقه (٤) . وقد ذكر بعض النحاة أنها فيه للتعريف . قال الزجاجي : « ... وكذا قولنا (الله) عز وجل إنما أصله

(١) سيبويه : الكتاب ١ / ٣٧٩ .

(٢) السيوطي : معجم الهوامع ١ / ١٩٢ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب مادة ب ت ت .

(٤) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٩٦ ، وابن السراج : الأصول ٢ / ١١٣ .

إله، ثم دخلت عليه الألف واللام للتعريف ، وحذفت الهمزة . وقال
سيبويه : أصله : لاه ، ثم دخلت عليه الألف واللام للتعريف (١) .

ورأى آخرون أنه علم ، والألف واللام فيه عوض عن الهمزة . قال
ابن السراج : « ... والألف واللام عوض عن الهمزة التي في إله ، وهو
على هذا علم » (٢) .

٢- الآن : نذكر النحاة أنها خالفت نظائرها من جانبين :

أولهما : أنها وقعت في أول أحوالها بالألف واللام . والثاني : أن
الألف واللام دخلت على اسم مبني ، ومما قرروه أن الألف واللام إذا
دخلت على اسم مبني عاد معربا مثل أمس (٣) .

وقد ذكر السيرافي أنها مبنية على الفتح ، ونقل عن أبي العباس
المبرد قوله : « الذي أوجب بناءها أنها وقعت في أول أحوالها بالألف
واللام ، وحكم الأسماء أن تكون منكورة شائعة في الجنس ، ثم يدخل
عليها ما يعرفها من إضافة أو ألف ولام ، فخالفت « الآن » سائر أخواتها
الأسماء بأنها وقعت معرفة في أول أحوالها ، ولزمت موضعا واحدا ،
فبنيت لذلك المعنى » (٤) . وقال الزجاجي : « ومن نادر ما دخلت عليه
الألف واللام للتعريف قولهم « الآن » ، وذلك أنه مبني وفيه الألف
واللام ، وسبيل المبني إذا أضيف أو دخلته الألف واللام أن يتمكن ويرجع

(١) الزجاجي : اللامات ص ٢٨ .

(٢) ابن السراج : الأصول ٢ / ١١٣ ، وانظر ابن جني : اللع ص ١١٢ ،
والزمخشري : المفصل ص ٤٦ .

(٣) الزجاجي : اللامات ص ٣٦ .

(٤) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ٧٩ .

إلى التعريف ، (١) .

ومن النحاة من رأى (ال) فيها ليست معرفة ، بل زائدة قال ابن هشام : « ... ولأن الصحيح في الداخلة على الآن أنها زائدة لأنها لازمة » (٢) .

ورأى ابن يعيش أن حرف التعريف لزمه لأنه معرفة به أبداً . قال : « والذي أراه أن تعريفه بما فيه من اللام الظاهرة ، وأما لزومها فعلى حسب إرادة معنى التعريف فيها بخلاف الرجل والغلام ، فإنه لم تلزمها اللام ؛ لأنهما يستعملان معرفة ونكرة ، فإذا أريد به المعرفة البتة لزمته أداته » (٣) .

والذين يرون الألف واللام فيه للتعريف يرون أنها لتعريف الحضور (٤) . والذين يعدون الألف واللام زائدتين لاتفيدان التعريف يرون « الآن » معرفة ، لأنه علم جنس للزمان الحاضر ، وهم جمهور النحاة فيما يذكر الصبان ، وغيرهم يرى أنه اسم إشارة حقيقة للزمان (٥) .

ومن اللافت للنظر أنهم لا يعدون « الغد » مثلاً علم جنس للزمان المستقبل ، وما ذلك إلا لأن (ال) فيه غير لازمة ، وهي في « الآن » لازمة .

ويذكر الأشموني أن الآن واحد من الفاظ محفوظة هي الأعلام التي

(١) الزجاجي : الأعلام ص ٣٦ .

(٢) ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٥٠ .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٤ / ١٠٤ .

(٤) الأشموني : شرح الأشموني ١ / ١٣٦ .

(٥) الصبان : حاشية الصبان ١ / ١٨١ .

قارنت (ال) وضعها ، مثل اللات والعزى صنمين ، والسموعل واليسع علمين لرجلين (١) .

٣- الأسماء والصفات الغالبة : وهي ما دخلت فيه (ال) على واحد بعينه ، لكنه لم يستعمل في جنسه ، ولا فيما يشاركه في صنعته ، ولانقل إلى غيره ، مثل : الدبران ، والسماك ، والعيوق ، والنجم ، والصعق . ويرى الزجاجي أن الألف واللام فيه للتعريف ، قال : « وقد تدخل الألف واللام للتعريف على ضرب خامس ، وذلك أن تدخل على ضرب مخصوص ، وتقع لواحد بعينه مشتقا ، ثم لم يستعمل في جنسه ، ولا فيما يشاركه في تلك الصفة ، ولا نقل إلى غيره فسمي به ، وذلك قولهم : الدبران للنجم ، إنما سمي بذلك لأنه دبر ، أي : صار في دبر الكوكب التالي له . وكذلك السماك للنجم المعروف ، وإنما سمي بذلك لسموكة أي ارتفاعه . كذلك قال سيبويه ، قال : ولا يجوز أن يقال لغيره من الأشياء المرتفعة السماك كائناً من كان ، وكذلك قولهم : ابن الصعق ، إنما هي صفة لرجل بعينه أصابه ذلك ، ثم لم تنقل ولم يسم بها كما فعل بالحارث والعباس والفضل فسمي بها ، (٢) .

ويرى بعض النحاة أن هذا النوع من الأسماء والصفات من قبيل الأعلام ، لكن منهم من يرى أن الألف واللام فيها كانتا للتعريف قبل أن تغلب أعلاماً ، فلما غلبت تنوسي دورهما في التعريف وأصبحت المعرفة بالعلمية . يقول الزمخشري : وبعض الأعلام يدخله التعريف ، وذلك

(١) الأشموني : شرح الأشموني ١ / ١٣٩ .

(٢) الزجاجي : اللامات ص ٢٦ ، والزمخشري : المفصل ص ١١ وأبو حيان : ارتشاف الضرب ١ / ٥٠٠ .

على نوعين : لازم وغير لازم ، فاللازم في نحو النجم للثريا والصعق وغير ذلك مما غلب من الشائعة ، ألا ترى أنهما ، هكذا اسمين معرفين باللام ، اسمان لكل نجم عهده المخاطب والمخاطب ، ولكل معهود ممن أصيب بالصاعقة ، ثم غلب النجم على الثريا ، والصعق على خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب ٩٠٠ ، (١)

وقال الرضي : « ويحتاج ههنا إلى معرفة لزوم اللام في الأعلام وعروضها ، وذلك بأن ينظر إلى العلم ، فإن كان غالباً ، أي في الأصل للجنس ، ثم كثر استعماله لواحد من الجنس لخصلة مختصة به من بين تلك الجنس ، ولا بد أن يكون وقت استعماله لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد ليفيد الاختصاص به ، وصار بكثرة الاستعمال علماً له ، ويسمى ذلك بالعلم الاتفاقي ، كانت اللام في مثله لازمة ؛ لأنه لم يصر علماً إلا مع اللام فصارت ك بعض حروف ذلك العلم ، وذلك إما في الاسم كالبيت والنجم والكتاب ، وإما في الصفة كالصعق ، (٢)

ويبدو أن بعض النحاة المتقدمين لم يحفلوا بهذه التفرقة بين ما تكون (ال) فيه لازمة وما تكون فيه غير لازمة من الأعلام ، قرأوا (ال) فيها جميعاً للمعنى الأصلي لا للتعريف ، وأن التعريف فيها جميعاً بالعلمية . نقل الرضي عن المبرد قوله : « إن كانت اللام في العلم اخترت مذهب الخليل ، لأن الألف واللام لا معنى لهما فيه ، ولا يفيدان التعريف ، بل يلحق بهما الوصفية الأصلية فقط ، فكانه مجرد عنهما ، لأن تعريفه بالعلمية ، (٣) .

(١) الزمخشري : المفصل ص ١١ - ١٢ .

(٢) الرضي : شرح الكافية ١ / ١٣٩ ، وانظر مع الهوامع ١ / ٢٧ .

(٣) الرضي : شرح الكافية ١ / ١٤٠ .

٤- الموصولات الخاصة : (الذي وفروعه)

يجمع النحاة على أن الألف واللام في الذي وفروعه لازمتان لاتفارقانه أبداً . وزعم ابن السراج أن أصل الذي عند البصريين هو : لذيّ مثل عمي ، ولزمته الألف واللام فلا تفارقانه (١) .

وزعم السهيلي أن الذي تطورت عن (نو) التي كانت وصلة إلى وصف النكرات بالأجناس في نحو قولك : جاء رجل ذو علم أو ذو مال . وذلك أنهم أرادوا وصف المعارف بالجمل فقالوا : هذا زيد ذو قام أبوه ، وهذه لغة طيء ، وهي عنده الأصل ، فلما راوه اسماً وصف به المعرفة أرادوا تعريفه ليتفق الوصف والموصوف في التعريف ، فأدخلوا الألف واللام عليه ، ثم ضاعفوا اللام كيلا يذهب لفظها في الإدغام ، ويذهب ألف الوصل في الدرج فلا يظهر التعريف ، فصارت الذو ، ثم قلبت الواو ياء ؛ إذ ليس في كلامهم واو متطرفة مضموم ما قبلها إلا وتقلب ياء ، فلما انقلبت الواو ياء والضمة كسرة صار اللفظ الذي (٢) .

والنحاة بعد مختلفون في تعريفه على مذهبين : أحدهما أن تعريفه بالألف واللام ، والثاني أن تعريفه بالعهد الذي في الصلة (٣) .

أما المذهب الأول فيمثلته أبو علي الفارسي (٤) والزجاجي اللذان يريان أن الألف واللام في الموصول للتعريف ، وقد زعم الزجاجي أن إجماع النحويين منعقد على ذلك . قال : « وقد نخلت الألف واللام

(١) ابن السراج : الأصول ٢ / ٢٦٢ .

(٢) السهيلي : نتائج الفكر ص ١٧٨ .

(٣) انظر يس العليمي : حاشية الشيخ يس على شرح التصريح ١ / ٩٤ .

(٤) السابق نفسه .

للتعريف على ضرب سادس ، وذلك دخولها على بعض الأسماء ثابتة غير منفصلة ، ولم تسمع قط معرفة منها ، كدخولها على التي والذي والذين واللتين والذين واللاتى واللائي وما اشبه ذلك ، فإن إجماع النحويين كلهم على أن الألف واللام في أوائل هذه الأسماء للتعريف ، ولم تعرقط منها ، (١) .

وأما المذهب الثاني فهو مذهب أغلب النحاة ، وهم يرون أن (ال) في الموصول ليست للتعريف ، بل التعريف بالصلة أو بالعهد الذي في الصلة (٢) .

وذكر ابن يعيش أن المراد بهما لفظ التعريف لامعناه ، وقال : والذي يدل على أنهما ليستا لمعنى التعريف أمران : أحدهما أن الألف واللام في الموصولات زيادة لازمة ، والأمر الثاني أن كثيراً من الأسماء الموصولة معرفة من الألف واللام وهي مع ذلك معرفة مثل من وما وأي ، فإذا ثبت أن الألف واللام هنا لا يفيدان التعريف كانت زيادتهما لضرب من إصلاح اللفظ ، وذلك أن الذي وأخواته مما فيه لام استخدمت توصيلاً لوصف المعارف بالجمل ، لكن لفظ الذي قبل دخول الألف واللام لم يكن على لفظ أوصاف المعارف ، فزادوا في أولها الألف واللام ليحصل لهم بذلك لفظ المعرفة الذي قصدوه ، فيطابق اللفظ المعنى (٣) .

وقد لخص الشيخ ياس الاعتراضات على المذهبين وما أجيب به عنها

(١) الزجاجي : اللامات ص ٢٨ .

(٢) انظر : ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٦ ، وابن عصفور : المقرب ١ / ٢٣٠ .

والأزهري ، شرح التصريح ١ / ٩٤ والأشموني : شرح الأشموني ١ / ١٣٩ .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ١٤٠ - ١٤١ .

بقوله : « قوله بالعهد الذي في الصلة : ردّ بأن الصلة كالجُزء من الموصول ، وجزء الشيء لا يعرفه ... ذهب أبو علي إلى أن تعريف الموصول بـ (من) و (ما) ونحوهما ، وأجيب بأنهما في معنى ما فيه ال ، وأورد أي ، فإنه لا يمكن فيها تقدير ال ، وأجيب بأن تعريفها بالإضافة قال ابن عصفور : وهو عندي غلط منه ؛ لأن مرادهم بكون مَنّ وما على مثال (ال) أنهما في معنى الذي والتي ، لا أن (ال) فيهما مقدرة ، فما اعترض به في أي فاسد ؛ لأنهما على معنى الذي ، ولو كانت مضافة . ثم ما أجاب به عن (أي) لا يستقيم لوجهين أحدهما أن الذي يراه هو في (أي) أنها تضاف لنكرة ، فهو حينئذٍ نكرة ، ولا يستقيم عنده أن يكون على معنى (ال) ، لأن (ال) بالإضافة لا يجتمع . والثاني : أنه قرر أولاً عن أبي علي أنه يرى الموصول من قبيل ما عرف بـ (أي) فكيف يجب عن (أي) بجواب يخالفه ؟^(١)

٢- حرف النداء وعلامة البناء على ما يرفع به الاسم :

يغفل كثير من النحاة ذكر المنادى بين المعارف^(٢) . وأثبت ذلك بعض النحاة ، لكنهم قصرُوا المَعْرِفَ بالنداء على ما كان مفرداً نكرة مقصودة ، أو مقبلاً عليها ، فقالوا : النداء يعرف النكرة المقبل عليها^(٣) . وقد ربط المثبتون بين حرف النداء والألف واللام ، فجعلوا التعريف بحرف النداء كالتعريف بالألف واللام . يقول السيرافي مقررًا ذلك ، وكأنه أمر مسلم به : « ويتعرف المنادى بـ (يا) كما يتعرف بالألف

(١) يَسّ العلّيمي : حاشية الشيخ تيس على شرح التصريح ١ / ٩٤ .

(٢) السيوطي : جمع الهوامع ١ / ٥٥ .

(٣) أبو حيان الأندلسي : ارتشاف الضرب ١ / ٤٦٠ ، وانظر : السيرافي ١ / ١٥٤ .

واللام ، (١) .

وكان الخليل بن أحمد ممن أثبتوا التعريف بالنداء ، ونقل عنه سيبويه في تعليل ذلك قوله : « ... وذلك أنه إذا قال : يا رجل ، ويا فاسق فمعناه كمعنى يا أيها الفاسق ويا أيها الرجل ، وصار معرفة : لأنك أشرت إليه وقصدت قصده ، واكتفيت بهذا عن الألف واللام ... وصار هذا بدلاً في النداء من الألف واللام ، واستغنى به عنهما » (٢) . وبرغم ذلك فقد أسقطه سيبويه حين عدّ المعارف فجعلها خمساً ، قال : « والمعرفة خمسة أشياء : الأسماء التي هي أعلام خاصة ، والمضاف إلى المعرفة إذا لم ترد معنى التنوين ، والألف واللام ، والأسماء المبهمة ، والإضمار » (٣)

وظاهر أن الخليل جعل تعريف النكرة بالنداء مقيداً بالقصد والإشارة ، وأشار إلى أن ذلك صار بدلاً في النداء من الألف واللام ، واستغنى به عنهما ، ومن أجل ذلك وجدنا المثبتين للتعريف فريقين : فريقاً يرى أن تعريف النداء بالقصد إليه والإقبال عليه مع استخدام حرف النداء ، وفريقاً يرى أن التعريف ليس بالقصد ، بل بالألف واللام مقدرتين ناب عنهما حرف النداء . يقول السيوطي : « ... وأغفل أكثرهم نكر المنادى ، والمراد به النكرة المقبل عليها نحو : يا رجل ، فتعريفه بالقصد كما صححه ابن مالك ، وذهب قوم إلى أن تعريفه بأل محذوفة ، ونابت حروف النداء منابها ، قال أبو حيان : وهو الذي صححه

(١) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ٢ / ٨٨ ، وانظر : الزجاجي : الجمل ص ١٥٠ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٩٧ .

(٣) السابق ٢ / ٥ .

اصحابنا^(١). والذين يثبتون تعريف النداء يعتمدون على أدلة ثلاثة :

أحدهما : أن الألف واللام وحرف النداء لا يجتمعان عند جمهور النحاة من البصريين ^(٢) فلا يصح دخول حرف النداء على اسم فيه الألف واللام ؛ لأن كلا منهما للتعريف ، ولا يجتمع على اسم واحد معرفان . يقول السيرافي : « ... لأن حرف النداء لا يليه ما فيه الألف واللام ؛ لأنه يعرف للمنادى إذا قصد ، والألف واللام يعرفانه ، فلا يجتمع تعريفان في اسم واحد » ^(٣) .

ولا أنل على ذلك عندهم من أن الألف واللام تستقطن من العلم المثني عند النداء ، نحو : يا زيدان . يقول ابن السراج : « ... ألا ترى أنك تقول : يا زيدان أقبل ، ولولا ذلك لقلت : الزيدان إذا أردت التعريف . وإنما حذفنا الألف واللام استغناء بـ (يا) عنهما ؛ إذ كانتا آلة تعريف كما حذفنا من النكرة في النداء أيضا ووجدنا ما ينوب عنهما » ^(٤)

الثاني : تنافي التعريفين : التعريف بالألف واللام والتعريف بالنداء في نحو : الرجل ويارجل ، فالتعريف بالألف واللام للمعهد وهو لغائب ، والتعريف بالنداء للتقصد وهو لحاضر فتناقيا ، ذكره ابن يعيش ^(٥) .

الثالث : وصفه بما فيه الألف واللام . يقول ابن السراج : « ويقوي

(١) السيرافي ١ / ٥٥ .

(٢) خالف الكوفيون فأجازوا نداء ما فيه ال نحو : يا الرجل ، ويا الغلام (انظر : ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف ١ / ٢٣٥) .

(٣) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ٢ / ١٧٦ ، وانظر : ابن الأنباري الإنصاف ١ / ٢٣٥ ، وابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ٨ .

(٤) ابن السراج : الأصول ١ / ٢٤٧ .

(٥) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ٨ .

أنه كذلك ما حكى سيبويه عن يونس أنه سمع من العرب من يقول :
يا فاسق الخبيث ، فلو لم يكن فاسق عنده معرفة ما وصف بما فيه الألف
واللام ، (١) .

ويستثنون من نداء ما فيه (ال) لفظ الجلالة نحو : يا الله . وقد علل
ذلك بكثرة الاستعمال ، وبأن الألف واللام فيه صارتا بدلاً من همزة
إنه (٢) . وكلاهما تعليل غير مقنع : لأن كثرة الاستعمال عندهم ليس لها
ضابط يمكن الاعتماد عليه ، ولأن القول بأن الألف واللام صارتا بدلاً
من همزة إله ليس له مبرر لغوي مقنع .

وهم ينكرون للمنادى النكرة الذي يتعرف بالقصد إليه علامة
شكلية تعين على إسمائه ، هي أنه يبني على ما يرفع به نحو : يارجل ،
ويا رجلان ، ويا مسلمون ... فإذا قلت : يارجل : كانت الضمة دليلاً
على أنك تريد رجلاً بعينه ، وكذلك ما ينوب عن الضمة من ألف في قولك
(يارجلان) أو واو في نحو (مسلمون) (٣) .

ولا خلاف بين النحاة في أن المنادى إذا كان مفرداً نكرة غير
مقصودة أو غير مقبل عليها لا يتعرف بالنداء : بل يظل على تنكيره .
يقول الفارسي في الإيضاح : « ... فالنكرة منصوبة في النداء ، وذلك
قولك : يارجل ، ويا غلاماً ، فغلام ورجل في هذا الموضع يراد به الشائع
الذي لم يختص بالقصد إليه ، وتوجه الخطاب نحوه ، كما يقول الأعمى :

(١) ابن السراج : الأصول ١ / ٣٤٧ .

(٢) ابن جنبي : اللمع ص ١١٢ .

(٣) انظر : سيبويه : الكتاب ١ / ٣٤٢ ، والمبرد : المقتضب ٤ / ٢٠٦ ، وابن السراج :
الأصول ١ / ٣٣٠ - ٣٣١ ، وابن عصفور : المقرب ١ / ١٧٥ ، وابن هشام : شذور
الذهب ص ٢٧٢ .

يارجلاً خذ بيدي ، وياغلاماً أجرني ، فلا يقصد بذلك غلاماً بعينه ولا رجلاً ، (١) .

وله أيضاً علامة شكلية يعرف بها وتميزه عن النكرة المقصودة هي النصب والتنوين في مقابل البناء على ما يرفع به إذا كان نكرة مقصودة . وقد بين المبرد الفرق بينهما بقوله : « الفصل بين قولك : يا رجل أقبل إن أردت به المعرفة ، وبين قولك يا رجلاً أقبل إن أردت به النكرة أنك إذا ضممت فإنما تريد رجلاً بعينه تشير إليه دون سائر أمته ، وإذا نصبت وتنوت فإنما تقديره يا واحداً مما له هذا الاسم » (٢) . وقال ابن الأنباري : « ... وأما النكرة (في باب النداء) فنصبت ليفصل بينها وبين النكرة التي يقصد قصدتها . وكانت النكرة التي يقصد قصدتها أولى بالتغيير لأنها هي المخرجة من بابها ، فكانت أولى بالتغيير » (٣) .

ومعنى ذلك أنه يمكن اعتبار العلامة الشكلية دليلاً على التعريف أو التنكير في المنادى المفرد ؛ فإذا لحقته ضمة دون تنوين ، أو ما ينوب منابها ، كان معرفة ، وإذا لحقته فتحة مع التنوين كان نكرة .

فأما ما كان مفرداً معرفة قبل النداء فإما أن يكون علماً أو اسم إشارة ، أو مقترناً بالآلف واللام ؛ فإذا كان علماً بني على الضم سواء أكان الضم بعلامة أصلية أم غير أصلية ، وبنائوه على ما يرفع به دليل على أنه معرفة ، لكن النحاة يختلفون في تعريفه : فهو معرفة بما كان

(١) أبو علي الفارسي : الإيضاح ١ / ٢٢٧ ، وانظر : ابن السراج : الأصول ١ / ٢٢١ ، وابن عصفور : المقرب ١ / ١٧٥ ، والسيوطي : جمع الهوامع ١ / ٥٥ .
(٢) المبرد : المقتضب ٤ / ٢٠٦ ، وانظر : ابن هشام : شذور الذهب ص ٢٧٢ .
(٣) ابن الأنباري : أسرار العربية ص ٢٢٨ .

به معرفة قبل النداء وهو العلمية أم فقد تعريف العلمية وأصبح معرفاً بالنداء ؟ قولان .

وثمة قول ثالث لا يرى مانعاً من أن يجتمع عليه تعريفان : تعريف العلمية وتعريف النداء ؛ لأن الممنوع هو الجمع بين علامتين لفظيتين مثل « يا ، و الألف واللام ، والعلمية ليست بعلامة لفظية ، ومثل ذلك قيل في اسم الإشارة أيضاً . نقل الرضي قول المبرد في الأعلام وقول المازني في الإشارة قائلاً : « ... وقال المبرد في الأعلام إنها تنكر ثم تعرف بحرف النداء ... ، وقال المازني في اسم الإشارة : ينكر ، ثم يجبر بحرف النداء الفاتت من الإشارة . ومن ثم لا يقال : هنا أقبل ، أي : يا هذا ، ثم عقب الرضي عليهما بقوله : « ولا حاجة إلى ما ارتكبا ؛ إذ لا يمنع من كون الشيء المعين مواجهاً مقصوداً بالنداء ، وأي محذور في اجتماع مثل هذين التعريفين في هذا ، (١) .

من أجل ذلك وضع المبرد قاعدة وافقه عليها النحاة إلا ابن السراج هي : المعارف كلها إذا نوديت تنكرت ، ثم تنادى فتكون معارف بالنداء (٢) .

فأما ما فيه الألف واللام فلا يجوز أن يدخل عليه حرف النداء ، بل تتوسط بينهما أي ، فتأخذ حكم المنادى ، ويكون ما فيه ال تابعاً له ، وإن كان الغرض هو تعريف ما فيه ال . من هنا يرى النحاة أن أيّاً و المنادى

(١) الرضي : شرح الكافية ١ / ١٤١ وما بعدها ، وانظر : السيرافي ١ / ١٥٥ وابن السراج ١ / ٣٢٠ ، والفارسي : الإيضاح ١ / ٢٢٧ ، وابن الأنباري لسرار العربية ص ٢٢٨ والإنصاف في مسائل الخلاف ١ / ٢٣٥ وابن يعيش ١ / ١٢٩ .
(٢) انظر : السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١٥٤ ، وابن يعيش ١ / ١٢٩ .

بمنزلة اسم واحد . يقول سيبويه : « وذلك قولك : يا أيها الرجل ، ويا أيها الرجلان ، ويا أيتها المرأتان ، فأبي ههنا فيما زعم الخليل رحمه الله كقولك : يا هذا والرجل وصف له ، كما يكون وصفا لهذا ، وإنما صار وصفه لا يكون فيه إلا الرفع : لأنك لا تستطيع أن تقول يا أبي ، ولا يا أيها وتسكت ؛ لأنه مبهم يلزمه التفسير ، فصار هو والرجل بمنزلة اسم واحد : كأنك قلت يا رجل ، (١) .

وأما ما كان مضافاً فإما أن يكون مضافاً إلى نكرة أو مضافاً إلى معرفة ، فما كان مضافاً إلى نكرة بقي على تنكيره . يقول سيبويه : «فأما قولك : يا أخا رجل فلا يكون الأخ ههنا إلا نكرة : لأنه مضاف إلى نكرة ..» (٢) وأما ما كان مضافاً إلى معرفة فهو على تعريفه بالإضافة ، ولا يتعرف بالنداء (٣) .

وأما ما كان شبيهاً بالمضاف فتعريفه بالقصد إليه ، ويظهر ذلك بوصفه بما فيه الألف واللام فتقول في النكرة : يا حسناً وجهه ظريفاً . وتقول في المعرفة يا حسناً وجهه الظريف (٤) .

وواضح أنهم أضافوا هنا علامة شكلية أخرى هي الصفة - وهي علامة نحوية - ليظهر إن كان المراد تنكيره أو تعريفه .
وبناء على ماتقدم يمكننا أن نحدد ما يتعرف بالنداء على أساس توزيعي شكلي بما يأتي :

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٨٨ ، وابن يعيش : شرح المفصل ١ / ١٢٠ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ٢٢٩ .

(٣) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١٥٥ .

(٤) الرضوي : شرح الكافية ١ / ١٣٥ .

١- المنادى المفرد : (سواء أكان نكرة قبل النداء أم معرفة) ويمكن التعبير عن توزيعه على النحو الآتي :

حرف نداء _____ ضمة (أو ماينوب عنها)

٢- المنادى الشبيه بالمضاف : ويمكن التعبير عن توزيعه على النحو الآتي :

حرف نداء _____ صفة معرفة

ثانياً : الأداة والتنكير :

يحدد النحاة أدوات مايقع بعدها لا يكون إلا نكرة ، فإن دخلت على معرفة من المعارف التي حدودها عدوا دخولها دليلاً على فقدان هذه المعرفة التعريف ، واكتسابها التنكير . ومن تمسك منهم بأصل التعريف في المعارف لم يجد بدأً من القول بأنها في حكم النكرة . وهذه الأدوات هي :

١- رباً :

وهي حرف واجب التصدير يفيد التقليل (١) . وقد قرر سيبويه في عبارة موجزة حاسمة أن رباً لا يليها إلا نكرة . يقول : « فرباً لا يقع بعدها إلا نكرة » (٢) . وقد مضى النحاة في أثره (٣) .

(١) ابن السراج : الأصول ١ / ٤١٧ ، والررضي : شرح الكافية ٢ / ٣٢٩ وابن هشام : مغني اللبيب ١ / ١٣٦ .

(٢) سيبويه : الكتاب ١ / ٤٢٥ .

(٣) انظر : ابن السراج : الأصول ١ / ٤١٧ ، والررضي : شرح الكافية ٢ / ٣٢٩ والملقي : رصف المباني ص ١٨٩ وابن هشام : شذور الذهب ص ١٧٣ ومغني اللبيب ١ / ١٣٦ .

وقد علل بعض النحاة دخولها على النكرة بأن النكرة تحتل القلة والكثرة ، فاحتاجت إلى أداة تكون بها نصاً في القلة ، وأداة أخرى تكون بها نصاً في الكثرة ، فكانت الأداة الأولى ربُّ ، والثانية كم الخبرية . قال المبرد ، « وربُّ معناها الشيء يقع قليلاً ، ولا يكون ذلك الشيء إلا منكرواً ؛ لأنه واحد يدل على أكثر منه كما وصفت لك ؛ (١) . وقال الرضي : « وإنما وجب دخولها على النكرة ؛ لأن النكرة محتملة للقلة والكثرة نحو : جاءني رجل ، وما جاءني من رجل ، فلو لم تحتلها لم تستعمل فيهما . والمعرفة إما دالة على القلة فقط كالمفرد والمثنى المعرفين ، وإما دالة على الكثرة دون القلة كالجميع المعرف ، وربُّ وكم علامتان للقلة والكثرة . وإنما نحتاج إلى العلامة في المحتمل حتى يصير بها نصاً ؛ (٢) .

وقد اتخذ سيبويه والنحاة من بعده من دخول ربُّ على بعض الأسماء التي تعد من المعارف عندهم ، أو التي وردت بلفظ المعرفة دليلاً على تنكيرها . فقد اتخذ سيبويه والنحاة من دخولها على اسم الفاعل المضاف إلى الضمير ومن دخولها على اسم مبهم مضاف إلى الضمير دليلاً على أن كلا منهما نكرة ، وكان ما أورده شاهداً على الأول قول جرير :

ياربُّ غابطنا لو كان يعرفكم لاقي مباحدة منكم وحرمانا
وعلى الثاني قول ابن محجن الثقفي :

ياربُّ مذلِك في النساء غريرة بيضاء قد متعتها بطلاق
قال سيبويه بعد أن أورد البيتين : « قربٌ لا يقع بعدها إلا نكرة ،

(١) المبرد : المقتضب ٤ / ١٣٩ .

(٢) الرضي : شرح الكافية ٢ / ٣٣١ . وانظر ابن يعيش : شرح المفصل ٨ / ٢٧ .

فذلك يدل على أن غابطناً ومثلك نكرة ، (١)

كذلك قال النحاة في دخولها على (مَنْ) ، فقد عدوها نكرة وأوجبوا لها صفة بدلاً من صلة ، فاعتبرت نكرة موصوفة . قال سيبويه : «ويقوي أيضاً أن « من » نكرة قول عمرو بن قمينة :

ياربُّ من يبغض أنوادنا رحن على بغضائه واغتندين ، (٢)
وقال ابن هشام : « وعلامة النكرة أن تقبل دخول ربِّ عليها نحو : رجل و غلام ، تقول : ربُّ رجلٍ وربُّ غلام . وبهذا استدلل على أن مَنْ وما قد يقعان نكرتين ، (٣) .

ويذكرون أيضاً أنها إذا دخلت على علم كان دخولها دليلاً على تنكيره نحو : ربُّ سعاد وزينب لقيتهما (٤) .

كذلك عدَّ سيبويه الضمير العائد على اسم مجرور بـ (ربِّ) في حكم النكرة وإن كان من المعارف لفظاً . قال : « وأما ربُّ رجلٍ وأخيه منطلقين ففيها قبح حتى تقول : وأخ له . والمنطلقان عندنا مجروران من قبل أن قوله وأخيه في موضع نكرة : لأن المعنى إنما هو وأخ له . فإن قيل أمضافة إلى معرفة أو نكرة فإنك قائل إلى معرفة ، وهي توصف بها النكرة وتقع مواقعها . ألا ترى أنك تقول : ربُّ مثلك ... ولا يجوز حتى تذكر قبله نكرة فيعلم أنك لا تريد شيئاً بعينه ، وأنت تريد شيئاً من أمة

(١) سيبويه : الكتاب ١ / ٤٢٥ ، وانظر : ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ٥١ ، وابن أبي الربيع : البسيط ٢ / ٨٦٧ ، والمالقي : رصف المباني ص ١٨٩ ، والأزهري : شرح التصريح ٢ / ٢٨ .
(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٠٨ .
(٣) ابن هشام : شذور الذهب ص ١٧٢ ، وانظر السيوطي : همع الهوامع ٢ / ٢٦ .
(٤) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٢٨ .

كل واحد منهم رجل ، وضممت إليه شيئاً من أمة كلهم يقال له أخ ، ولو قلت وأخيه وأنت تريد شيئاً بعينه كان محالاً ؛ (١) فكان سيبويه يقرر أن الضمير في « ربُّ رجل وأخيه نكرة معنًى وإن كان له لفظ المعرفة ، وإن كلمة أخ لم تكتسب التعريف من الضمير بعدها ، ومثلها كلمة مثل لم تكتسب التعريف من الضمير بعدها ، فكان لها شكل المعرفة ومعنى النكرة .

وقد فصل النحاة القول في دخول ربُّ على الضمير دخولاً مباشراً في نحو : ربه رجلاً ، وقرروا أنه لا يكون إلا ضمير غيبة مفرداً مذكراً مراداً به المفرد المذكر وغيره ، ويجب تفسيره بنكرة بعده مطابقة للمعنى المراد منصوبة على التمييز (٢) . ثم انقسموا طائفتين : طائفة ترى أن الضمير نكرة ، وطائفة ترى أنه معرفة ، وإن كان معناه في هذا الاستعمال يثول إلى النكرة ، فهو أمر طارئ في هذا الموضع .

ومن الطائفة الأولى الزمخشري حيث يقول : « والضمير في ربه رجلاً نكرة مبهم ؛ (٣) والرضي حيث يقول : « ... فإن قلت : فهذا الضمير الذي هذا حال يبقى على وضعه معرفة أم يصير نكرة لعدم شرط التعريف ، أعنى تقدم المنسر ؟ قلت : الذي أرى أنه نكرة ... ولهذا جاز دخول ربُّ عليه مع اختصاصها بالنكرات ؛ (٤) . وابن هشام حيث يقول : « ... ولا تدخل إلا على النكرات ، فإن قلت : فإنك تقول : ربه رجلاً ، وقال الشاعر :

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ٥٤ ، وانظر : السيوطي : الأشباه والنظائر ١ / ٣١٠ .
(٢) ابن هشام : شذوذ الذهب ص ٢٨٧ .
(٣) الزمخشري : المفصل ص ١٣٤ .
(٤) الرضي : شرح الكافية ٢ / ٥ .

ربه فتية دعوت إلى ما يورث المجد دائماً فأجابوا

والضمير معرفة وقد دخلت عليه ربّ ، فبطل القول بأنها لا تدخل إلا على النكرات ، قلت : لانسلم أن الضمير فيما أوردته معرفة ، بل هو نكرة ... (١)

أما الطائفة الثانية فمنهم ابن السراج حيث يقول : « ... وإنما جاز في ربّ وهي لا تدخل إلا على نكرة من أجل أن المعنى يثول إلى نكرة » (٢). ومنهم أبو علي الفارسي حيث يقول : « وإنما دخلت ربّ على هذا الضمير ، وهي إنما تدخل على النكرات من أجل أن الضمير ليس بمقصود قصده ، فلما كان غير معين أشبه النكرات فصار في حكمها » (٣). ومنهم ابن يعيش حيث يقول : « ... وإنما دخلت ربّ على هذا المضمرة وربّ مختصة بالنكرات من حيث كان ضميراً لم يتقدمه ذكر ، فكان مبهماً مجهولاً يحتاج إلى ما يفسره ويبينه فأشبهه النكرات ، فساغ دخولها عليه لذلك » (٤) . ومنهم ابن أبي الربيع حيث يقول : اعلم أن العرب تقول : ربه رجلاً ، فإلهاء ضمير مبهم لا يعقل على من يعود مثل ضمير الأمر والشأن ، ثم فسر بقولهم رجلاً كما فسر ضمير الأمر والشأن بالجملة . والقصد بأمثال هذا التعظيم ، لأن الشيء إذا أبهم كان في خاطر أعظم » (٥) .

-
- (١) ابن هشام : شذور الذهب ص ١٧٣ ، وانظر : اللجاشمي : شرح عيون الإعراب ص ١٨١ ، والمالقي : رصف المباني ص ١٨٩ والسيوطي مع الهوامع ٢ / ٢٦ .
(٢) ابن السراج : الأصول ١ / ٤١٨ .
(٣) أبو علي الفارسي : الإيضاح ١ / ١٥٣ .
(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ١١٨ .
(٥) ابن أبي الربيع : البسيط ٢ / ٨٦٧ .

فالذين يقررون أن الضمير بعد رب معرفة يقررون ذلك من حيث الأصل واللفظ لا من حيث المعنى والاستعمال ، فهم جميعا مسلمون بأن له معنى النكرة وحكمها . ولذلك كان إطلاقهم القول بأن رب لا تدخل إلا على النكرات .

وقد رأى جيتيه أن هذا الضمير ليس له من وظيفة إلا الربط ، فهو رابطة خالصة Reine kopulativ ، ورأى أنه لا معنى لأن يدخل في فصيلة التعريف والتكثير (١) .

والنحاة على أن واو رب كرب لا تدخل إلا على نكرة نحو قول الشاعر :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم لبيتلي
قال ابن هشام : « ولا تدخل إلا على منكر ، ولا تتعلق إلا بمؤخر .
والصحيح أنها واو العطف ، وأن الجر برب محذوفة خلافاً للكوفيين
والمبرد » (٢) .

٢- كم الخبرية :

النحاة على أن كم الخبرية إنا وليها اسم لم يكن إلا نكرة ، فهي عندهم من علامات النكرة (٣) . وهي في ذلك مثل رب ، إلا أن رب تدل على القلة ، وكم تدل على الكثرة ، والكثرة والقلة عندهم لا يتصوران

(١) Gätje , H. : Zur Begriff der Determination und Indetermination im Arabischen. S. 243 .

(٢) ابن هشام : مغني اللبيب ٢ / ٣٦١ ، وانظر ابن الأنباري : الإنصاف ١ / ٣٧٦ .

(٣) السيوطي : الأشباه والنظائر ٢ / ٤٨ .

في المعارف (١) .

وقد بين أبو علي الفارسي أوجه الاشتراك بين كم ورب ووجه الاختلاف بقوله : « الاشتراك بين كم ورب في أنهما يقعان صدرا ، وفي أنهما لا يدخلان إلا على نكرة ، وفي أن الاسم النكرة الواقع بعدها يدل على أكثر من واحد وإن كان الواقع بعد كم يدل على كثير ، والواقع بعد رب يدل على قليل » (٢) .

من ثم كان دخول إحداهما على الاسم مؤذنا عندهم بتنكيره ، وإن كان بلفظ المعارف . يقول الزجاجي : « وما جاء بلفظ المعرفة وهو نكرة : مثلك ، وشبهك وغيرك ... واسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال والاستقبال ، نحو : هذا ضاربك غداً ومكرمك » ، ثم قال : « ... ودخول رب وكم عليها أيضاً يدل على تنكيرها ؛ لأن رب وكم لا تدخلان إلا على نكرة » (٣) .

وهذا الاسم الذي يليها يصح عندهم أن يكون مفرداً دالاً على أكثر من واحد ، وأن يكون جمعاً ، قالوا : لأنها في تقدير عدد مضاف ، والعدد المضاف منه ما يضاف إلى جمع نحو : ثلاثة أثواب وعشرة غلمان ، ومنه ما يضاف إلى واحد نحو : مائة دينار وألف درهم . وكما تشتمل على النوعين فأضيفت إليهما (٤) .

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٨ / ٢٦ .

(٢) أبو علي الفارسي : التعليق ١ / ٢٥٥ .

(٣) الزجاجي : الجمل ص ١٨٠ .

(٤) ابن يعيش ٤ / ١٢٩ وابن الأنباري : أسرار العربية ص ٢١٦ .

٣- من الاستفراقية :

النحاة على أن من الاستفراقية لا تدخل إلا على نكرة . يقول المبرد:
« تقول : ماجاءني عبد الله ، فإذا قلت : ماجاءني من رجل لم يقع ذلك إلا
للجنس كله ، ولو وضعت في موضع هذا المنكور معروفا لم يجز . لو
قلت : ماجاءني من عبد الله كان محالاً ؛ لأنه معروف بعينه فلا يشيع
في الجنس » (١) .

ولاتكون « من » استفراقية عندهم إلا إذا سبقت بنفي نحو: (ما
لكم من إله غيره) والنهي نحو : لا يقيم من أحد ، والاستفهام نحو: (هل
من خالق غير الله) قال المرادي : « ولا يحفظ ذلك في جميع أدوات
الاستفهام ، إنما يحفظ في « هل » (٢) .

ومعنى دلالتها على الاستفراق كما حدده : « التنصيص على كون
النكرة مستفرقة للجنس » (٣) . وهي في هذا تحدث معنى الاستفراق
بعد أن لم يكن موجوداً ؛ لكنها قد تستعمل توكيداً للاستفراق إن كان
حاصلاً قبل دخولها . ويحصل الاستفراق دونها في الأسماء الموضوعه
للعوم ، وهي كل نكرة مختصة بالنفي ، نحو : ماجاءني من أحد أو
ديار ، فأحد وديار صيغتا عموم كما يقول ابن هشام . فإذا قلت :
ما جاءني أحد ، وقلت : ماجاءني من أحد فهما سيان في إفهام العموم ،

(١) المبرد : المقتضب ٤ / ٤٢٠ ، ١ / ١٨٣ ، وابن السراج : الأصول ١ / ٤١٠ .

(٢) المرادي : الجني الداني ص ٣١٦ ، وانظر : ابن عسقور : المقرب ١ / ١٩٧ ، وابن

هشام : قطر الندى ص ٣٤٥ ، ومغني اللبيب ١ / ٣٢٢ .

(٣) الرضي : شرح الكافية ٢ / ٣٢٣ .

لكن دخول(من)مؤكد له أو لاستغراق الجنس (١) .

أما قولك : ما جاءني رجل وما جاءني من رجل فليسوا سواء ؛ فأنت في الأول يجوز أن تنفي مجيء رجل واحد ، ولذلك يجوز أن تقول بعده : بل رجلان أو ثلاثة ... الخ ، وأنت في الثاني تنفي الجنس على سبيل العموم فلا يبقى احتمال . ومن ثم لا يجوز لك أن تقول : ما جاءني من رجل ، بل رجلان (٢) .

٤- لا النافية للجنس :

والمراد بها عندهم « لا » التي قصد بها التنصيص على استغراق النفي للجنس كله ، وهي لا تدخل إلا على نكرة بإجماع البصريين (٣) . وتقع في جواب سؤال بـ (هل) الداخلة على من الاستغراقية . قال المبرد : « إذا قلت لا رجل في الدار لم تقصد إلى رجل بعينه ، وإنما نفيت عن الدار صغير هذا الجنس وكبيرة فهذا جواب قولك : هل من رجل في الدار ؛ لأنه يسأل عن قليل هذا الجنس وكثيره ، ألا ترى أن المعرفة لاتقع هنا ، لأنها لاتدل على الجنس ، ولا يقع الواحد منها في موضع الجميع (٤) . ويقول ابن السراج : « ولا تعمل إلا في نكرة من قبل أنها

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ٩٠ ، والمرادي الجنى الداني ص ٣١٦ وابن هشام مغني اللبيب ١ / ٣٢٢ .

(٢) المرادي : الجنى الداني ص ٣١٦ ، وأنظر المبرد : المقتضب ١ / ١٨٣ ، وابن السراج ١ / ٣٧٩ ، وابن يعيش : شرح المفصل ٨ / ١٢ .

(٣) السيوطي : همع الهوامع ١ / ١٢٥ .

(٤) المبرد : المقتضب ٤ / ٣٥٧ ، وأنظر سيهويه الكتاب ٢ / ٢٧٤ ، ٢ / ٢٨٨ ، ٢ / ٣٠٠ .

جواب فيما زعم الخليل لقوله : هل من عبد أو جارية ؟ فصار الجواب
نكرة ، كما أنه لا يقع في هذه المسألة إلا نكرة ، (١) .

وهي في الاختصاص بالنكرة نظيره ربّ وكم . يقول ابن يعيش :
«وقوله : وحقه أن يكون نكرة (يقصد اسم لا) ، فإنه لا يكون إلا نكرة
من حيث كانت تنفي نفياً عاماً مستغرقاً ، فلا يكون بعدها معين . فلا
في هنا للمعنى نظيرة ربّ وكم في الاختصاص بالنكرة » (٢) . ولهذا
جعلوها من علامات النكرة (٣) .

فإننا وليها اسم معرفة فهو مؤول بنكرة . يقول سيبويه : « واعلم
أن المعارف لا تجرى مجرى النكرة في هذا الباب ؛ لأن « لا » لا تعمل في
معرفة أبداً . فأما قول الشاعر :

* لا هيثم الليلة للمطي *

فإنه جعله نكرة ، كأنه قال : لا هيثم من الهيثمين . ومثل ذلك
لابصرة لكم وقال ابن الزبير الأسدي :

أرى الحاجات عند أبي خبيب تكنن ولا أمية في البلاد

وتقول : قضية ولا أبا حسن لها ، تجعله نكرة ... فإنما أراد أن ينفي
منكودين كلهم في قضيته مثل علي ، كأنه قال : لا أمثال علي لهذه
القضية (٤) .

(١) ابن السراج : الأصول ١ / ٨٠ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ١٠٠ .

(٣) السيوطي : الأشباه والنظائر ٢ / ٤٨ .

(٤) سيبويه : الكتاب ٢ / ٢٩٦ ، وابن الأنباري : أسرار العربية ص ٢٥٠ ، وابن

يعيش : شرح المفصل ٢ / ١٠٠ ، وأبو حيان : ارتشاف الضرب ٢ / ١٧١ .

على أن الدكتور عبد الرحمن أيوب يرى أن لا فرق بين لا النافية للجنس وال التي لتعريف الجنس ، فإذا عدت إحداهما أداة للتذكير أو للتعريف وجب أن تعدّ الأخرى كذلك (١) . وهو بذلك يحكم المعنى مغفلاً الاستخدام ، فالاسم المعرف بال الجنس يستخدم في العربية استخدام المعارف ، لكن اسم لا النافية للجنس لا يستخدم استخدام المعارف ، بل إنه إذا وقع بعدها اسم معرفة استخدم استخدام النكرات .

٥- لا العاملة عمل ليس :

وهي لا تدخل عند سيبويه وجمهور النحاة إلا على نكرة . يقول :
سيبويه : « وإن جعلتها بمنزلة ليس كان حالها كحال « لا » في أنها موضع ابتداء ، وأنها لا تعمل في معرفة ، فمن ذلك قول سعد بن مالك :

من صدّ عن نيرانها فأننا ابن قيس لا بسراج (٢)

وخالف في ذلك ابن جنّي ووافقه ابن مالك ، واستشهد على ذلك بقول النابغة

وحلت سواد القلب لا أنا باغيا عليها ولا عن حبها متراخيا (٣)
قال السيوطي : وتأوله الجمهور على أن الأصل : لا أرى باغيا ، فحذف الفعل وانفصل الضمير ، وباغيا حال (٤)

(١) د. عبد الرحمن أيوب . دراسات نقدية في النحو العربي ص ١٢١ .
(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ٢٩٦ ، وانظر : ابن السراج ١ / ٣٩٨ والمرادي : الجنى الداني ص ٢٩٠ ، وابن هشام : شذور الذهب ص ٢٤٩ .
(٣) المرادي : الجنى الداني ص ٢٩٣ .
(٤) السيوطي : مع الهوامع ١ / ١٢٥ .

٦- التنوين :

التنوين في اصطلاح النحاة نون زائدة ساكنة تلحق آخر الاسم لفظاً لا خطأ لغير توكيد (١) .

وقد نفهم من وضع بعض النحاة التنوين مفيداً للتذكير في مقابل الألف واللام مفيدتين للتعريف ما يدل عندهم على أن التنوين « لاحقة » تفيد التذكير ، كما أن الألف واللام « سابقة » تفيد التعريف . يقول سيبويه : « فالتنوين قبل الألف واللام ؛ لأن المعرفة بعد النكرة » (٢) . ويقول ابن يعيش في معرض ترجيحه لكون المعرفة اللام لا (ال) : «...ويؤيد ما ذكرناه أن حرف التعريف نقيض التنوين ؛ لأن التنوين دليل التذكير ، كما أن اللام دليل التعريف ، فكما أن التنوين حرف واحد، فكذلك المعرفة حرف واحد » (٣) . وجاء في حاشية الصبان : «...الثاني : أن التعريف ضد التذكير ، وعلم التذكير حرف أحادي وهو التنوين ، فليكن مقابله كذلك » (٤)

وقد التقط هذا الخيط من المحدثين الأستاذ إبراهيم مصطفى رحمه الله ، فأطلق الحكم بأن التنوين علامة التذكير ، وقال : « ومعنى التنوين غير خفي ، فهو علامة التذكير . وقد وضعت العرب للتعريف أداة تدخل

(١) ابن هشام : قطر الندى ص ١٥ ، ومغني اللبيب ٢ / ٣٤٠ ، وانظر : ابن السراج : الأصول ١ / ٤٦ .

(٢) سيبويه : الكتاب ١ / ١٨٤ .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٩ / ١٨ ، وانظر ابن جني : المنصف . شرح التصريف للمازني . (القاهرة ١٩٥٤) ١ / ٦٩ .

(٤) الصبان : حاشية الصبان ١ / ١٧٨ .

أول الاسم هي (ال) وجعلت للتذكير علامة تلحقه وهي التنوين^(١). ثم قال : « وسترى أطراد هذا الحكم وتحققه فيما ينصرف من الأسماء وما لا ينصرف »^(٢). لكنه اصطدم ببعض المعارف التي تنون ، وبخاصة الأعلام المصروفة ، فمضى يعدد الأدلة على أن الأصل في الأعلام أن لا تنون ، وأنه إذا دخلها التنوين ، وهو علم التذكير ، فهذا دليل على أن فيها نصيباً من التذكير^(٣) .

لقد انتهى الأستاذ إبراهيم مصطفى إلى أن التنوين علم التذكير ، وأنه لا يدخل المعارف إلا لأن فيها نصيباً من التذكير ، وأن سقوطه من بعض النكرات دليل على أن فيها شيئاً من التعريف ، يقول مقرباً ما يراه قاعدة مستقيمة : « ... وبذلك استقامت لنا القاعدة بشطريها : الشطر الأول : أن الأصل في العلم الا ينون ؛ إلا أن يدخله شيء من التذكير .

والشطر الثاني : أن الصفة تنون ولا تحرم من التنوين إلا إذا كان فيها نصيب من التعريف »^(٤) .

ولا نكاد نفهم ما يريد « بشيء من التذكير » أو « نصيب من التعريف » وما مقدار هذا الشيء أو هذا النصيب . وهل يظل للاسم تنكيره وفيه نصيب من التعريف ؟ وهل يظل للاسم تعريفه وفيه شيء من التذكير ؟ أو أن ذلك يقضي إلى نوع آخر من الأسماء لاهو معرفة ولا

(١) إبراهيم مصطفى : إحياء النحو (القاهرة ١٩٣٧) ص ١٦٥ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) إبراهيم مصطفى : إحياء النحو ص ١٦٦ وما بعدها .

(٤) السابق ص ١٨٩ .

نكرة؟. على أي حاولت أن أعرف ما يقصده بذلك ففتبعت ما كتب حتى انتهيت إلى أنه ربما يعنى بذلك لمح الأصل . ويظهر ذلك من قوله : « وقد قال النحاة إن ال تدخل على العلم للمح الأصل ، وأنها لا تدخل إلا على ما كان منقولاً عن وصف أو مصدر ، وكذلك أقول : إن التنوين يدخل العلم للمح الأصل . ومن لمح هذا الأصل يأتيه معنى التنكير ويدخله التنوين» (١).

وقياسه ، كما ترى ، مع الفارق ، إذ إن النحاة حين يقولون إن (ال) تدخل على الأعلام للمح الأصل لا يرونها دالة على التعريف ، فكذلك كان ينبغي أن يقال في التنوين إنه إذا كان للمح الأصل لا يكون علماً على التنوين ، وكلامه يدل على أنه لا يعد التنوين في الأعلام علماً على التنكير ، لكنه يجعل له « شيئاً من التنكير أو نصيباً » منه ، دافعه في ذلك الرغبة في طرد الحكم .

وجمهور النحاة يذكرون للتنوين أقساماً لا يفيد منها التنكير إلا نوع واحد هو اللاحق لبعض الأسماء المبنية فرقا بين معرفتها ونكرتها. وقد ذكر ابن هشام أن أنواعه خمسة (٢) .

١- تنوين التمكين : وهو اللاحق للاسم المعرب المنصرف نحو : زيد ورجل . وقد نص على أن تنوين رجل ونحوه للتمكين لا للتنكير ، قال : « وأما تنوين رجل ونحوه من المعربات فتنوين تمكين لا تنوين تنكير كما قد يتوهم بعض الطلبة . ولهذا لو سميت به رجلاً بقي ذلك

(١) السابق نفسه ص ١٨٠ .

(٢) ابن هشام : مغني اللبيب ٢ / ٢٤٠ فما بعدها .

التنوين بعينه مع زوال التنكير ، (١).

- ٢- تنوين التنكير : وهو اللاحق لبعض الأسماء المبنية فرقاً بين معرفتها ونكرتها ويقع في باب اسم الفعل بالسماح كصهٍ ومهٍ وإيهٍ ، وفي العلم المختوم بويه بقياس نحو : جاءني سيبويه وسببويه آخر .
- ٣- تنوين المقابلة : وهو اللاحق لنحو مسلمات ، جعل في مقابلة النون في مسلمين .

- ٤- تنوين العوض : وهو اللاحق عوضاً من حرف أصلي نحو جوارٍ وغواشٍ ، أو زائد كجندل فإن تنوينه عوض من ألف جنابل ، قاله ابن مالك والذي يظهر خلافه وأنه تنوين الصرف ، أو عوض عن مضاف إليه مفرد مثل : كل وبعض إذا قطعت عن الإضافة ، نحو : (وكلا ضربينا له الأمثال) ، (فضلنا بعضهم على بعض) . وقيل هو تنوين التمكين ، رجع لزوال الإضافة التي كانت تعارضه . أو عن مضافٍ إليه جملة وهو اللاحق لإذ في نحو : (وانشقت السماء فهي يومئذٍ واهية) .

٥- تنوين الترئم وهو اللاحق للقوافي المطلقة

ثم ذكر أنواعاً أخرى استدرکها العروضيون والنحاة كالغالي وهو اللاحق لآخر القوافي المقيدة ، وتنوين الضرورة وهو اللاحق لما لا ينصرف ، والتنوين الشاذ كقول بعضهم هؤلاء قومك . وظاهر أن تنوين الضرورة والترئم والغالي خاص بلغة الشعر فليست مما نحن بصدده ، والتنوين الشاذ لا يعول عليه . فقد بقيت أربعة أنواع ظهر فيها أنهم يفرقون بين تنوين التمكين وتنوين التنكير ، ولكن من النحاة قدماء

(١) السابق ١ / ٣٤٠ .

ومحدثين من لم يجد بأساً في أن يكون التنوين دالاً على التمكين والتنكير معاً في الاسم المعرب . يقول الرضي : « ... وأنا لا أرى مانعاً من أن يكون تنوين واحد للتمكن والتنكير معاً ، فرب حرف يفيد فائدتين كالألف والواو في مسلمان ومسلمون ، فنقول : التنوين في رجل يفيد التنكير » (١) . ويقول إبراهيم مصطفى « ... ونحن لانقبل تخصيصهم هذا ولا قصرهم التنكير على المبنيات ، بل نرى أنه في المعرب أكثر دلالة على التنكير وأوسع استعمالاً ، وأن حذفه آية ظاهرة على التعريف » (٢)

وقد رفض الدكتور عبد الرحمن أيوب تنوين المقابلة ، وتنوين العوض . قال : أما تنوين المقابلة فنرى أنه افتراض من النحاة لامبرر له إلا التفكير المنطقي الذي يقضي بأن يحتفظ جميع الأفراد المتشابهة بخواص أفرادها . فلم يكن من المستساغ لديهم أن يكون جمع ما لا ينصرف منصرفاً ، فافتراضوا أن التنوين في جمع المؤنث السالم غير التنوين في الأسماء المنصرفة . ولكي يبعدوا هذا التناقض الظاهر لجثوا إلى سلسلة من المقابلات ، فالتون في جمع المذكر السالم في مقابلة التنوين ، والتنوين في جمع المؤنث السالم في مقابلة التون في جمع المذكر السالم . وهكذا يبتعد الطرفان المتناقضان ، أي : جمع المؤنث المنون ومفرده غير المنون (٣) .

وأما تنوين العوض فقد رأى أنه افتراض من النحاة لاضرورة له

(١) الرضي : شرح الكافية ١ / ١٣ .

(٢) إبراهيم مصطفى : إحياء النحو ص ١٧٤ .

(٣) د. عبد الرحمن أيوب . دراسات نقدية ص ١٧ .

ايضاً وكان الأوفق لهم عنده أن يقولوا إن التنوين يأتي عند عدم وجود جملة تالية لكلمة حينئذٍ وبعدئذٍ وسواهما . أو عند عدم وجود اسم مضاف إليه بعد كل أو بعض ثم قال إن التنوين في كل وبعض ينبغي أن يكون تنوين تمكين (١)

على أن من النحاة من سبق إلى القول بأن التنوين علامة على انفصال الاسم مما بعده ، وناط بهذا الانفصال الفائدة العامة للتنوين مبرراً أكثرته في النكرات . يقول السهيلي : « التنوين فائدته التفرقة بين المنفصل والمتصل ، فلا يدخل في الاسم إلا علامة لانفصاله مما بعده ، ولذلك يكثر في النكرات لفرط احتياجها إلى التخصيص بالإضافة ، فإذا لم تضاف احتاجت إلى التنوين تنبيهاً على أنها غير مضافة ، ولا تكاد المعارف تحتاج إلى ذلك إلا فيما قلّ من الكلام لاستغنائها في أكثره عن زيادة تخصيص ، وما لا يتصور فيه الإضافة بحال كالمضمر لاينون بحال . وكذلك ما دخلته الألف واللام لا يحتاج إلى التنوين في شيء من الكلام » (٢) .

والحق أن التنوين ليس دائماً دليل التنكير ، كما إن الألف واللام -- فيما أسلفنا -- ليستا دوماً مفيدتين للتعريف ، وأن إطلاق القول بهذا أو ذاك مجانب لواقع الاستعمال اللغوي ، ولا أدل على ذلك من أن ثمة أسماء يعدها النحاة أنفسهم في النكرات وليست منونة كأفعل إذا كان صفة ، وفعلان الذي مؤنثه فعلى ، وما في آخره ألف التانيث ممدودة أو مقصورة ، وما كان على صيغة منتهى الجموع ، وما كان معدولاً من

(١) السابق ص ١٨

(٢) السهيلي : نتائج الفكر ص ٨٧

العدد نحو ثلاث ورباع (١) ... الخ كما أن هناك أسماء يعدها النحاة في المعارف ويلحقها التنوين مثل : محمد وزيد ، ونوح ولوط ، وهند ودعد . وقد لفتنا من قبل إلى أن الأستاذ إبراهيم مصطفى حاول أن يجعل التنوين في الأعلام إشارة إلى أن فيها نصيبا من التنكير ، وهو غير صحيح ؛ لأن هذه الأعلام منونة إذا قصد بها التعريف ، وهي منونة أيضا إذا قصد بها التنكير ، ومعنى ذلك أن التنوين ليس علامة فارقة بين التعريف والتنكير ، بل الفيصل في ذلك قصد المتكلم أو علم المخاطب أو سياق الكلام .

وقد أورد إبراهيم مصطفى نفسه نصا للسيرافي يؤكد ذلك ، يقول فيه السيرافي « .. وإنما صار العلم أصله التعريف ؛ لأنه الاسم الذي يقصد به المسمى شخصا بذلك الاسم من سائر الشخوص كرجل سمي ابنه زيدا أو غيره ليعرف باسمه من غيره ، وهذا أصله ، ثم سمي بمثل ما سمي به ، فرادف ذلك الاسم على شخوص كثيرة ، وكل شخص منها سمي به لاختصاصه ، ثم صار بالمشاركة عاما ، فأشبه أسماء الأنواع كرجل وفرس ونحوه مما هو لجماعة كل واحد منهم له ذلك الاسم . فإن أوردته المتكلم قاصدا إلى واحد عنده أن المخاطب يعرفه فهو معرفة ، وإن أوردته على أنه واحد من جماعة لا يعرفه المخاطب فهو نكرة ، ثم عقب إبراهيم مصطفى على هذا النص بقوله : « فهذا في غاية الجلاء في شرح ما يدخل العلم من معنى التنكير » (٢) .

(١) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ٤٦ . وانظر ابن الأنباري : أسرار العربية ص ٣١٠ .

(٢) انظر : إبراهيم مصطفى : إحياء النحو ص ١٧٥ فما بعدها .

وظاهر أنه التفت إلى جزء من نص السيرافي وهو الشيوخ الذي يصيب الأعلام من جراء إطلاقها على أشخاص كثيرين ، وترك ما هو أولى بالالتفات إليه ، وهو قصد المتكلم إلى واحد عنده أن المخاطب يعرفه؛ فإن كان كذلك فهو معرفة ، وإلا فهو نكرة . وليس التنوين بحال دالاً على هذا الشيوخ بدليل أن التنوين باقٍ عند تعريف العلم أيضاً. وقد نص على ذلك سيبويه من قبل فقال : « فإن قلت : هذان زيدان منطلقان لم يكن الكلام إلا نكرة ... وعلى هذا الحد تقول : هذا زيد من الزيدين ، أي : هذا واحد من الزيدين ، فصار كقولك : هذا رجل من الرجال » (١) .

على أن المتتبع لاستعمالات التنوين في العربية بعيداً عن الاعتبارات غير اللغوية التي يحكمها النحاة أحياناً في المستعمل من اللغة فيصرفونه عن وجهه يجد أن من الأسماء ما يدل فيه التنوين على التمكين وحده دون دلالة على التنكير ، ومنها ما يدل فيه التنوين على التمكين والتنكير معاً ، ومنها ما يدل فيه التنوين على التمكين والعوض ومنها ما يدل فيه التنوين على التنكير والعوض ، ومنها ما يدل التنوين فيه على التمكين والتنكير والعوض ، ومنها ما يدل فيه التنوين على التنكير وحده ، ومنها ما يدل فيه التنوين على التمكين وحده ، ومنها ما قاسه النحاة على غيره دون دلالة فيه واضحة على تمكين أو تنكير أو عوض .

فمما استخدم فيه التنوين دالاً على التمكين وحده العلم المصروف الذي قصد به إلى واحد معين يعرفه المخاطب ، أو : يحدده السياق نحو

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٠٣ .

- قوله تعالى : (محمد رسول الله) (١) .
 ومما استخدم فيه التنوين دالاً على التمكين والتنكير معاً ما يأتي :
- ١- اسم الجنس الأحادي نحو : رجل (٢) .
 - ٢- الأعلام التي لم يقصد بها إلى واحد معين نحو: رأيت زيداً من الزيديين ، ورأيت أحمد وأحمدأ آخر ، ورأيت موسى وموسى آخر ، ورأيت فاطمة وفاطمة أخرى (٣) .
 - ٣- المشتقات جميعاً ما عدا ما جاء منها على وزن أفعل صفة أو تفضيلاً ، ويلحق بها المنسوب والمصفر .
 - ٤- سحر ، وغنوة ، ويكرة ونحوها إذا لم تردها ليوم بعينه (٤) نحو : قوله تعالى : (نجيناهم بسحر) ، (وأذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً) .
 - ٥- ما كان على صيغة منتهى الجموع وفيه تاء التانيث مثل صياقلة وملائكة (٥) .
 - ٦- (فعلان) ليس له فعلى نحو : ندمان وسيفان وصفوان (للحجر)
 - ٧- الاسم الذي في أوله زائدة وليس على مثال الفعل مثل : إصليت وأسلوب (٦)

(١) يرى بعض اللغويين المحدثين أن التنوين فيه للمع الأصلى أو للتنكير اللفظي

انظر : إبراهيم مصطفى : إحياء النحو ص ١٨٠ .

Gätje , Zur Begriff der Determination und Indetermination im Arabischen . S. 232 .

(٢) انظر : ابن السراج : الأصول ٢ / ١١٣ ، والرضي : شرح الكافية ١ / ١٣ .

(٣) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٠٣ ، ٣ / ١٩٤ ، ٣ / ٢٢٠ ، ٣ / ٢١٣ .

(٤) ابن أبي الربيع : البسيط ١ / ٤٨٤ ، ٤٨٦ .

(٥) ابن جنى : اللمع ص ١٥٨ .

(٦) سيبويه : الكتاب ٣ / ١٩٩ .

٨- جمع المؤنث السالم ، فالتنوين في نحو مسلمات دال على التمكين ؛ لأنه معرب ودال على التنكير أيضا لشيوعه في مقابل المسلمات المعرفة . أما القول بأن التنوين هنا للمقابلة فهو افتراض اقتضته الصناعة النحوية .

ومما استخدم فيه التنوين دالاً على التمكين والعوض كل وبعض مقطوعين عن الإضافة ، فهما معربان والتنوين فيهما دال على العوض عن المضاف إليه المحذوف وهما معرفتان لا نكرتان كما نص على ذلك سيبويه ، قال : « هذا باب ما ينتصب خبره لأنه معرفة ، وهي معرفة لا توصف ولا تكون وصفا ، وذلك قولك : مررت بكل قائما ، ومررت ببعض قائماً وبعض جالساً ... وصار معرفة لأنه مضاف إلى معرفة ، كأنك قلت : مررت بكلهم وبعضهم ، ولكنك حذفك ذلك المضاف إليه» (١)

ومما استخدم فيه التنوين دالاً على التنكير والعوض قبل وبعد مقطوعين عن الإضافة لفظاً ومعنى ، أو عنها لفظاً لا معنى (٢) ، وكذلك أولاً وأخراً (٣) .

ومما استخدم فيه التنوين دالاً على التمكين والتنكير والعوض فنحو قاضي ، وبعض النحاة يرى أن تنوينه عوض من الحرف المحذوف (٤) وبعضهم يرى أنه تنوين التمكين لا العوض لثبوته مع أتياء

(١) السابق ٢ / ١٤٤ - ١١٥ .

(٢) انظر : سيبويه : الكتاب ٢ / ١٩٩ ، والسيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) للبرد : المقتضب ٣ / ١٧٥ .

(٤) السابق ١ / ٢٨١

في النصب (١) ولا نرى بأساً في أن يكون التنوين فيه للتمكين والتنكير والعوض ، فأما التمكين فلأنه معرب ، وأما التنكير فإنه يدل على شائع في جنسه ، ولأنه نكرة في مقابل المعرفة : القاضي ، وأما العوض فلأنه دليل على الحرف المحذوف وهو الياء . ولا يطعن في ذلك مجيء التنوين مع المنصوب نحو : رأيت قاضياً ، فهو في هذا للتمكين والتنكير فحسب ، ولا عوض .

و مما استخدم فيه التنوين دالاً على التنكير وحده ما يأتي :

١- أسماء الأعلام المبنية المختومة بويه مثل سيبويه في نحو : مررت بسيبويه وسيبويه آخر ، وهو قياسي فيما يرى النحاة (٢) .

٢- بعض أسماء الأصوات كصه ومه وإيه ، وهو سماعي (٣) .

٣- إيها وويهاً وواهاً من أسماء الأفعال فهي لا تستعمل إلا نكرة (٤) .

ومما استخدم فيه التنوين دالاً على العوض وحده الظرف إذ حين يقطع عن الإضافة إلى جملة كما في قوله تعالى : (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) والأصل : فهي يومئذ انشقت واهية ، ثم حذفتم الجملة المضاف إليها ، وعوض عنها التنوين (٥) .

ومما التنوين فيه من قياس النحاة بون دلالة واضحة فيه على تمكين أو تنكير أو عوض بعض أسماء الأصوات مثل : غاقٍ . قال

(١) الصبان : حاشية الصبان ١ / ٣٤ .

(٢) ابن هشام : مغني اللبيب ٢ / ٣٤٠ .

(٣) السابق نفسه .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٤ / ٧١ - ٧٢ .

(٥) ابن هشام : مغني اللبيب ٢ / ٣٤١ .

الرضي : « وليس ما قاله بعضهم من أن تنوين (غاقٍ) للتنكير بشيء ؛ إذ لا معنى للتعريف والتنكير فيه » (١) .

ولعله قد ظهر الآن أن دلالة التنوين على التنكير أوسع مما قرره النحاة ، لكنها أيضاً ليست مطلقة ، كما أراد لها الأستاذ إبراهيم مصطفى أن تكون . والسبب في أن النحاة القدماء ضيقوا واسعاً أنهم جعلوا للتنوين أقساماً أفردوا لكل منها دلالة مستقلة ، ولم يقبلوا أن تجتمع دالتان للتنوين في كلمة واحدة ، وقد خالفهم في ذلك الرضي بحق ، لكنه لم يطور رأيه بحيث يتتبع الكلمات التي يجتمع فيها معنيان للتنوين أو أكثر ، على النحو الذي قمنا به ، لكنه اكتفى باللمحة الدالة . أما ما وقع فيه الأستاذ إبراهيم مصطفى رحمه الله فقد قاده إليه رغبته في أن يطرد للتنوين معنى التنكير في كل موضع يقع فيه ليسلم له القول بأن التنوين علم على التنكير فوقع فيما أنكره على النحاة من التأويل ومخالفة الواقع اللغوي .

٢- امتناع الأداة :

لم يفرد نحاة العربية حديثاً لما لا تدخل عليه الأداة في العربية ، ولم يجعلوه قسيماً لأداتي التعريف والتنكير كما فعل بعض نحاة اللغات الأخرى فيما أطلقوا عليه Nullartikel (٢) Zero article (٣) ، لكنك تجد حديثهم عن ذلك منثوراً في مواضع شتى من كتبهم ، وقد تتبعت

(١) الرضي : شرح الكافية ٢ / ٨١ .

(٢) Helbig & Buscha, Deutsche Grammatik .S. 335

(٣) Quirk, R., Greenbaum, S., Leech, G , A Grammar of contemporary English (London 1974) p. 156 ff.

هذه المواضع في مظانها المختلفة فوجدت الأسماء من حيث امتناع دخول الأداة عليها ثلاثة أنواع : نوعاً يمتنع دخول ال عليه ولا يمتنع التنوين ، ونوعاً يمتنع لحاق التنوين به ولا يمتنع دخول اللام ، ونوعاً يمتنع معه (ال) والتنوين معاً .

فمما يمتنع دخول (ال) عليه ولا يمتنع التنوين ما يأتي :

١- **خَيْرٌ مِنْكَ وَنَحْوَهُ** . ذكر النحاة أنه لا يجوز دخول (ال) عليه ، ذلك بأن (ال) تعاقب من فلا تجامعها ^(١) . ولا يقع إلا نكرة منوناً . يقول سيبويه : « وتقول فيما لا يقع إلا منوناً عاملاً في نكرة ، وإنما وقع منوناً لأنه فصل فيه بين العامل والمعمول ، فالفصل لازم له أبداً مظهراً ، وذلك قولك : هو خير منك أبا ... ولا يعمل إلا في نكرة ، كما أنه لا يكون إلا نكرة » ^(٢) . وهو وإن كان نكرة أقرب إلى المعارف . يقول المبرد : « وما كان من النكرات لا تدخله الألف واللام فهو أقرب إلى المعارف ، نحو قولك : هذا خير منك » ^(٣)

٢- **الأعلام المفردة التي أطلقت على المسمى بها دون أن يقارن إطلاقها بإسخال الألف واللام ، وليست ممنوعة من الصرف نحو : زيد وعمرو ، ذكر النحاة أنه يمتنع دخول الألف واللام عليها ؛ لأن تعريفها بالوضع على العلمية . قال ابن يعيش : « ... فجرى مجرى العلم ، نحو زيد وعمرو في امتناعه من الألف واللام » ^(٤) ، ثم قال : إلا ترى أن**

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ١١٢ .

(٢) سيبويه : الكتاب ١ / ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٣) المبرد المقتضب ٤ / ٢٨١ .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ١١٢ .

تعريف زيد وعمرو بالوضع والعلمية ، فإذا ثبتت واحداً منها تنكر حتى صار كأسماء الأجناس الشائعة ... فإذا أردت بعد ذلك التعريف فبالألف واللام أو بالإضافة ، فتعريفهما بعد التثنية من غير وجه التعريف قبلها^(١) .

٣- من أسماء الأفعال ضرب لا يستعمل إلا نكرة منوناً نحو :
إيها في الكف ، فإنها لم ترد كما يقول ابن يعيش إلا منونة نكرة ، ونحو
ويها للإغراء بالشيء ولم يأت عنهم إلا منكوراً ، ونحو واهأ له ما أطيبه !
للتعجب من طيب الشيء وحسنه ، ولا يستعمل إلا منكوراً منوناً^(٢) .

ومنها ضرب يستعمل فيه التنوين فرقاً بين معرفتها ونكرتها فإذا
ورد منوناً فهو نكرته البتة ولا يقبل ال نحو : إيهِ ، وصهِ ، ومهِ ، وأقِبَ^(٣) .

٤- من المصادر غير المتصرفة ضرب ورد نائباً عن فعله منوناً لا
تدخل عليه الألف واللام نحو : سقياً لك ورعياً لك . قال سيبويه : لو
قلت : السقي لك والرعي لك لم يجز^(٤) . وقد حدد سيبويه التصرف
في المصادر بقوله : « وتصرفها أنها تقع في موضع الجر والرفع
وتدخلها الألف واللام »^(٥) . ويمكن القول على ذلك « أن المصادر غير
المتصرفة لا تلحقها الألف واللام .

ومنها أيضاً مصادر لا أفعال لها نحو : دفراً ، وبهراً ، وأنّه وتفة

(١) السابق ٣ / ١٢٨ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٤ / ٧٠ .

(٣) السابق ٤ / ٧١ ، وانظر : سيبويه : الكتاب ٣ / ٣٠٢ ، والسيرافي شرح كتاب
سيبويه ١ / ١٤٩ .

(٤) سيبويه : الكتاب ١ / ٣٢٩ .

(٥) السابق ١ / ٣٢٢ .

قال ابن يعيش : « فهذه أيضاً من قبيل ما قبلها من المصادر من حيث إنها غير متصرفة بأن تكون مرفوعة أو مجرورة أو بالالف واللام » (١) .

ومن هنا مصادر لا تقع إلا أحوالاً نحو : قاطبة وطرا في نحو : مررت بهم قاطبة ، ومررت بهم طرا . قال سيبويه : « ... وهذا جعل كقولك : مررت بهم قاطبة ، ومررت بهم طرا أي جميعاً ، إلا أن هذا نكرة لا يدخله الألف واللام » (٢) .

٥- ومما لا يقبل دخول (ال) أسماء وردت تكرات ملازمة للنفي مثل أحد وعريب وديار . جاء في شرح التصريح : « وكذا نحو أحد وديار وعريب وكتيع من الأسماء الملازمة للنفي ولا تقبل (ال) ... » (٣) .

ومما يمتنع لحاق التنوين به ولا يمتنع دخول (ال) عليه لأنه نكرة ما يأتي

١- ما آخره ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة من غير الأعلام نحو: نكرى ، وحبلى ، وجرحى ، وصحراء ، وحمراء وأنصباء (٤) .

٢- صيغة منتهى الجموع نحو دراهم ودنانير ، وعذارى ، وليالي منصوبة في نحو قوله تعالى : « سيروا فيها ليالي وأياماً » (٥) وثمة اسم يستخدم استخدامها هو سراويل : قيل إنه مفرد ، وقيل جمع سرولة ،

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ١ / ١٢٠ .

(٢) سيبويه : الكتاب ١ / ٣٧٦ ، ٢ / ١٣ ، وانظر للبرد : المقتضب ٣ / ٢٢٨ .

(٣) الأزهرى : شرح التصريح ١ / ٩٢ ، وانظر : الصبان : حاشية الصبان

١ / ١٠٤ ، والخضري : حاشية الخضري ١ / ٥٢ .

(٤) ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . تحقيق محمد محيي الدين عبد

الحميد (القاهرة ١٩٦٦) ٣ / ١٤١ .

(٥) السابق نفسه .

وقد نقل ابن الحاجب أن من العرب من يصرفه ، لكن ابن مالك أنكر عليه ذلك (١).

٤- ما كان من الصفات على وزن فعلان الذي مؤنثه فعلى نحو : سكران وغضبان وعطشان ، أو لا مؤنث له نحو : لحيان .

٥- ما كان من الصفات على وزن أفعل بشرط ألا يقبل التاء نحو : أحمر وأفضل .

أما ما لا يدخله (ال) ولا التثوين فهو نوعان : غير مضاف ومضاف

أ- غير المضاف :

١- المعرفة :

وقد ورد منها ما يأتي :

١- الضمائر كلها منفصلة ومتصلة ، وسواء أكانت في محل رفع أم نصب أم جر ، للحضور أم للغيبة .

٢- أسماء الإشارة كلها ، ما كان منها مبنياً أو معرباً ، وسواء أكان للإشارة إلى قريب أم بعيد أم متوسط ، للمذكر أو للمؤنث .

٣- الموصولات العامة نحو من وما ونو الطائفة ، وذا بشرطيهما (٢)

٤- الأعلام الأعجمية إذا نقلت أعلاماً ، وزاد الواحد منها على ثلاثة أحرف . كإبراهيم وإسماعيل ، والتي على وزن الفعل مثل أحمد ، ويزيد ، والأعلام المختومة بألف ونون زائدين نحو : مروان وعثمان ،

(١) ابن هشام : أوضح المسالك ٢ / ١٤٢ .

(٢) انظر ابن هشام : شذور الذهب ص ١٤٧ - ١٤٨ .

والأعلام المؤنثة إن كانت بالتاء كفاطمة ، أو زاد الواحد منها على ثلاثة أحرف كزينب ، أو كان محرك الوسط مثل سقر ، أو كان أعجمياً ساكن الوسط مثل جور أو منقولا من المذكر إلى المؤنث ، والأعلام المركبة تركيب مزج نحو حضرموت والأعلام المختومة بويه كسيبويه عند سيبويه والجمهور ، والموصوف منها باهن .

٥- المعدول من الأعلام المذكرة نحو : عمر ، ومن الأوقات نحو : سحر إذا أريد به سحر يوم بعينه نحو : جئت يوم الجمعة سحر ، وأمس إذا أريد به اليوم الذي يليه يومك ، ومن الألفاظ التوكيد نحو : جمع ، وما جاء على صيغة فعال بأنواعها ، قال ابن يعيش : « اعلم أن صيغة فعال مما اختص به المؤنث ، ولا يكون إلا معرفة معدولاً عن جهته » (١) . ثم نكر أنها أربعة أنواع (٢) :

١- ما كان اسماً لفعل في حال الأمر مبتدئاً على الكسر نحو : نزال وتراك

٢- ما كان اسماً لمصدر علم عليه نحو : فجار ويداد .

٣- ما كان صفة غالبية نحو : يا فساقٍ وياغدار

٤- ما كان من المرتجل نحو : حذام

٦- ألقاظ التوكيد غير المعدولة : أجمع وأجمعون وجمعاء . ويرى بعض النحاة أنها صيغ مرتجلة لتأكيد المعارف . قالوا : ويؤكد هذا القول أن أجمعين لم يتنكر بجمعه ، لو كان جمع أجمع لتنكر كما يتنكر العلم عند الجمع ، فدل على أنه صيغة مرتجلة لتأكيد الجمع المعرف (٣)

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٤ / ٥٠ .

(٢) السابق ٤ / ٥٠ فما بعدها .

(٣) السيوطي : الأشباه والنظائر ٢ / ٤٩ .

- ٧- بعض أسماء الأصوات مثل عدس (١)
٨- بعض أسماء الأفعال نحو بله بمعنى دع ، وآمين بمعنى استجب
قال ابن يعيش : ولا يستعمل إلا معرفة ، ولم يسمع في واحد منهما
التنوين ، (٢).

٢- النكرة :

وقد ورد منها ما يأتي :

- ١- ما كان على أفعل من نحو : زيد أحسن من عمرو ، وهو نكرة
أقرب إلى المعرفة (٣) .
٢- بعض أسماء الاستفهام نحو : كيف ولا تكون إلا نكرة (٤) ، وكم ،
قال ابن يعيش : « وأما كم وكيف ونحوهما فإنهما غير متمكّنين
لأنهما نكرتان لا تتعرفان » (٥) وأين نكرة كذلك لا يجوز تعريفه (٦) .
« كذلك متى ، ومن وما الاستفهاميتان خلافاً لابن كيسان (٧)
٣- ما ومن الشرطيتان (٨)
٤- المعدول من الأعداد نحو : أحاد وموحد ، وثناء ومثنى ، وثلاث
ورباع. قال ابن يعيش : « وأما المعدول منها في حال التنكير فنحو

(١) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١٧٤ .
(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٤ / ٧١ .
(٣) السابق ٣ / ١١١ .
(٤) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١٦ .
(٥) ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ٨٠ .
(٦) أبو علي الفارسي : التدليقة ٣ / ٩٥ .
(٧) الأشموني : شرح الأشموني ١ / ٦٧ .
(٨) السابق نفسه .

أحد وثلاث ورباع وما كان منها نكرات بدليل قوله تعالى : (أولى
أجنحة مثنى وثلاث ورباع) فمثنى وثلاث ورباع في موضع الصفة
لأجنحة وهي نكرة ،^(١) ثم قال : وقالوا : موحد كمثنى ومثلث . فأما
مثلث ومربع إلى العقد فقياس ولم يسمع ؛^(٢) .

٥- من وما نكرتين موصوفتين نحو : مررت بمن معجب لك وبما
معجب لك^(٣) .

٦- بعض المركبات نحو : حيص بيص ، وكفة كفة ، وببيت بيت ، وبين
بين، وصباح مساء ، ويوم يوم ، وشجر بقر ، وشذر مذر وأخول
أخول ، وهي كلها نكرات^(٤) .

٧- كلمة أُخْرَ جمع أخرى . قال ابن عصفور : « فكل فعلى مؤنثة الأفعال
لاستعمل هي ولا جمعها إلا مضافين أو معرفين بالالف واللام
فعدلت عن ذلك واستعملت نكرة »^(٥) .

ب- المضاف :

١- ما إضافته غير لازمة :

والمراد به ما استعمل من النكرات مضافاً وغير مضاف دون قيد إلا
مراد المتكلم على أن تكون إضافته محضة ، وما كانت إضافته محضة لا

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ١ / ٦٢ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) الأزهرى : شرح التصريح ١ / ٩٢ ، والأشموني : شرح الأشموني ١ / ٦٧ .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٤ / ١١٤ ، وأبو حيان : ارتشاف الضرب ١ / ٤٥٩ .

وإبن هشام : شذور الذهب ص ٧٢ .

(٥) ابن عصفور : المقرب ١ / ٢٨٠ .

تدخل عليه الألف واللام لأنها والإضافة يتعاقبان ، وكذلك لا يلحقه التنوين لأنه والإضافة لا يجتمعان (١) . وهو بحسب ما يضاف إليه ، فإذا أضيف إلى معرفة تعرف ، وإذا أضيف إلى نكرة تخصص ، وظل في حيز التنكير ، قال ابن أبي الربيع : .. وأما قوله : وإن أضفت إلى نكرة تذكر فمعترض ؛ لأنه لم يكن قبل ذلك معرفة ، بل كان نكرة ، فلما أضيف إلى النكرة تخصص بعض تخصيص ولم يتعرف ، وهذا بمنزلة قولك : غلام امرأة ، لما أضيف الغلام تخصص عن الغلمان ولم يتعرف إذ لم يضاف إلى معرفة ، فإن عرفت المرأة تعرف الغلام بإضافته إلى معرفة ، (٢) .

٢- ما إضافته لازمة :

النحاة ينصون على أن ثمة أسماء ملازمة للإضافة لا يجوز قطعها عنها ، وهذه الأسماء نوعان : أحدهما : ما يضاف إلى المفرد ، والثاني ما يضاف إلى الجملة .

أ- ما يضاف إلى المفرد :

المضاف إلى المفرد إضافة لازمة ثلاثة أنواع : نوع لا يضاف إلا إلى معرفة ، ونوع لا يضاف إلا إلى نكرة ، ونوع يضاف إلى المعرفة ويضاف إلى النكرة .

فمما لا يضاف إلا إلى معرفة : كلا وكلتا . قال ابن عصفور : « أما (كلا) فلا تضاف إلا إلى مثنى معرفة ، نحو قولك : كلا الرجلين قام .

(١) انظر : الزجاجي : الجمل ص ١٤٤ وابن أبي الربيع : البسيط ٢ / ٨٩٣ وابن هشام : شذور الذهب ص ٢٠٠ .

(٢) ابن أبي الربيع : البسيط ٢ / ١٠٤٠ . وانظر : سيبويه ٢ / ٢٢٩

وقد تضاف في الشعر إلى اثنين أحدهما معطوف على الآخر نحو قوله :

كلا السيف والساق الذي ضربت به

على مهل يابثن ألقاه صاحبه .

وقد تضاف إلى ما لفظه مفرد إذا كان واقعاً على اثنين نحو قوله :

إن للخير وللشر مدى وكلا ذلك وجه وقبل

ومثلها في جميع ما نكر (كلتا) ، (١) .

ومنها «أي» الموصولة ، جاء في شرح التصريح : « ولاتضاف أي الموصولة إلا إلى معرفة نحو أيهم أشد : لأن معناها معنى الذي وهو معرفة ، ولا يجوز أن تضاف إلى نكرة ... » (٢) ، ومنها « عذيرك » ، قال سيبويه : « ولا يتكلم به إلا معرفة مضافة » (٣) .

وأما النوع الثاني الذي لا يضاف إلا إلى نكرة فمته (أي) الكمالية فهي لاتقع إلا صفة لنكرة نحو : زيد رجل أي رجل ، أو حالاً لمعرفة نحو : مررت بعبد الله أي رجل (٤) .

وأما النوع الثالث الذي يضاف إلى المعرفة والنكرة فمته « نو » التي بمعنى صاحب . قال ابن السراج : « شرح الخامس وهو الوصف بذي ، وذلك نحو : مررت برجل ذي إبل ... ويفسر بأن معناه صاحب ،

(١) ابن عصفور : المقرب ١ / ٢١١ وانظر : ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٢٠٣ .
(٢) الأزهري : شرح التصريح ٢ / ٤٤ ، وأبو حيان : ارتشاف الضرب ١ / ٤٦٠
وابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٧٩ .
(٣) سيبويه : الكتاب ٢ / ٢٨٢ .
(٤) ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ٧٨ .

ولا يكون إلا مضافاً ، ولا يجوز أن تضيفه إلى مضمرة ، وإننا وصفت به
نكرة أضفته إلى نكرة ، وإننا وصفت به معرفة أضفت إلى الألف
واللام... (١)

ومنه أولو وأولات ولا يضافان إلا اسم جنس ظاهر معرفة أو نكرة
نحو : هؤلاء أولو علم ، وقوله تعالى : (وما يتذكر إلا أولو الألباب) (٢)
وقوله جل وعز : (وإن كن أولات حمل) وقوله تعالى : (وأولات
الأحمال) ومنه لدى كما في قول جرير :

ظللتنا بمستن الحرور كأننا لدى فرسٍ مستقبل الريح صائم
ونحو قوله تعالى : (لدى الباب) ، (وما كنت لديهم إذ يختصمون) (٣) .
ب- ما يضاف إلى الجمل :

يرى كثير من النحاة أن الجمل نكرات . قال المبرد : « ... لأن كل
جملة فهي نكرة ، ولولا أنها نكرة ما كان للمخاطب فيها فائدة : لأن
ما يعرف لا يستفاد » (٤) .

وبعض النحاة يراها لانكرة ولا معرفة ومن هؤلاء الرضي حيث
يقول : « اعلم أن الجملة ليست نكرة ولا معرفة : لأن التعريف والتنكير
من عوارض الذات : إذ التعريف جعل الذات مشاراً بها إلى خارج إشارة
وضعية ، والتنكير أن لا يشار بها إلى خارج في الوضع ... وإننا لم تكن

(١) ابن السراج : الأصول ٢ / ٢٧ ، وابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ١٤٩ .
(٢) انظر : أبو حيان الأندلسي : ارتشاف الضرب ٢ / ٥١٣ .
(٣) انظر : سيبويه ١ / ٤٢٥ ، وابن هشام : مغني اللبيب ١ / ١٥٦ .
(٤) المبرد : المقتضب ٢ / ٢٦٢ ، وانظر الفارسي : التعليق ١ / ٢٦٩ والزمخشري :
المفصل ص ١١٥ والسهيلي : نتائج الفكر ص ١٧٨ .

الجملة ذاتا فكيف يعرض لها التعريف والتذكير؟^(١) ثم قال محاوراً :
«فإن قيل : فإذا لم تكن الجملة معرفة ولا نكرة فلم جاز نعت النكرة بها
دون المعرفة ؟ قلت : لمناسبتها للنكرة من حيث يصح تأويلها بالنكرة
كما تقول في قام رجل نهب أبوه أو أبوه ناهب : قام رجل ناهب أبوه»^(٢).
وهو رأى وجيه كما ترى .

ولأنكاد نجد عند من قالوا بأن الجملة نكرة مايدل على أن المضاف
إلى الجمل إضافة لازمة اكتسب التخصيص من إضافته إلى النكرة .
ومما يضاف إلى الجمل إضافة لازمة الظروف : حيث ، إذا ، لما^(٣) .

(١) الرضي : شرح الكافية ١ / ٣٠٧ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) انظر ابن هشام : مفني اللبيب ١ / ٩٣ ، ١٣٢ ، ٢٨٠ .

الفصل الثاني

الاستبدال

يتخذ نحاة العربية - وبخاصة المتقدمون منهم - من وضع عنصر لغوي موضع آخر في سياق محدد وسيلة منهجية^(١) للوصول إلى حكم بتعريفها أو تنكيرها ، وإن خالف ذلك أحيانا أصل الوضع فيها . وهم بهذا يتركون الباب مفتوحاً أمام مقتضيات الاستعمال التي تخرج عن أصل القاعدة متخذين من صحة الاستبدال دليلاً على صحة الاستعمال ، وذلك على النحو الآتي :

١- يرى سيبويه أن العلم - وهو معرفة بأصل الوضع عنده - يجوز تنكيره إذا جاز أن يحل محل نكرة في سياق معين . يقول : « ..وعلى هذا الحد تقول : هذا زيد منطلق كأنك قلت : هذا رجل منطلق ، فإنما دخلت النكرة على هذا العلم الذي إنما وضع للمعرفة ولها جيء به»^(٢) . وقال في موضع آخر : « .. وعلى هذا الحد تقول : هذا زيد منطلق ، ألا ترى أنك تقول : هذا زيد من الزيدين فصار كقولك : هذا رجل من الرجال »^(٣) .

(١) راجع بحثاً لي بعنوان : النهج الاستبدالي في كتاب سيبويه . في : د. محمود فهمي حجازي (المحرر) : ثولفديترش فيشر . دراسات عربية وسامية مهداة من أصدقائه وتلاميذه بالجامعات المصرية (مركز اللغة العربية كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٩٤ ص ١١٥ - ١٤٠) .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ٩٧ .

(٣) السابق ٢ / ١٠٣ .

٢- ينقل سيبويه عن يونس والخليل أن إضافة اسم الفاعل إلى معرفة تكسبه التعريف إذا جاز أن يقع موقع اسم آخر أكسبته التعريف إضافته إلى معرفة . يقول سيبويه : « وزعم يونس والخليل أن هذه الصفات المضافة إلى المعرفة التي صارت صفة للنكرة قد يجوز فيهن كلهن أن يكن معرفة ، وذلك معروف في كلام العرب ، يدل ذلك على أنه يجوز لك أن تقول : مررت بعبد الله ضاريك ، فجعلت ضاريك بمنزلة صاحبك . وزعم يونس أنه يقول : مررت بزيد مثلك ، إذا أردت مررت بزيد المعروف بشبهك فجعل مثلك معرفة ، ويدل ذلك قوله : هذا مثلك قائماً ؛ كأنه قال : هذا أخوك قائماً » (١) .

ومن النحاة من ذكر أن اسم الفاعل يكون نكرة إذا وقع موقع جملة تكون صفة للنكرة . قال ابن السراج : وتقول : مررت برجل قائم أبوه فترفع الأب وتجري قائماً على رجل ؛ لأنه نكرة وصفته بنكرة ، فصار كقولك : مررت برجل يقوم أبوه » (٢) .

وقد سلم النحاة بصحة استبدال الجملة بالمفرد فجعلوها صفة لنكرة إن صح استبدالها بمفرد صفة لنكرة . قال سيبويه : « تقول : هذا رجل ضربنا فتصف بها النكرة وتكون في موضع ضارب إذا قلت : هذا رجل ضارب » (٣) وقال المبرد : « وإنما تكون الجمل صفات للنكرة وحالات للمعرفة ؛ لأن يفعل إنما هو مضارع فاعل ، فهو نكرة مثله . إلا ترى أنك تقول : مررت برجل يضرب زيدا كما تقول : مررت برجل

(١) السابق نفسه ١ / ٤٢٨ .

(٢) ابن السراج : الأصول ١ / ١٢٨ ، وانظر سيبويه : الكتاب ١ / ١٣٠ .

(٣) سيبويه : الكتاب ١ / ١٦ .

ضاربٍ زيداً ، وتقول : مررت بعبد الله يبني داره فيصير يبني في موضع نصب ، لأنه حال ، كما تقول : مررت بعبد الله بانيا داره ،^(١) وظاهر أن الاستبدال عندهم لا يقتصر على استبدال اسم باسم ، بل يتعداه إلى اسم بجملة أو جملة باسم .

على أن الرضى رفض - على أساس منطقي - كما أشرنا إلى ذلك من قبل - القول بأن الجملة نكرة أو معرفة : لأن التنكير أو التعريف من عوارض الذات ، لكنه اضطر إلى قبول ذلك على أساس استبدالي : قال : اعلم أن الجملة ليست نكرة ولا معرفة : لأن التنكير والتعريف من عوارض الذات ... وإذا لم تكن الجملة ذاتا فكيف يعرض لها التعريف والتنكير ، فإن قيل : فإن لم تكن الجملة معرفة ولانكرة فلم جاز نعت النكرة بها بون المعرفة ؟ قلت : لمناسبتها للنكرة من حيث يصح تأويلها بالنكرة كما تقول في : قام رجل ذهب أبوه أو أبوه ناهب : قام رجل ناهب أبوه ،^(٢) .

٣- يتخذ بعض النحاة من الاستبدال معياراً للحكم بأن الاسم المعرفة نقل من تعريف العلمية إلى تعريف الإضافة ، إذا وقع موقع معرف بإضافة في سياق صحيح . جاء في كتاب سيبويه : « وأما زيد ابن زيد فقال الخليل : هذا زيدُ ابن زيدك وهو القياس ، وهو بمنزلة هذا زيد ابن أخيك : لأن زيداً إنما صار معرفة بالضمير الذي فيه ، كما صار الأخ معرفة به ،^(٣) .

(١) المبرد : المقتضب ٤ / ١٢٣ .

(٢) الرضى : شرح الكافية ١ / ٣٠٧ .

(٣) سيبويه : الكتاب ٣ / ٥٠٧ .

٤- يرى النحاة أن ثمة مواقع في الجملة لا يتعاقب عليها إلا النكرات كمواقع الحال ، والتمييز ، واسم لا النافية للجنس ، والمجرور بمن الاستغراقية ... الخ فإذا ورد الاستعمال بمعارف وقعت في واحد من هذه المواقع فهم على إحدى ثلاث : إما أن يحكموا لها بالتنكير معنى وإن كان لفظها لفظ المعارف بدليل صحة وقوعها موقع اسم نكرة ، وهذا هو الغالب ، وإما أن يقولوا إنها نكرة لفظاً ومعنى ويصرفوا وسيلة تعريفها إلى وجه آخر ، وإما أن يقدرُوا لهذا الموقع محذوقاً يصح وقوعه هذا الموقع، ثم يزعمون أن هذه المعرفة بدل منه . وهذه نصوصهم دالة على ذلك :

- قال سيبويه : « وأما ربُّ رجل وأخيه منطلقين ففيها قبح حتى تقول : وأخ له . والمنطلقان عندنا مجروران من قبل أن قوله وأخيه في موضع نكرة : لأن المعنى إنما هو : وأخ له . فإن قيل : أمضافة إلى معرفة أو نكرة فإنك قائل إلى معرفة وهي توصف بها النكرة وتقع مواقعها » (١) .

- قال أبو علي الفارسي : « فإن قلت : فقد قالوا طلبته جهديك وطاقتك ، ورجع عوده على بدئه ، وأرسلها العراك ، وهذه معارف وهي أحوال فالقول إن هذه الأشياء ليست أحوالا ، وإنما الحال الفعل الذي وقعت هذه المصادر في موضعه ، فالتقدير : طلبته تجتهد ، وأرسلها تعترك فدل جهديك والعراك على تجتهد وتعترك » (٢) .

(١) السابق ٢ / ٥٤ - ٥٥ ، وانظر : المبرد : المقتضب ٣ / ٢٣٧ .

(٢) أبو علي الفارسي : الإيضاح العضدي ١ / ٢٠٠ وانظر : الزمخشري المفصل ص ٦٢ وابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ٦٢ .

- قال ابن هشام : « ... الثانية (من المساليتين اللتين لايتعرف فيهما المضاف إذا أضيف إلى معرفة ، ولا يتخصص إذا أضيف إلى نكرة) : أن يكون المضاف في موضع مستحق للنكرة ، كان يقع حالاً أو تمييزاً أو اسماً للإناثية للجنس ، فالحال كقولهم جاء زيد وحده ، والتمييز كقولهم كم ناقةً وفصيلها ، فكم مبتدأ وهي استفهامية ، وناقة منصوب على التمييز وفصيلها عاطف ومعطوف ، والمعطوف على التمييز تمييز . واسم لا كقولك : لا أبا لزيد ، لا غلامي لعمر : فإن الصحيح أنه من باب المضاف واللام مقحمة . فهذه الأنواع كلها نكرات ، وهي في المعنى بمنزلة قولك : جاء زيد منفرداً ، وكم ناقة وفصيلاً لها ، ولا أباً لك ،^(١) .

- جاء في شرح ابن عقيل : « ... ومنه الداخلة اضطراراً على التمييز كقوله :

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا

صددت وطبت النفس يا قيس عن عمرو

والأصل : وطبت نفساً فزاد الألف واللام . وهذا بناء على أن التمييز لا يكون إلا نكرة وهو مذهب البصريين ... »^(٢) .

فإن لم يرد الاستعمال به منعه النحاة . يقول المبرد : « ... ألا ترى أنك تقول : ما جاءني من رجل ، ولا تقول : ما جاءني من زيد : لأن رجلاً في موضع الجميع ، ولا يقع المعروف هنا الموقع : لأنه شيء قد

(١) ابن هشام : شذور الذهب ص ٣٩٧ ، وانظر سيبويه الكتاب ١ / ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

(٢) ابن هشام : شذور الذهب ص ٣٩٧ ، وانظر سيبويه : الكتاب ١ / ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

عرفته بعينه ، (١) . وقال في موضع آخر : « فإذا قلت : ما جاءني من رجل لم يقع ذلك إلا للجنس كله . ولو وضعت في موضع هذا المنكور معروفا لم يجز ، لو قلت : ما جاءني من عبد الله كان محالا ؛ لأنه معروف بعينه فلا يشيع في الجنس ، (٢) .

بل إنهم منعوا أن يحل الاسم الموصول وصلته - وهو معرفة عندهم - محل المعرفة بالجنسية وهو في حكم النكرة عندهم معنى . فمن الصحيح عندهم أن تقول : نعم الرجل أنت ، ولا يصح أن تقول : *نعم الذي في الدار أنت . قال المبرد : « ولو قلت : نعم الذي في الدار أنت لم يجز ؛ لأن الذي بصلته مقصود إليه بعينه ، فقد خرج من موضع الاسم الذي يكون للجنس ، (٣) .

٥- يستخدم النحاة الاستبدال أحيانا لحل مشكلة التعارض بين القاعدة والاستعمال ، فالقاعدة عندهم أن المعرفة مثلا توصف بالمعرفة ، والنكرة توصف بالنكرة ، ولكن الاستعمال ورد بنحو قولك : ما يصلح بالرجل خير منك أن يفعل هذا ، عندئذ رأى النحاة أن الذي سوَّغ وصف المعرفة بالنكرة هنا هو أن الموصوف المعرفة في معنى النكرة ، بدليل أنه يمكن استبدال النكرة بالمعرفة فتقول : ما يصلح برجل خير منك أن يفعل هذا . قال ابن أبي الربيع : « تقول : ما يصلح بالرجل خير منك أن يفعل هذا ، وخير نكرة ، والرجل معرفة وقد تقدم أن النكرة لا تنعت إلا بالنكرة ، والمعرفة بالمعرفة . قلت : لما لم يمكن تعريف خير ، وكان

(١) المبرد : المقتضب ٤ / ١٣٨ .

(٢) السابق ٤ / ٤٢٠ .

(٣) المبرد : المقتضب ٢ / ١٤١ ، والزجاجي : اللامات ص ٤٠ .

الرجل - وإن كان معرفة - تقع في موضعه النكرة هنا على معنى واحد، فتقول : ما يصلح برجلٍ خير منك ، فجرى خير صفة على ما يصلح أن يقع في الموضع لتوهمه على حسب ما ذكرته . ولهذا في كلام العرب نظائر كثيرة ، (١) .

والنحاة بعد على أن بعض المواقع في الجملة العربية صالح لأن تقع فيه المعرفة موقع النكرة وقوعاً صحيحاً ، كالموقع الذي يلي كل : إذ يصح القول : قام كل رجلٍ أو قام كل الرجال ، والموقع الذي يلي أقفل التفضيل غير المقترن بال ولا من مثل : زيد أفضل رجل ، زيد أفضل الرجال (٢) . لأن المفرد هنا في معنى الجمع ، والنكرة في معنى المعرفة كما يقولون .

٦- يتخذ النحاة من صحة الاستبدال دليلاً على تعريف عنصر لغوي في سياق وتنكيره في سياق آخر ، إذا تعذر الاعتماد على المعنى في الحكم بتعريفه أو تنكيره ، ومن ذلك أنهم يعدون « من » و « ما » موصولتين معرفتين في سياق يعين على ذلك ، ويعدونهما نكرتين في سياق آخر فهم يعدون « من » و « ما » موصولين إذ أمكن أن يستبدل بهما الذي في سياق لغوي صحيح . يقول ابن يعيش عن « مَنْ » الموصولة : « ... وذلك نحو قولك جاءني من عندك أي الذي عندك » (٣) . ويقول المرادى عن « ما » الموصولة : « وهي التي يصلح في موضعها

(١) ابن أبي الربيع : البسيط ١ / ٣٢٦ .

(٢) ابن أبي الربيع : البسيط ١ / ٣٦٦ .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ١٤٤ .

«الذي» نحو : « ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض » (١) .

والنحاة على أن « من » تكون نكرة إذا وقعت موقع نكرة في سياق واحد . قال سيبويه : وكذلك أقل من يقول ذلك ، وقل من يقول ذلك إذا جعلت من بمنزلة رجل . حدثنا بونس عن العرب يجعلونه نكرة » (٢) واستشهد ابن يعيش على كونها نكرة موصوفة بقوله تعالى : « كل من عليها فان » (٣) . وذكر صاحب شرح التصريح على التوضيح أن من تستخدم بمعنى إنسان ، وما بمعنى شيء في قولك : مررت بمن معجب لك ، ومررت بما معجب لك (٤) . ويفهم منه أنه يمكن استبدال إنسان : بـ (من) ، وشيء بـ (ما) فتقول : مررت بإنسان معجب لك ، وبشيء معجب لك .

كذلك رأى النحاة أن المصدر المؤول معرفة لأن من الممكن أن تستبدل به معرفة في السياق نفسه ، على حين قال آخرون : إن ذلك ليس على وجه اللزوم ، بل يصح أن يستبدل به نكرة في بعض السياقات . فمن حكم له بالتعريف فقد نظر إلى سياق يمكن أن يستبدل به فيه معرفة . ومن حكم له بالتنكير فقد نظر إلى سياق يمكن أن تستبدل به نكرة . جاء في حاشية الشيخ يس العليمي : « ... وحاصله أن المصدر المسبوك من الموصول الحرفي وصلته في مثل أعجبنى ما صنعت محكوم له بالتعريف ؛ لأنه بمنزلة صنعك . وهذا وإن قاله النحاة

(١) المرادي : الجنى الثاني في حروف المعاني ص ٣٣٥ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ٣١٤ .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٤ / ١١ .

(٤) الأزهرى : شرح التصريح ١ / ٩٢ .

لا يظهر الدليل عليه كما قال الدماميني : لأن المصدر لا يجب إضافته ، بل يجوز أن يذكر المعمول بعده مرفوعاً أو منصوباً نحو : أعجبني ضرب زيد وزيداً بتثوين ضرب ورفع زيد أو نصبه ، فلم لايجوز تقدير هذا المصدر منكراً ... ودعوى الدماميني أن النحاة قالوه غير مسلمة إن أراد كلهم ، فقد صرح بعضهم بأن المسبوك نكرة ، (١) .

٧- يستخدم بعض النحاة الاستبدال معياراً للحكم بتعريف أجمع وأجمعين وأخواتهما مع أنها ليست من المعارف التي حددها النحاة . قال ابن يعيش : « وأما أجمع وأجمعون وتوابعهما فقد اختلفت الناس في تعريفها من أي وجه وقع لها التعريف ، فذهب قوم إلى أنها في معنى المضاف إلى المضمر : لأنك إذا قلت رأيت الجيش أجمع كان في تقدير رأيت الجيش جميعه ، وكذلك إذا قلت : رأيت القوم أجمعين كان في تقدير رأيت القوم جميعهم » (٢) .

(١) يس العليمي : حاشية على شرح التصريح على التوضيح ٢ / ٢٧ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ٤٥ .

Vertical line on the left side of the page.

الفصل الثالث

البنية الصرفية

يتخذ علماء العربية من ورود الكلمة على بنية صرفية معينة وسيلة للوصول إلى حكم بتعريفها أو تنكيرها ، بعد أن لاحظوا اطراد ذلك في الكلمات التي ترد على صيغ بعينها ، فجعلوا ذلك قانونا عاما ينطبق على كل ما يرد على هذه الصيغ من أسماء ، ويظهر ذلك فيما يأتي :

١- يرى النحاة أنه لا يثنى ولا يجمع إلا المنكر ، فإذا أريد تثنية معرفة ردت إلى التنكير ، ثم تثنى أو تجمع ، ثم تعرف بعد ذلك بالألف واللام أو بالإضافة . يقول سيبويه : « فإن قلت : هذان زيدان منطلقان ، وهذان عمران منطلقان ، لم يكن الكلام إلا نكرة من قبل أنك جعلته من أمة كل رجل منها زيد وعمرو ، وليس واحد منها أولى به من الآخر »^(١) .

ويرى سيبويه أنك إذا أردتهما معرفة بعد التثنية كان من اللازم أن تعرفهما بوسيلة أخرى غير التي كانا يتعرفان بها قبل التثنية فتدخل عليهما الألف واللام فيصبحان معرفة بالألف واللام لا بالعلمية . كذلك إذا كان الاسم معرفا بالألف واللام وأردت تثنيته أو جمعه جردته من الألف واللام ، ثم تثنيته أو جمعته ، ثم ترد إليه التعريف بإدخال الألف واللام أو بالإضافة بعد التثنية أو الجمع . يقول : « ... والدليل على ذلك أن ما فيه الألف واللام لا يجوز تثنيته لأنه معرفة معين مقصود إليه ، فإذا

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٠٢ .

ثنيناه زال التعيين ، وصار من أمة كل واحد منهم له مثل اسمه . ألا ترى أنه لو قيل : ثن زيدا وبقّ فيه التعريف لقنت الزيدان ، وذلك أنك قصدت إلى زيد الذي هو معرفة بالتسمية ، فلما ثنيته قلت زيدان ، فزال التسمية والتلقيب الذي كان من أجله معرفة ؛ لأنهما لم يسميا معرفة في موضع تلقيبهما وتسميتهما بالزيدين مثني ، ثم أدخلت الألف واللام عليهما فتعرفا بها لا بالتسمية والتلقيب ، (١) . ويقول المبرد : «وتثنية الأعلام وجمعها يردها إلى النكرة فتعرف بالألف واللام ، فتصير بمنزلة رجل والرجل نحو : رأيت زيدين ، ورأيت الزيدين إلا إذا كان مضافا إلى معرفة فإن تعريفه بالإضافة» (٢) .

ولا يقتصر الأمر عند النحاة على العلم ، بل ينطبق الأمر على المعرف بال أيضا ، فإذا أريد تثنية الرجل أو جمعه فلا بدّ من تجريده من الألف واللام أولاً حتى تجوز تثنيته أو جمعه ، ثم ترد إليه إذا أريد إبقاء التعريف له . يقول ابن يعيش : «ألا ترى أنك لو رمت تثنية الرجل مع بقاء ما فيه من التعريف لرمت محالاً ؛ لأن الرجل معين مقصود إليه ، فإذا ثنيناه زال التعيين ، وصار من أمة كل واحد منها له مثل اسمه ، وهذان معنيان متدافعان ، فصح أنك لما أردت تثنيته نزعته عنه الألف واللام حتى صار نكرة» (٣) .

وقد نبه بعض النحاة إلى أن ذلك لا ينطبق على ما جاء على صيغة المثني أو الجمع لكنه ليس بمثني ولا جمع مثل : اللذان ونحوها . قال ابن

(١) السابق ١ / ٢٢٧ .

(٢) المبرد : المقتضب ٢ / ٣٠٩ .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٤ / ١٤٠ .

أبي الربيع : « فإن قلت : فقد قالوا : اللذان ، قلت : هذا جرى على طريقة التثنية وليس بتثنية » (١) ثم قال : « فإن قلت : فقد جاء « أبانان » اسماً لجبلين مخصوصين ، قلت : أبانان اسم للجبلين وما حولهما فقد صار كرجل يسمى باسم مثنى . ونظير هذا عرفات ، فإنه اسم لذلك الموضع وسمى بجمع مؤنث ... » (٢)

٢- يرى النحاة أن الأسماء أو الظروف التي تأتي على صيغة معدولة عن أخرى لفظاً لا معنى معارف . والعدل عندهم تحويل صيغة إلى أخرى مع بقاء المعنى الأصلي (٣) . فمن الأسماء المعدولة عندهم كل ما جاء على صيغة « فَعَالٍ » معدولاً (٤) ومنها ما جاء على صيغة فُعَلٍ معدولاً عن فاعل دالاً على مذكر . يقول سيبويه : « ولا يجئ عمر ، وأشباهه محدولاً عن البناء الذي هو أولى به إلا وذلك البناء معرفة . وقد حصر ابن هشام العدل الواقع في المعارف من الأسماء في هاتين الصيغتين فقال : « ... فالواقع في المعارف (يعني العدل) يأتي على وزنين : أحدهما فُعَلٌ وذلك في المذكر ، وعدله عن فاعل كعمر وزفر وزحل وجمع ، والثاني : فَعَالٍ وذلك في المؤنث ، وعدله عن فاعلة نحو : حذام وقطام ورقاش » (٥) .

ومن الظروف ما عدل به عندهم عما فيه الألف واللام نحو : أمس

(١) ابن أبي الربيع : البسيط ١ / ٢٤٦ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) انظر : ابن هشام : قطر الندى ص ٤٤٧ ، وانظر ابن يعيش : شرح المفصل ١ / ٦٢ .

(٤) انظر ابن يعيش : شرح المفصل ٤ / ٣٢ .

(٥) ابن هشام : قطر الندى ص ٤٤٧ .

عند بعض النحاة إذا أردت به اليوم الذي قبل يومك ^(١)، ومثله سحر إذا أردت به سحر يوم بعينه ^(٢). وذهب قوم من النحاة إلى أن أجمع وأجمعين معدولان عن الألف واللام والمراد الأجمع والأجمعون، وكذلك جمع لاتنصرف للتعريف والعدل ^(٣). ومن المعدول أيضاً غدوة وبكرة فقد عدل غدوة عن الغداة، وأجريت بكرة مجراها. قال أبو علي: «وكان الحكم في غدوة وبكرة أن يصيرا معرفتين بالألف واللام؛ إلا أن غدوة غير لفظها وعدل عن الغداة فتعرفت بهذه الصفة فلم تنصرف، وأجريت بكرة مجراها لما كانت بمعناها» ^(٤).

ولما كان العدل عن الألف واللام عندهم دليلاً على التعريف فقد رفض أبو علي الفارسي فيما نقله عنه الرضي أن يكون آخر معدولاً عن ذي الألف واللام استدلالاً بأنه لو كان كذا لوجب كونه معرفة كأمس وسحر المعدولين عن ذي الألف واللام، وكان لا يقع صفة للنكرات في قوله تعالى: «من أيام آخر» ^(٥) وقد أجابوا عن اعتراضه بأن آخر معدول عن ذي الألف واللام لفظاً ومعنى، أي: عدل به إلى التنكير ^(٦).

٢- صيغة فُعُلى مؤنث أقبل لاتستخدم إلا معرفة بال أو بالأضافة
قال ابن هشام: «والقاعدة أن كل فعلى مؤنثة أقبل لا تستعمل هي ولا جمعها إلا بالألف واللام أو بالإضافة كالكبرى والصغرى، والكُبر

-
- (١) ابن يعيش: شرح المفصل ٣ / ٤٦ والرضي: شرح الكافية ١ / ٤٢.
(٢) أبو علي الفارسي: التعليق ٣ / ١٠٧.
(٣) ابن يعيش: شرح المفصل ٣ / ٤٦.
(٤) أبو علي الفارسي: التعليق ٣ / ١٠٧.
(٥) الرضي: شرح الكافية ١ / ٤٢.
(٦) السابق نفسه.

والصُّغَرُ ، قال الله تعالى : (إنها لإحدى الكُبرِ) . ولا يجوز أن تقول :
صغرى ولا كبرى ، ولا كبر ولا صغر . ولهذا لحنوا العروضيين في
قولهم : فاصلة كبرى ، وفاصلة صغرى ، ولحنوا أبا نواس في قوله :

كان صغرى وكبرى من فقاقتها

حصباء در على أرض من الذهب^(١) ،

والنحاة على أن صيغة « أفعال » الدالة على التفضيل تلزم التنكير
إذا صاحبها « من » ، وتلزم التعريف بالألف واللام أو بالإضافة إذا
فارقتها « من » . قال الزمخشري : « وتعتوره (يقصد أفعال التفضيل)
حالتان متضادتان : لزوم التنكير عند مصاحبة « من » ، ولزوم
التعريف عند مفارقتها فلا يقال : زيد الأفضل من عمرو ، ولا زيد
أفضل وكذلك مؤنثه وتثنيتهما وجمعهما ... بل الواجب تعريف ذلك
باللام أو بالإضافة كقولك الأفضل ، والفضلى ، وأفضل الرجال ،
وفضلى النساء »^(٢) .

٤- ذكر النحاة أن أولى في قوله : (أولى لك فأولى) علم على
الوعيد بعد أن استبعدوا أن يكون وروده على صيغة « أفعال » يجعله
أفعال تفضيل ، أو أفعال فعلاء ، بدليل لحاق تاء التأنيث به فيما حكاه أبو
زيد من قولهم أولاة الآن إذا وعدوا^(٣) .

٥- يتخذ النحاة من منع فلانة مؤنث فلان عن الصرف دليلاً على
تعريف فلان كناية عن المذكر العاقل . قال السيوطي : « كنت العرب عن

(١) ابن هشام : قطر الندى ص ٤٤٩ .

(٢) الزمخشري : المفصل ص ٢٢٣ .

(٣) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٢٢ .

علم المنكر العاقل نحو زيد بـ (فلان) ... والدليل على أنه علم منع مؤنثه من الصرف في قوله : فلانة أضحت خلة لفلان (١)

٦- نص النحاة على أن ثمة كلمات ذات صيغ ثابتة بعضها ملازم للتذكير وبعضها ملازم للتعريف . فمما ذكروا أنه ملازم للتذكير : طراً ، وقاطبةً (٢) . ومنها أين ، قال أبو علي : « وأين نكرة لا يجوز تعريفه » (٣) . ومما ذكروا أنه ملازم للتعريف جمعاء وسائر أمثلة التوكيد مثل أجمعون وأجمع ، وقال بعضهم هي صيغ مرتجلة لتأكيد الجمع المعروف ، وبها تكون المعارف ثمانية ، (٤) .

(١) السيوطي : همع الهوامع ١ / ٧٤ .

(٢) سيبويه : الكتاب ١ / ٣٧٥ .

(٣) أبو علي الفارسي : التعليقة ٣ / ١١٢ .

(٤) ابن أبي الربيع : البسيط ١ / ٣٦٨ ، والسيوطي : الأشباه والنظائر ٢ / ٤٩ .

الفصل الرابع الظواهر النحوية

يتخذ النحاة من بعض الظواهر النحوية كالمطابقة ، والإضافة والموقع الذي تتعاقب عليه المعارف أو النكرات ، والإحالة إلى عنصر نحوي سابق ، والتقديم والتأخير ، والعلامة الإعرابية ، والجواب عن بعض كلمات الاستفهام معياراً للحكم على الكلمة بالتعريف أو التنكير. وهم في ذلك لا يحفلون بما يرد من الكلمات على هيئة المعارف أو النكرات إذا خالف القاعدة النحوية ، فإذا التفتوا إليه فإنما يلتفتون لتأويله ، واتخاذ المعيار النحوي دليلاً على صحة التأويل ، ويعدون تعريفه لفظياً إن استخدم استخدام المعارف مع دلالة على الشروع ، وتنكيره معنوياً إن استخدم استخدام النكرات مع وروده على هيئة المعارف . ولعل ذلك يظهر واضحاً فيما يأتي :

أولاً : المطابقة :

1- القاعدة عند جمهور النحاة أن الصفة تطابق الموصوف تعريفاً وتنكيراً يقول سيبويه : « وأعلم أن المعرفة لا توصف إلا بمعرفة ، كما أن النكرة لا توصف إلا بنكرة » (١) . وقال في موضع آخر : « والزموا صفة النكرة النكرة كما ألزموا صفة المعرفة المعرفة » (٢) . وقد علل ذلك أبو علي الفارسي بقوله : « إنما امتنع وصف النكرة بالمعرفة : لأن

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ٦ .

(٢) السابق ٢ / ١٧ ، ٢٠ ، ١٢١ . وانظر ابن السراج : الأصول ٢ / ٢٣ والفارسي :

التعليقة ١ / ٢٥٦ ، ٣ / ٩١ .

النكرة تدل على أكثر من واحد ، والمعرفة مختصة تدل على واحد ، فمن حيث لم يجز أن يكون الواحد جمعاً لم يجز أن توصف النكرة بالمعرفة ولا المعرفة بالنكرة ، (١) .

فإذا ورد الاستعمال بما يخالف ذلك رده النحاة إلى القاعدة ، أو تألوله ليحتفظوا للقاعدة باطرادها ، فقد استقبح بعض متقدمي النحاة مثلاً أن توصف النكرة بالمعرفة في نحو : هذه مائة ضرب الأمير ، فرفعوا « ضرب » على الابتداء ، (٢) . من ثم عدّ النحاة أنواعاً من المعارف نكرات ؛ لأنها وقعت صفات للنكرات . ومما أوردوه من ذلك ما يأتي :

١- مضافات إلى معارف : ومنها :

أ- اسم الفاعل في نحو قوله تعالى : « هديا بالغ الكعبة » ، وقوله جل وعزّ : « هذا عارض ممطرنا » ، وقول النابغة :

احكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام شرع وارد الثمد
وقول جرير :

ظللنا بمستن الحرور كأننا لدى فرس مستقبل الريح صائم (٣)
ب- الصفة المشبهة في نحو قول امرئ القيس :
بمنجرد قيد الأوائد لآحه طرد الهوادي كل شأو مغرب
وقولهم : مررت بناقة غبر الهواجر (٤) . قال ابن السراج : وقولك :

(١) أبو علي الفارسي : التعليق ١ / ٤٥ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٢٠ - ١٢١ .

(٣) انظر سيبويه : الكتاب ١ / ١٦٥ ، ١٦٨ / ١ ، ٤٢٥ ، وابن السراج الأصول

١ / ١٢٦ ، الفارسي : الإيضاح ١ / ٢٦٩ .

(٤) سيبويه : الكتاب ١ / ١٣٢ .

مررت برجل حسن الوجه يدلك على أن حسن الوجه نكرة ؛ لأنك وصفت به نكرة ؛ (١).

ج- اسم المفعول في نحو قولك : هذا رجل معمور الدار الآن (٢) .

د- اسم التفضيل عند ابن السراج وأبي علي الفارسي ، وأبي البقاء والكوفيين وجماعة من المتأخرين . وهم يرون أن إضافته غير محضة لا تكسبه تعريفا ، قالوا : بدليل قولهم : مررت برجل أفضل القوم ؛ إذ لو كانت إضافته محضة لزم وصف النكرة بالمعرفة . أما المخالفون فقد اضطروا إلى تخريج ذلك على البديل فيكون من بدل المعرفة من النكرة (٣) .

وقد ذكر السيوطي أن ابن هشام قال في تذكرته : بنى ابن عصفور على أن إضافة أفعل لاتفيد تعريفا أنه لا بد من حذف في قوله تعالى : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك) والتقدير لهو الذي ببكة ، فالخبر جملة اسمية لامفرد معرفة ، والجمل نكرات (٤) .

هـ - الأسماء المتوغلّة في الإبهام نحو : غير ، ومثل ، وشبه ،

وخذن ونحوهما . قال الزمخشري : « وكل اسم معرفة يتعرف به ما أضيف إليه إضافة معنوية إلا أسماء توغلّت في إبهامها فهي نكرات وإن أضيفت إلى المعارف ، وهي نحو : غير ، ومثل ، وشبه ، ولذلك وصفت

(١) ابن السراج : الأصول ١ / ١٣٢ ، وانظر ابن أبي الربيع البسيط ٢ / ١٠٤٤ .

(٢) انظر : ابن هشام : قطر الندى ص ٣٥٧ .

(٣) الأزهري : شرح التصريح ٢ / ٢٧ .

(٤) السيوطي : الأشباه والنظائر ١ / ٧٨ ، ١٠٧٨ ، وانظر : سيبويه : الكتاب

١ / ٢٠٤ .

بها النكرات ، فقليل : مررت برجل غيرك ومثلك وشبهك ...»^(١) . وقال ابن يعيش : « ويدلك على تنكيره أنك تصف به النكرة فتقول : مررت برجل غيرك »^(٢) وقال ابن هشام : « ... والدليل على ذلك أنك تصف بها النكرات فتقول مررت برجل غيرك ، وبرجل مثلك ، وبرجل شبهك ، وبرجل خدتك . قال الله تعالى : « ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل »^(٣) .

وقد ذكر سيبويه أن حسبك ونحوها نكرة لأنك تصف بها النكرة ، قال : « ويدلك على أنه نكرة أنك تصف به النكرة فتقول : هذا حسبك من رجل ، فهو بمنزلة مثلك ، وضاربك ، إذا أردت النكرة »^(٤) .

ب- النحاة على أن التوكيد يتبع المؤكد في التعريف والتنكير ، ولهذا رأى النحاة أن الفاعل التوكيد معارف لا يجوز أن تتبع النكرات . يقول ابن السراج : « فأما النكرة فلا يجوز أن تؤكد بنفسه ولا أجمعين ولا كلهم : لأن هذه معارف »^(٥) . ويقول ابن هشام : « وكذلك لا يجوز في الفاعل التوكيد أن تتبع النكرة ، لا يقال : جاء رجل نفسه ؛ لأن الفاعل التوكيد معارف فلا تجري على النكرات »^(٦) .

ويقول الرضي : « وأعلم أن « كلا » و « كلتا » لا تضافان إلا إلى

(١) الزمخشري : المفصل ص ٨٦ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ١٢٦ .

(٣) ابن هشام : شذور الذهب ص ٣٩٧ .

(٤) سيبويه : الكتاب ٢ / ١١٠ .

(٥) ابن السراج : الأصول ٢ / ٢٣ .

(٦) ابن هشام : قطر الندى ص ٤١٨ .

المعارف ؛ لأن وضعهما للتأكيد ، ولا يؤكد التوكيد المعنوي إلا المعارف^(١) .
وقد ذكر السيوطي أن الفاظ التوكيد معارف باتفاق ، وقال : ولهذا
جرت على المعرفة^(٢) .

ج- كذلك نص النحاة على أن عطف البيان يلزم فيه موافقة
المتبوع في تعريفه وتنكيره^(٣) .

٢- المعارف بأل الجنسية : قال ابن يعيش : « فالألف واللام أبهم
المعارف وأقربها من النكرات ، ولذلك نعتت بالنكرة كقولك : إني لأمر
بالرجل غيرك فينفعني ، وبالرجل مثلك فيعطيني ؛ لأنك لاتقصد رجلاً
بعينه . ومن ذلك قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم) جعل غيراً نعتاً للذين ، وهي في
مذهب الألف واللام التي لم يقصد بها شيء بعينه ،^(٤) .

ولعلّ من اللافت للنظر في نص ابن يعيش القول بأن الموصول -
مع أنه يتعرف بصلته عنده وعند أغلب النحاة - قد أصبح في هذا
الاستعمال القرآني نكرة بدليل أنها نعتت بنكرة ، وتلك ملاحظة أكدها
أبو حيان من بعد ، فقد ذكر مواضع عديدة من القرآن الكريم استعمل
فيها الموصول استعمال النكرات أو استعمال المعارف بأل الجنسية^(٥) .

(١) الرضي : شرح الكافية ١ / ٣٢ .

(٢) السيوطي : همع الهوامع ٢ / ١٢٤ .

(٣) ابن عقيل : شرح ابن عقيل ٣ / ٢٢٠ .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٧ .

(٥) أبو حيان : البحر المحيط ٤ / ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ٥ / ٦٩ .

٣- العلم : النحاة على أن الأعلام تتنكر إذا وصفت بنكرات . قال سيبويه : « فإن قلت : هذان زيدان منطلقان لم يكن الكلام إلا نكرة ... وعلى هذا الحد تقول : هذا زيد منطلق ، ألا ترى أنك تقول : هذا زيد من الزيدين ، أي : هذا واحد من الزيدين ، فصار كقولك : هذا رجل من الرجال » (١) .

كذلك يتخذ النحاة من وصف بعض المبهمات مثل « من » و « ما » بالنكرة دليلاً على تنكيرها . يقول أبو علي الفارسي في تعليقه على ما أنشده سيبويه من قول الشاعر :

* كمن بواديه بعد المحل ممطور *

(كمن بواديه) على تقدير : كرجل بواديه ، فقولك بواديه صفة لمن وليس بصلة . والدليل على أن من في هذا البيت نكرة وصفه إياه بممطور وهو نكرة ، (٢) .

٤- « من » و « ما » : يرى النحاة أن « من » في قولك مررت بمن معجب لك و « ما » في قولك : مررت بما معجب لك نكرتان : لأنهما وصفا بنكرة (٣) .

٥- اسم لا النافية للجنس : وهم يرون أن اسم لا النافية للجنس في نحو : قضية ولا أبا حسن لها نكرة بدليل أنه يوصف بالنكرة فيقال : ولا أبا حسنٍ حلالاً لها (٤) .

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ١٠٣ ، ١٠٤ / ٤٢٣ .

(٢) أبو علي الفارسي : التعليق ١ / ٢٦٨ .

(٣) انظر المبرد : المقتضب ٢ / ١٧٢ ، الأزهرى : شرح التصريح ١ / ٩٢ .

(٤) ابن عقيل : شرح ابن عقيل ٢ / ٦ .

٦- ما أضيف إلى نكرة : يرى النحاة أن ما أضيف إلى نكرة نكرة بدليل أنه يوصف بالنكرة . يقول سيبويه : هذا باب ما لا يكون الاسم فيه إلا نكرة وذلك قولك : هذا أول فارس مقبل ، وهذا كل متاع عندك موضوع وهذا خير منك مقبل . ومما يدل على أنهم نكرة أنهم مضافات إلى نكرة وتوصف بهن النكرة ، (١) . ثم قال : « ... ويستدل علي أنهم مضافات إلى نكرة أنك تصف ما بعدهن بما توصف به النكرة ، ولا تصفه بما توصف به المعرفة ، وذلك قولك : هذا أول فارسٍ شجاع مقبل ، (٢) .

وإذا كانوا يحكمون بالتنكير لما وصف بنكرة ، فهم أيضاً يجعلون وقوع بعض العناصر اللغوية صفات للنكرة دليلاً على تنكيرها . فهم يرون الجمل نكرات لأنها تقع صفات للنكرات . يقول ابن السراج : « ولا يجوز أن تصف المعرفة بالجمل : لأن الجمل نكرات ، والمعرفة لا توصف إلا بمعرفة » (٣) . وقال ابن يعيش : « ... وذلك أن الجمل نكرات ، إلا ترى أنها تجرى أوصافاً على النكرات نحو قولك : مررت برجل أبوه زيد ، ونظرت إلى غلام قام أخوه ، وصفة النكرة نكرة » (٤) .

ومما يجعلون وقوعه صفة للنكرة دليلاً على أنه نكرة : « ذو » التي بمعنى صاحب في نحو قولك : مررت برجل ذي مال : لأنها نعت لنكرة (٥) .

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ١١٠ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) ابن السراج : الأصول ٢ / ٣١ .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ١٤١ ، وانظر : ابن عقيل : شرح ابن عقيل ٢ / ١٩٤ .

(٥) الأزهري : شرح التصريح ١ / ٩٧ .

ومنه أحاد وثناء ومثنى وثلاث ورباع ونحوها . قال سيبويه :
«وسألته عن أحاد وثناء ومثنى وثلاث ورباع فقال : هو بمنزلة آخر ،
قلت : اقتصره في النكرة ؟ قال لا : لأن نكرة يوصف به نكرة » (١) .
وقال ابن يعيش : « وأما المعدول في حال التنكير فنحو : أحاد وثلاث
ورباع وما كان منها نكرات بدليل قوله تعالى : (أولى أجنحة مثنى
وثلاث ورباع ، فمثنى وثلاث ورباع في موضع الصفة لأجنحة وهي
نكرة » (٢) .

ومنه الظروف : لأنها تقع صفات للنكرات (٣) . ومنه آخر عند أبي
علي الفارسي . قال الرضي : « منع أبو علي من كون آخر معدولاً عن
اللام بأنه لو كان كذا لوجب كونه معرفة كأمس وسحر المعدولين عن ذي
اللام وكان لا يقع صفة للنكرات كما في قوله تعالى : « من أيام آخر » (٤) .

وكما يتخذ النحاة وصف الاسم بنكرة أو كونه صفة لنكرة دليلاً
على تنكيره يتخذون أيضاً من وصف الاسم بمعرفة دليلاً على تعريفه ،
ومن ذلك « أمس » ، فقد ذكر الأشموني أنه معرفة بغير أداة ظاهرة .
وأوضح ذلك الصبان بقوله : « قوله لأنه معرفة بغير أداة ظاهرة بدليل
وصفه بالمعرفة في نحو قولهم : أمس الدابر لا يعود » (٥) .

ومنه المصدر المقدر بأن والفعل فإن إضافته محضة خلافاً لابن
طاهر ، وابن برهان ، وابن الطراوة ، بدليل نعتة بالمعرفة نحو قوله :

(١) سيبويه : الكتاب ٣ / ٢٢٥ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ١ / ٦٢ .

(٣) أبو علي الفارسي : التعليقة ١ / ٢٥٢ .

(٤) الرضي : شرح الكافية ١ / ٤٢ .

(٥) الصبان : حاشية الصبان ١ / ٦٣ .

إن وجدني بك الشديد أراني عانراً من عهدت فيك عنذولا .
فوصف « وجدني » وهو مصدر مضاف إلى ياء المتكلم بالشديد (١).
ومنه الموصولات بدليل أنها توصف بالمعارف نحو قولك : جاءني
الذي عندك العاقل (٢) .

ثانياً : الإضافة المحضة :

النحاة على أن المعارف لاتضاف ، بل تضاف النكرات ، ومالا يمكن
تنكيره كالضمائر وأسماء الإشارة لاتصح إضافته ، فإذا أضيفت النكرة
إلى معرفة تعرفت ، إلا ما استثنى من ذلك ، وإذا أضيفت إلى نكرة
تخصصت (٣) .

والمضاف يكتسب التعريف من المضاف إليه إذا كان المضاف إليه
معرفة ، وذلك في كل مما يأتي :

١- اسم الجنس : قال سيبويه : « وأما المضاف إلى المعرفة فنحو
قولك : « هذا أخوك ، ومررت بأبيك ، وما أشبه ذلك . وإنما صار معرفة
بالكاف التي أضيف إليها : لأن الكاف يراد بها الشيء بعينه دون سائر
أمته » (٤) . ويقول ابن يعيش : « ... وإذا أضفته إلى معرفة تعرف ، وذلك

(١) انظر : الأزهرى : شرح التصريح ٢ / ٢٧ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٦ .

(٣) انظر : سيبويه : الكتاب ٢ / ٥ ، ٢٢٩ / ٢ ، والسيرافي : شرح كتاب سيبويه
١ / ٩٥ ، والفارسي : الإيضاح العضدي ١ / ٢٦٧ ، والزمخشري : المفصل ص
٨٢ .

(٤) سيبويه : الكتاب ٢ / ٥ .

قولك : غلام زيد ، فغلام نكرة ، ولما أضفته إلى زيد اكتسب منه تعريفاً،
وصار معرفة بالإضافة»^(١).

٢- المصدر : قال أبو علي : ومن الفرق بين المصدر واسم الفاعل
أن المصدر إذا أضيف إلى معرفة كان معرفة أبداً^(٢) .

٣- اسم الفاعل : إذا أريد به المضي . يقول ابن السراج : « وتقول :
هذا زيد ضارب أخيك إذا أردت المضي ؛ لأنك وصفت معرفة بمعرفة »^(٣) .

٤- أفعل التفضول : ذكر الأزهري أن إضافته عند الأكثرين
محضة^(٤) . وسيبويه لا يمنع ذلك ، يقول : وإنما أثبتوا الألف واللام في
قولهم: أفضل الناس ؛ لأن الأول قد يصير به معرفة »^(٥) . وقال ابن
يعيش : «... وقال الكوفيون : إذا أضيف على معنى من فهو نكرة ، وهو
رأى أبي علي ، وإذا أضيف على معنى اللام فهو معرفة . وقال
البصريون هو معرفة بالإضافة على كل حال ؛ إلا أن يضاف إلى
نكرة»^(٦) .

٥- العلم : النحاة على أن العلم تجوز إضافته إلى معرفة ، وعندئذٍ
هل هو باقي على تعريف العلمية ، أو أن تعريف العلمية نزع منه
واكتسب التعريف من الإضافة ؟ قولان . قال السيرافي : « ... لم

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ١١٨ .

(٢) أبو علي الفارسي : التعليق ١ / ١٣٩ ، وانظر : ابن هشام : قطر الندى ص
٣٥٦ .

(٣) ابن السراج : الأصول ١ / ١٢٩ .

(٤) الأزهري : شرح التصريح ٢ / ٢٧ .

(٥) سيبويه : الكتاب ١ / ٢٠٤ .

(٦) ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ٦ .

يختلفوا أن الاسم العلم يجوز إضافته ، ومتى أضيف تعرف بالإضافة ،
وغير جائز أن يعرف بالإضافة إلا وقد نزع عنه التعريف الذي كان فيه
ونكر ، كقولك : قام زيدكم وتعد زيدكم وأشباه ذلك ، (١) .

وقال الرضي : وعندني أنه يجوز إضافة العلم مع بقاء تعريفه ، إذ لا
منع من اجتماع التعريفين إذا اختلفا كما ذكرنا في باب النداء ، وذلك إذا
أضيف العلم إلى ما هو متصف به معنى نحو : زيد الصدق ، يجوز ذلك ،
وإن لم يكن في الدنيا إلا زيد واحد (٢) .

٦- العدد : يتعرف العدد المضاف بإدخال الألف واللام على المضاف
إليه . قال ابن السراج : « والبصريون يقولون : خمسة الدراهم ، ومائة
الدرهم فيدخلون الألف واللام في الثاني ، ويكون الأول به معرفة على
سبيل الإضافة » (٣) .

٧- الظرف : نقل سيبويه عن الخليل أن من الظروف ما يتعرف
بإضافته إلى معرفة ، قال : (... وكذلك من أمام ومن قدام ومن وراء
ومن قبل ومن دبر . وزعم الخليل أنهن نكرات كقول أبي النجم :

* يأتي لها من أيمن وأشمل *

وزعم الخليل أنهن نكرات إذا لم يضافن إلى معرفة ، كما يكون أيمن
وأشمل نكرة ، (٤) .

(١) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١٥٥ ، وانظر : ابن أبي الربيع : البسيط ٢ / ٨٨٤ ، وابن هشام : قطر الندى ص ٧٢ .
(٢) الرضي : شرح الكافية ١ / ٢٧٤ .
(٣) ابن السراج : الأصول ٢ / ١٤ ، وانظر : ابن يعيش : شرح المفصل ٦ / ٣٣ ،
وابن عصفور : المقرب ١ / ٣١١ ، والصبان : حاشية الصبان ١ / ١٨٧ .
(٤) سيبويه : الكتاب ٣ / ٢٩٠ .

فإذا قطعت بعض هذه الظروف عن الإضافة فإن كانت إضافتها قبل القطع إلى معرفة بقيت معرفة ، وإن كانت إلى نكرة بقيت نكرة . يقول السيرافي : « ... وأما قبلُ وبعد فإن أصلهما في الكلام أن يكونا مضافين ... فإن قال قائل : فما وجه كونهما منكورين في حال ومعروفين في حال إذا كانا مفردين ؟ قيل له : أما كونهما معروفين فإن يكون المضاف إليه المَحذوف منهما معرفة فيتعرفان به ، فإذا حذفته لمعرفة المخاطب به فقد فهم بهما مفردين ما كان يفهم بهما مضافين ، فهما على حددهما في التعريف ، ومن ذلك قوله عزَّ وجل : (لك الأمر من قبل ومن بعد) ، أراد من قبل الأشياء ومن بعدها ، فحذف الأشياء وفهم المعنى . وإن كانا منكورين فكانتاهما أضيفا إلى منكور وحذف المضاف إليه فبقيا على التنكير ، (١) .

وكذلك الحال في « عل » وما كان في معناه فإن كان في تقدير مضاف إلى معرفة بني على الضم ، وإن كان في تقدير مضاف إلى نكرة كان معرباً (٢) .

ومن الأسماء أيضاً ما يتعرف بإضافته إلى معرفة فإذا قطع عن الإضافة إلى معرفة كان معرفة مثل كل ، وبعض ، وأى . قال ابن يعيش : « وأما كل وبعض فمحذوف منهما المضاف إليه وهو مراد ، يدل على ذلك أنهما معرفتان ، ولولا إرادة المضاف إليه فيهما لكانا نكرتين ... والذي يدل على تعريفهما وقوع الحال منهما نحو قولك : مررت بكل قائماً وببعض جالساً ، والحال إنما تكون من المعرفة ، ولا تكون الحال

(١) السيرافي ١ / ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) السابق ١ / ١٤٩ - ١٥٠ ، وانظر ابن عصفور : المقرب ١ / ٢١٤ .

من النكرة إلا على ضعف وضرورة» (١) . وقال الأزهري : « ... ومنها ما هو واجب الإضافة إلى المفرد وهو نوعان : الأول : ما يجوز قطعه عن الإضافة في اللفظ فينون وهو المشار إليه في النظم بقوله : « وبعض ذا قد يأت لفظاً مفرداً » نحو كل إذا لم يقع نعنا ولا توكيداً ، وبعض ، وأى . قال الله تعالى : « وكل في فلك يسبحون » ، « فضلنا بعضهم على بعض » ، وهل هما والحالة هذه معرفتان أو نكرتان ؟ ذهب سيبويه والجمهور أنهما معرفتان بنية الإضافة ، ولذلك يأتي الحال منهما كقولهم : مررت بكل قائماً وبيعض جالساً ... » (٢) .

ثالثاً : الموقع :

يقرر النحاة أن بعض المواقع النحوية في الجملة لا يشغلها من العناصر اللغوية إلا ما كان نكرة ، أو معرفة ، فإذا ورد الاستعمال بوقوع المعرفة في موقع مقرر للنكرات ، أو بوقوع النكرة في موقع مقرر للمعارف تأولوه بوجوه من التأويل تحتفظ للموقع بما قرروه له .
ومما قرروه من المواقع المخصصة للنكرات ما يأتي :

١- الحال : قال سيبويه : « وإن كان معرفة لم يجز أن يكون صفة لنكرة ، كما لا يكون حالاً » (٣) . وقال : « فإذا كان الاسم حالاً يكون فيه الأمر لم تدخله الألف واللام ولم يضاف . لو قلت : ضربته القائم تريد قائماً كان قبيحاً . ولو قلت : ضربتهم قائمهم تريد قائمين كان

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ٣٠ .

(٢) الأزهري : شرح التصريح ٢ / ٣٤ - ٣٥ .

(٣) سيبويه : الكتاب ١ / ٣٦١ .

قبيحا»^(١). وقال ابن السراج : « ولا تكون الحال إلا نكرة »^(٢). وقال الرضي : « ... وكيف يكون (يقصد مثنى ونحوه) معرفة وهو يقع حالا نحو : جاءني القوم مثنى »^(٣). وقال ابن هشام : « شرط الحال أن تكون نكرة ، فإن جاءت بلفظ المعرفة وجب تأويلها بنكرة ، وذلك قولهم : اسخلوا الأول فالأول ، وأرسلها العراك ، وقراءة بعضهم (ليخرجن الأهر منهن الأئبل) بفتح الياء وضم الراء . وهذه المواضع ونحوها مخرجة على زيادة الألف واللام . وكقولهم : اجتهد وحدك . وهذا مؤول بما لا إضافة فيه ، والتقدير : اجتهد منفردا »^(٤) .

٢- التمييز : قال المبرد : « ولا يكون التمييز بالمعرفة »^(٥) . وقال ابن السراج : « وأعلم أن الأسماء التي تنصب على التمييز لا تكون إلا نكرات تدل على الأجناس »^(٦) . وقال ابن هشام : « وأصل التمييز التنكير لمثل ما قلنا في الحال ، وهو أن المقصود رفع الإبهام ، وهو يحصل بالنكرة وهي أصل ، فلو عرف وقع التعريف ضائعا »^(٧) . وقال أبو حيان : « واختلف النحويون في التمييز : أيجوز أن يكون معرفة أو لا ، فذهب البصريون إلى أن التمييز لا يكون إلا نكرة ، وذهب الكوفيون

(١) السابق ١ / ٣٧٧ .

(٢) ابن السراج : الأصول ١ / ٢١٤ .

(٣) الرضي : شرح الكافية ١ / ٤٢ .

(٤) ابن هشام : قطر الندى ص ٣٣٠ ، وانظر : الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح ١ / ٣٧٢ ، والسيوطي : معجم الهوامع ١ / ١٢٠ .

(٥) المبرد : المقتضب ٣ / ٥٦ .

(٦) ابن السراج : الأصول ١ / ٢٢٣ .

(٧) ابن هشام : شنود الذهب ص ٢٢٣ ، وانظر : ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف ١ / ٣١٥ .

وابن الطراوة إلى أنه يجوز أن يكون معرفة ، وورد منه شيء معرفة بال
والإضافة ، وتأوله البصريون على زيادة ال والحكم بانفصال
الإضافة...^(١) .

٣- الخبر عن النكرة : ذكر ابن أبي الربيع من بين الأدلة العشرة
التي يعلم بها أن الأسماء نكرات الإخبار بها عن النكرات ، قال : ولو
كانت معارف لم يخبر بها عن النكرات ؛ لأن العرب لا تجيز الإخبار
بالمعرفة عن النكرة ،^(٢) . وأقول إلا ما استثنى من ذلك نحو : كم ومن
الاستفهاميين ، وأعمل التفضيل^(٣) .

٤- صلة الموصول : يقول أبو علي : « وإنما وقع الظرف صفة
للنكرة من حيث وقع صلة للأسماء الموصولة ، وحالاً للمعارف ، لأن
هذه المواضع تشترك في أنها مواضع للنكرات »^(٤) .

ومما قرروه للمواضع المخصصة للمعارف :

١- المبتدأ : النحاة على أن موقع المبتدأ لا تشغله نكره محضة .
وقد علل لذلك ابن السراج بقوله : « ... وإنما امتنع الابتداء بالنكرة
المفردة المحضة ؛ لأنه لا فائدة فيه ، وما لا فائدة فيه لا معنى للتكلم به .
الا ترى أنك لو قلت : رجل قائم ، أو رجل عالم لم يكن في هذا الكلام
فائدة ؛ لأنه لا يستنكر أن يكون في الناس رجل قائماً أو رجل عالماً...»^(٥)

(١) أبو حيان : ارتشاف الضرب ٢ / ٢٨٤ ، وانظر ابن عقيل ١ / ١٨٢ .

(٢) ابن أبي الربيع : البسيط ٢ / ١٠٤٥ .

(٣) انظر : السيوطي : همع الهوامع ١ / ١٠٠ .

(٤) أبو علي الفارسي : التعليقة ١ / ٢٥٢ ، وانظر : الرضي : شرح الكافية ٢ / ٣٦ .

(٥) ابن السراج : الأصول ١ / ٥٩ .

فإنما قربت النكرة من المعرفة جاز أن تقع مبتدأ ، فموقع المبتدأ مخصص للمعرفة أو ما قاربها من النكرات . قال المبرد : فأما المبتدأ فلا يكون إلا معرفة أو ما قارب المعرفة من النكرات ... ولو قلت : خير منك جاءني ، أو : صاحب لزيد عندي جاز ، وإن كانا نكرتين ، وصار فيهما فائدة لتقريبك إياهما من المعارف « (١) . وقال ابن يعيش : « فإنما اجتمع معك معرفة ونكرة فحق المعرفة أن تكون هي المبتدأ » (٢)

وقد تتبع بعض النحاة مسوغات الابتداء بالنكرة فأنهاها بعضهم إلى نيف وأربعين مسوغاً (٣) . ونقل السيوطي عن بعض شيوخه أن الضابط في جواز الابتداء بالنكرة قربها من المعرفة لا غير ، وفسر قربها من المعرفة بأحد شيئين : إما باختصاصها كالنكرة الموصوفة ، أو بكونها في غاية العموم كقولك : ثمرة خير من جرادة (٤) .

٢- فاعل نعم وپلس : قال ابن جنبي : « اعلم أن نعم وپس فعلان ماضيان غير متصرفين ، ومعناهما المبالغة في المدح أو الذم . ولا يكون فاعلهما إلا اسمين معرفين باللام تعريف الجنس . فإن وقعت بعدها النكرة نصبتها على التمييز (٥) . وقال ابن عصفور : « وفي نعم أريع لغات ... ولا يكون فاعلها إلا ما عرف بالألف واللام ، أو ما أضيف إلى ذلك نحو قولهم : نعم الرجل زيد ، ونعم غلام القوم عمرو ، أو مضمراً

(١) للمبرد : المقتضب ٣ / ١٢٧ ، وانظر ابن السراج : الأصول ١ / ٥٩ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ١ / ٨٥ .

(٣) السيوطي : الأشباه والنظائر ٢ / ٦٨ .

(٤) السابق نفسه .

(٥) ابن جنبي : اللمع ص ١٤٠ .

على شريطة تفسيره باسم نكرة بعده نحو قولك : نعم رجلاً زيد ،^(١) .

٣- الاختصاص : قال سيبويه : « ... وأعلم أنه لا يجوز لك أن تبهم في هذا الباب فتقول : إني هذا أفعل كذا وكذا ، ولكن تقول : إني زيداً أفعل . ولا يجوز لك أن تذكر اسماً معروفاً : لأن الأسماء إنما تذكر توكيداً وتوضيحاً هنا للمضمر وتذكيراً . وإذا أبهمت فقد جئت بما هو أشكل من المضمر . ولو جاز هذا لجازت النكرة فقلت : إنا قوما ، فليس هذا من مواضع النكرة والمبهم ،^(٢) . وقال ابن عصفور : « وكذلك المنصوب على الاختصاص وهو على طريقة النداء فلا يجيء أبداً إلا بعد ضمير متكم نحو قولهم : إنا معشر العرب نفعل كذا ، وبك الله نرجو الفضل ، ونحن العرب أقرى الناس للضيف ... وذلك أن الأول قد يتطرق إليه ليس فيزال بذكر اسم معرفة . ولذلك لا يؤتى في هذا الباب بذكر الاسم النكرة : لأنه لا يزيل لبساً »^(٣) .

٤- الترقيم : قال أبو علي الفارسي : « ولا يرخم اسم مضاف ولا نكرة »^(٤) وقال ابن هشام : من أحكام المنادى الترقيم ... وشرطه أن يكون الاسم معرفة »^(٥) .

٥- عطف البيان : وأغلب النحاة يشترط فيه التعريف . يقول ابن الأنباري : « إن قال قائل : ما الغرض في عطف البيان ؟ قيل : الغرض فيه رفع اللبس كما في الوصف ، ولهذا يجب أن يكون أحد الاسمين

(١) ابن عصفور : المقرب ١ / ٦٦ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ٢٣٦ .

(٣) ابن عصفور : للمقرب ١ / ٢٥٣ .

(٤) أبو علي الفارسي : الإيضاح ١ / ٢٣٧ .

(٥) ابن هشام : قطر الندى ص ٢٩٧ .

يزيد على الآخر في كون الشخص معروفاً به ليخصه من غيره ؛ لأنه لا يكون إلا بعد اسم مشترك ، ألا ترى أنك إذا قلت : مررت بولدك زيد قد خصصت ولداً واحداً من أولاده ، فإن لم يكن له إلا ولد واحد كان بدلاً^(١) . وقال ابن هشام : « ... النوع الثاني : اشتراطهم التعريف لعطف البيان »^(٢) . وجاء في شرح ابن عقيل : « ذهب أكثر النحويين إلى امتناع كون عطف البيان ومتبوعه نكرتين . وذهب قوم منهم المصنف إلى جواز ذلك فيكونان منكرين كما يكونان معرفين - قيل ومن تنكيرها قوله تعالى : (توقد من شجرة مباركة زيتونة) ، وقوله تعالى : (ويسقى من ماءٍ صديد)^(٣) .

٦- التندبة : قال سيبويه : « ... ألا ترى أنك لو قلت : وإهذاه كان قبيحا ؛ لأنك إذا ندبت فإنما ينبغي لك أن تفجع بأعرف الأسماء ، وأن تخص ولا تبهم ؛ لأن التندبة على البيان . ولو جاز هذا لجاز : يا رجلاً ظريفاً ، فكنت له نادياً ، نكرة . وإنما كرهوا ذلك ؛ لأنه تفاحش عندهم أن يحتلطوا وأن يتفجعوا على غير معروف ... »^(٤) .

٧- النحاة على أن صاحب الحال معرفة ، وقد علل ذلك ابن يعيش بقوله : « وإنما لزم أن يكون صاحبها (يعني الحال) معرفة لما ذكرنا من أنها خبر ثان . والخبر عن النكرة غير جائز ؛ ولأنه إذا كان نكرة أمكن أن تجرى الحال صفة ، ولا حاجة إلى مخالفتها إياه في الإعراب ؛ إذ

(١) ابن الأنباري : أسرار العربية ص ٢٩٦ .

(٢) ابن هشام : مغني اللبيب ٢ / ٥٧٠ ، وانظر : السيوطي : الأشباه والنظائر ١ / ٢٦٣ .

(٣) ابن عقيل : شرح ابن عقيل ٢ / ٢٢٠ .

(٤) سيبويه : الكتاب ٢ / ٢٠٤ .

لافرق بين الحال في النكرة والصفة في المعنى ، (١) .

وهم يتخذون من مجيء الحال من الاسم دليلاً على تعريفه في سياق معين ، فهم يعدون « مثلك » في نحو قولك : هذا مثلك مقبلاً معرفة لمجيء الحال منه (٢) وكذلك يتخذون من مجيء الحال من علم الجنس دليلاً على تعريفه . يقول ابن يعيش : « ... ومما يدل على تعريف هذه الأشياء أنه يقع بعدها النكرة حالا كقولك : هذا أسامة مقبلاً ، ورأيت ثعالة مولياً » (٣) .

كذلك « كل و « بعض » إذا قطعنا عن الإضافة يعدون كلا منهما معرفة لمجيء الحال من كل منهما نحو قولك : مررت بكل قائماً ، وببعض جالساً ، لأن الحال إنما تكون من المعرفة (٤) .

رابعاً : الإحالة :

يرى نحاة العربية أن ضمير الغائب يحكم له بالتعريف أو التنكير على أساس ما يعود إليه ، فإن عاد إلى نكرة كان نكرة تقدم أم تأخر وإن عاد إلى معرفة كان معرفة . قال السيرافي : « وضمير النكرة لا يستفيد منه المخاطب أكثر من النكرة . ألا ترى أن قائلاً لو قال : مررت برجل وكلمته لم تكن الهاء العائدة إلى رجل بموجبة لتعريف شخص بعينه من بين الرجال ؟ » (٥) .

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ٦٢ .

(٢) سيبويه : الكتاب ١ / ٤٢٣ .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ١ / ٣٥ ، وانظر ابن عقيل ١ / ١٢٨ .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ٣٠ .

(٥) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ٢ / ٣٧٧ .

وقال الرضي : « ونحو : ربه رجلاً ، وبئس رجلاً ، ونعم رجلاً ،
ويالها قصة ، وربُّ رجل وأخيه ، فالضمائر كلها نكرة : إذ لم يسبق
اختصاص المرجوع إليه بحكم » (١) . وقال ابن يعيش : « وقالوا :
والمضمر يصلح لكل مذكور فلا يخص شيئاً بعينه . وقد يكون المذكور
قبله نكرة فيكون نكرة أيضاً على حسب ما يرجع إليه » (٢) .

ونكر الشلوبين أن سيبويه يعد الضمير العائد إلى نكرة معرفة
باقيا على أصله في التعريف : لأن استخدامه هذا الاستخدام أمر طارئ
فلا يعتد به . قال : « ذهب بعضهم إلى أن الضمير في ربِّ رجل وأخيه
نكرة ، لأن العرب أجرت مجراها فهو في معنى ربِّ رجل وربِّ أخي
رجل . وسيبويه أبقاه على معرفته : لأن أصل وضع ضمير النكرة أن
يكون معرفة لا نكرة ، فأجراه سيبويه على أصله ، ولم يبال بهذا الذي
طأ عليه من جهة معنى الكلام : لأنه أمر طارئ في هذا الموضع » (٣) .

ونقل السيوطي عن أبي حيان قوله : « وضمير النكرة - وإن كان
معرفة فإنه في باب الأخبار يعامل معاملة النكرة إذا اجتمعت مع المعرفة :
لأن تعريفه لفظي من حيث علم على من يعود . أما أن تعلم من هو في
نفسه فلا » (٤) .

خامساً : الجواب :

يتخذ بعض النحاة من الجواب عن بعض أسماء الاستفهام دليلاً

(١) الرضي : شرح الكافية ٢ / ١٢٨ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٨٧ .

(٣) انظر السيوطي : الأشباه والنظائر ١ / ٣١٠ .

(٤) السيوطي : همع الهوامع ١ / ١١٨ .

على تعريفه أو تنكيهه ، فإن كان الجواب نكرة كان نكرة ، وإذا كان معرفة كان معرفة . ومن ذلك أنهم عدوا « كيف » نكرة ، لأن جوابها لا يكون إلا نكرة . يقول ابن السراج : « وأما كيف فحق جوابها النكرة وذلك قولك : كيف زيد فيقال : صالح أو فاسد ، ولا يقال الصالح ولا أخوك ؛ لأنها حال ، والحال نكرة » (١) . وذكر السيرافي أن كيف هو الاسم الذي بعده (٢) .

ونقل السيوطي عن صاحب البسيط أن من علامات النكرة الجواب في كيف كقولك : كيف زيد ، فيقال : صالح . ثم قوله « فإنما عرف تنكيها بالجواب » (٣) .

ومثل كيف « كم » في أن جوابها لا يكون إلا نكرة ، قال ابن السراج : « إنا قال : كم مالك ؟ فالجواب مائة وألف أو نحو ذلك » (٤) . وقد نكر أبو علي الفارسي أن سيبويه جعل كم مبتدأ في قولك : كم جريباً أرضك وهي نكرة (٥) .

كذلك اتخذ بعض النحاة من الجواب عن مَنْ وما الاستفهاميتين دليلاً على تعريفهما . قال السيوطي : « وعد ابن كيسان من المعارف مَنْ وما الاستفهاميتين ، واستدل بتعريف جوابهما نحو : من عندك فيقال : زيد ، وما دعاك إلى كذا فيقال : لقاؤك . والجواب يطابق السؤال » (٦) .

(١) ابن السراج : الأصول ٢ / ١٩٧ .

(٢) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١ / ١١٥ .

(٣) السيوطي : الأشباه والنظائر ٢ / ٤٨ .

(٤) ابن السراج : الأصول ٢ / ١٩٧ .

(٥) أبو علي الفارسي : التعلية ١ / ٣٠٢ . وأبو حيان : ارتشاف الضرب ٢ / ٤١ .

(٦) السيوطي : همع الهوامع ١ / ٥٥ .

ولعله قد ظهر مما قدمناه أن المعيار الشكلي بفروعه المتعددة يمثل جانبا أساسيا في تناول النحاة العرب للظاهرة المدروسة ، وأنه أكثر تحديداً وأقوم طريقة ، ولا يثير من المشكلات أو الاعتراضات ما يثيره المعيار الدلالي وكان للمعيار التوزيعي دور بارز في الحكم للكلمة بالتنكير أو التعريف فاق غيره من المعايير على أهميتها ، ولهذا جاء حجم ما كتب فيه أكبر مما كتب في غيره .

خاتمة

بعد هذه الدراسة المفصلة لظاهرة التعريف والتنكير في العربية بجانبها الدلالي والشكلي يمكننا أن نجمل ما وصلت إليه الدراسة من نتائج على النحو الآتي :

أولاً : نتائج عامة :

١- للتعريف والتنكير دور أساسي في النظام النحوي للغة العربية، فتعريف عنصر من عناصر التركيب أو تنكيره قد يؤدي إلى تغيير التركيب أو تعديله نظماً ودلالة ، بل قد يؤدي إلى أن يكون التركيب غير صحيح نحويًا ، فضلاً عن أن العلم بقواعده لازم لإنشاء جمل صحيحة ، وتحليلها تحليلًا لغويًا صحيحًا .

٢- للتعريف والتنكير في نظام العربية جانبان : دلالي يتمثل في المراد بكل منهما وشكلي يتمثل في الوسائل اللفظية التي تحدد كلا منهما وتعين على إدراكه . وقد عني نحاة العربية بالجانبين ، واستطاع البحث بعد قراءة شاملة للتراث النحوي مشفوعة بقراءات في نحو بعض اللغات الأخرى أن يصل إلى معيارين أساسيين يحكمان هذه الظاهرة هما المعيار الدلالي والمعيار الشكلي ، ولكل منهما محاور يقوم عليها .

٣- رأى البحث أن المعيار الدلالي يقوم على محاور ثلاثة هي : الشيوخ / التعيين ، وعلم المخاطب / المتكلم ، والإشارة إلى خارج ، ولفت إلى أن معيار الشيوخ / التعيين كان أقربها إلى اهتمام النحاة ، وأكثرها إثارة للجدل، وخلقاً للمشكلات ، وهو الذي فتح الباب واسعاً

لهجوم بعض المحدثين على النحاة في تناولهم لهذه الظاهرة . أما علم
المخاطب / المتكلم فكان أقربها إلى ربط الكلام بالسياق الاجتماعي
social context ، لكن النحاة لم يولوه العناية الواجبة ليقوم بدوره في
النظرية النحوية العربية . وكانت الإشارة إلى خارج أقل ذيوياً ، وأقرب
إلى النزعة الفلسفية منها إلى الواقع اللغوي .

٤- ظهر للباحث أن المعيار الشكلي يقوم على محاور أربعة هي :
التوزيع ، والاستبدال ، والبنية الصرفية ، والظواهر النحوية ، وأنه بهذه
المحاور الأربعة يمثل الجانب الأساسي في تناول هذه الظاهرة ، بل إنه
الذي يحكم صحة الاستعمال حين يتعارض المعياران الدلالي والشكلي ،
وهو فضلاً عن ذلك أكثر تحديداً وأقوم سبيلاً ، ولايثير من المشكلات
والاعتراضات ما يثيره المعيار الدلالي ، ومن الممكن الاكتفاء به في ضبط
الاستعمال الصحيح لهذه الظاهرة . وقد كان التوزيع أوسع هذه المحاور
تطبيقاً ، وأغزرها مادة .

٥- لاتكاد الحدود الفاصلة بين المعيارين الدلالي والنحوي تراعى
عند كثير من النحاة ، فالمعياران عندهم يتعايشان في النظرية العربية
جنباً إلى جنب ، وكثيراً ما يتخذ نحاة العربية من أحدهما سنداً للآخر
وتقوية له دون أن يلتفتوا إلى ما قد يقوم بينهما أحياناً من تعارض ، فإذا
التفتوا حاولوا أن يوفقوا بينهما فيصرفوا أحدهما إلى اللفظ والآخر إلى
المعنى ، أو يلجئوا إلى افتراض محذوف أو تضمن أداة . فالمعياران عندهم
يتكاملان أحياناً ، ويتداخلان أحياناً ، وقد يتعارضان .

وقد لفت البحث إلى أن من النحاة من يصر على تطبيق المعيارين
معاً على الظاهرة كلها ، وفيها ما يتأبى على المعيار الدلالي ، فلا يجد

مخرجاً من ذلك إلا في القول بالتعريف لفظاً لامعنى ، أو معنى لالفظا .
والحق أن من العناصر اللغوية ما ينطبق عليه المعياران معاً ، ومنها ما لا
ينطبق عليه إلا المعيار الشكلي ، ولا تكاد تجد شيئاً ينطبق عليه المعيار
الدلالي دون أن تجد له وسائل شكلية تحدد تعريفه أو تنكيره . وفي هذا
دليل لاشك فيه على أن في النحو العربي اتجاهها شكلياً قويا في معالجة
الظواهر اللغوية ينتظر من يستخلص أسسه المنهجية ، ويتتبع تطبيقاته
العملية .

ثانياً : نتائج خاصة :

أ- تتبع البحث تطبيقات النحاة للمعيار الدلالي فأنتهى إلى ما
يأتي :

١-١ - معيار الشيوخ / التعيين أوسع المعايير الدلالية تطبيقاً ،
لكنه ليس مطرداً ، ولا يمكن الاعتماد عليه وحده في تعريف العناصر
اللغوية أو تنكيرها ، إذ لا ينطبق على عديد منها ، فهو لا ينطبق على ما
يأتي :

● علم الجنس : إذ هو عندهم معرفة مع أنه شائع في أمته .
● المبهمات - والإبهام عندهم ضرب من التنكير - وهذه المبهمات
هي :

- اسم الإشارة ، وهو برغم إبهامه معرفة عندهم ، وقد قالوا في
تعليق معرفته : لأنه يشير إلى شيء بذاته . وظاهر أن إشارته إلى شيء
بذاته لاتجعله معرفة في ذاته ، بل وسيلة تعريف لغيره .

- الموصولات وهي عندهم معارف مع ما فيها من إبهام . وقد جعلوا الموصولات معارف بالصلة لابدالاتها في ذاتها على محدد ، والصلة جملة والجمل نكرات عندهم ، فكيف تكسب النكرة غيرها التعريف ؟ ثم إنهم قالوا إن الموصول وصلة إلى وصف المعارف بالجمل ، فكيف يكون الوصلة معرفة

- الضمائر عندهم من المبهمات ، وهي معارف بقريئة الحضور للمتكلم والمخاطب لابدالاتها على التعيين بصيغتها ، ويعلم المخاطب في ضمير الغائب

- ما الاسمية باستعمالاتها المختلفة ، وتعريفها أو تنكيرها لا يرتبط بدلالة لها على التعيين أو الشيوخ .

● الجمل ؛ وقد جعلوها نكرات ، ولا دلالة فيها على شيوع أو تعيين لأنهما من عوارض الذات ، والذوات مفردات لا جمل .

● جعلوا تعريف كل لما فيها من معنى العموم ، ورفضوا أن يكون العموم سبباً في تعريف بعض الأسماء مثل « أحد » في قولك : ماجاء من أحد .

● جعلوا غُدوة ويكرة من المعارف ، وعللوا ذلك بأن كلا منهما علم على الحين علمية جنس ، لكنهم جعلوا ضحوة وعشية مثلاً نكرة ، وكذلك جعلوا أمس معرفة ، وغداً نكرة ، ودلالة كل منها على زمان بعينه واحدة .

ب- عرض البحث لثلاث مسائل تتصل بمعيار الشيوخ /التعيين:

إحداها : النكرة أصل المعرفة . وقد أوضح البحث أنهم نظروا في

ذلك إلى حال الوجود ؛ لأن الأشياء تكون مجهولة ثم تعرف ، لكن ذلك لا ينطبق على استعمالات اللغة ، فمنها ما لازم التعريف ، ومنها ما التعريف فيه قبل التنكير .

الثانية : التدرج الهرمي للنكرات والمعارف . وقد انتهى البحث إلى أن التدرج الهرمي للنكرات جهد عقلي لا طائل من ورائه ، ولا أثر له في الاستعمال . أما التدرج الهرمي للمعارف فقد رتب عليه كثير من النحاة أحكاماً نحوية كاشتراطهم أن يكون الموصوف أعرف من صفته ، وجعلوه موجهاً للإعراب في بعض الأحيان .

وقد لفت البحث إلى أن قمة هرم التنكير تلتقي بقاعدة هرم التعريف عند منطقة وسطى تسمى التخصيص ، وهو يعنى عندهم تقليل الاشتراك في النكرات ، فهو أخص درجات النكرة وأقربها إلى المعرفة من أجل ذلك عنده بعض النحاة ضرباً من التنكير ، وعده آخرون ضرباً من التعريف ، ومن أجل ذلك أيضاً يمكن القول بأن نحاة العربية بنوا هرمياً واحداً من المفاهيم يبدأ بأنكر النكرات وينتهي بأعرف المعارف وقد وقع الباحث على من أخذ بهذا التدرج الهرمي من الباحثين الأوروبيين وطبقه على ظاهرة التنكير والتعريف في اللغة الفرنسية .

الثالثة : أصل الوضع / الاستعمال : هل تتحدد المعرفة والنكرة على أساس من أصل الوضع أو من الاستعمال ؟ بعض النحاة تمسك بأصل الوضع ، فرأى مثلاً أن ما دخلت عليه ربّ من المعارف معارف ، وبعضهم نظر إلى الاستعمال ، لكنه لم يهمل أصل الوضع فوجد المخرج من ذلك في القول بأن الكلمة تستخدم معرفة لفظاً وهي نكرة معنى ، وقد تستعمل نكرة لفظاً وهي معرفة معنى .

٢- أظهر البحث أن النحاة التفتوا إلى دور المخاطب في الاتصال الكلامي ، وجعلوا تعريف الشيء أو تنكيهه محكوماً بالعلاقة المفترضة بين المتكلم والمخاطب ، فإذا قدر المتكلم علم المخاطب بالشيء استخدمه معرفة ، وإذا قدر جهله به استخدمه نكرة . وقد تتبع البحث تعليقات النحاة للمعارف لم كانت معارف ؟ فوجدهم أرجعوا تعريفها جميعاً إلى علم المخاطب ، إلا التعريف بالنداء ، فقد أرجعوه إلى قصد المتكلم .

٣- أبرز البحث ما رآه بعض النحاة من أن التعريف مرتبط بتحقيق الأشياء خارج الذهن ، وناقش ذلك ، ولفت إلى أن هذا يجعل التعريف محصوراً في النوات التي لها وجود في الخارج ، أما المجردات فهي على ذلك لا تقبل التعريف . والاستعمال اللغوي ينفي ذلك .

ب- رأى البحث أن المعيار الشكلي معيار جامع يقوم على أربعة محاور هي: التوزيع، والاستبدال، والبنية الصرفية والظواهر النحوية ، وقد تتبع تطبيقات كل منها فأنتهى إلى ما يأتي :

١- تتبع البحث توزيع العناصر التي تكون معرفة أو نكرة بدخول أداة عليها أو امتناع دخولها ، فقدم حديثاً مفصلاً عن الظاهرة واستخدام الأداة ، وعن الظاهرة وامتناع الأداة ولفت إلى أن نحاة العربية لم يفرقوا حديثاً لما يمتنع دخول الأداة عليه ، وأن أحداً من الباحثين المحدثين لم يعن به .

وقد مهدت لاستخدام الأداة بحديث عن أصل الأداة ، وقبلت بعد تحييص ما انتهى إليه بعض المحدثين من أنه لاخلاف بين الخليل وسيبويه في أصل الأداة فهما على أنها الألف واللام ، والألف فيها ألف وصل لا قطع ، خلافاً لما زعمه كثير من النحاة .

أما استخدام الأداة فقد شمل جانبين :

أ- الأداة والتعريف : وقد تتبع في العناصر اللغوية التي تقبل دخول الأداة عليها مؤثرة فيها التعريف ، ودلالة التعريف فيها ، ثم العناصر اللغوية التي تقبل ال غير مؤثرة فيها التعريف ، ووجدتها نوعين : نوعاً إذا حذفت منه الأداة لم يعد نكرة ، ونوعاً إذا دخلت عليه الأداة لم تكسبه تعريفاً معنوياً ، لكنه يستخدم لفظاً استخدام المعارف ، فإذا حذفت منه ال ارتد إلى التنكير ، ثم تحدث عما تلزمه ال معرفة .
وقد قدم البحث حديثاً عن التعريف بحرف النداء للمنادى المفرد مع إلحاق علامة شكلية بآخره .

ب- الأداة والتنكير : تتبع البحث العناصر التي لا يليها إلا نكرة ، وبين ضوابط استعمالها وهي : رب ، وكم الخبرية ، ومن الاستغراقية ، ولا النافية للجنس ، ثم التنوين . وقد تتبع البحث استعمالات التنوين في العربية بعيداً عن الاعتبارات غير اللغوية التي يحكمها النحاة أحياناً في المستعمل من اللفظة فيصرفونه عن وجهه ، وانتهى إلى أن دلالة التنوين على التنكير أوسع مما قرره النحاة ، لكنه ليس مطلقاً كما أراد له بعض المحدثين أن يكون علماً على التنكير ، وإذا كنا نعهده ، ويعده بعض الباحثين ، أداة للتنكير فإنما كان ذلك لما غلب من استعماله فيه ، كما أن أداة التعريف سميت بذلك لما غلب من استعمالها في التعريف ، لكن دلالتها على التعريف ليست مطلقة . وقد انتهت إلى أن من التنوين ما يدل على التمكين وحده دون دلالة على التنكير ، ومنه ما يدل على التمكين والتنكير معا ، ومنه ما يدل على التمكين والعوض ، ومنه ما يدل على التمكين والتنكير والعوض ، ومنه ما يدل على التنكير

وحده، ومنه ما يدل على العوض وحده .

ج- أفرد البحث حديثاً مفصلاً لامتناع الأداة ، ولم يكن أحد من القدماء أو المحدثين فيما أعلم قد أفرد له حديثاً ، بل إن من المحدثين من رأى ذلك موجوداً فى بعض اللغات الأجنبية لكنه غير موجود فى العربية . وقد تتبع ما يمتنع دخول (ال) أو لحاق التنوين به فوجده ثلاثة أنواع : نوعاً يمتنع دخول (ال) عليه ولا يمتنع التنوين ، ونوعاً يمتنع لحاق التنوين به ولا يمتنع دخول (ال) عليه ، ونوعاً يمتنع دخول (ال) عليه ويمتنع لحاق التنوين به . على أني وجدت ما يمتنع دخول الأداة عليه بعضه لا يستعمل إلا معرفة ، وبعضه لا يستعمل إلا نكرة ، وبعضه يجوز أن يستعمل نكرة أو معرفة . وقد ذكرت العناصر التي تدخل تحت كل نوع .

٢- ظهر للباحث أن النحاة يتخذون من وضع عنصر لغوي موضع آخر فى سياق محدد وسيلة منهجية للحكم بتعريفه أو تنكيره ، وهم بهذا يتركون الباب مفتوحاً أمام مقتضيات الاستعمال ، فانتهوا إلى أن بعض العناصر يجوز تنكير معرفتها وتعريف نكرتها إذا وقعت فى سياق محدد موقع اسم معرفة أو نكرة ، بل إنهم اتخذوا منه وسيلة منهجية للمقول بتعريف عنصر محدد فى سياق وتنكيره فى سياق آخر حلاً لمشكلة التعارض بين أصل الوضع والاستعمال .

٣- وصل البحث إلى أن النحاة ذكروا عدداً من المباني الصرفية التي لا يكون ما يأتي عليها إلا معرفة أو نكرة بغض النظر عن معناها ، أو دخولها فى تركيب نحوي كالتثنية والجمع ، والعدل من صيغة إلى أخرى ، وصيغة الفعل مؤنث الأفعال ...

٤- أظهر البحث أن النحاة يتخذون من بعض الظواهر النحوية كالمطابقة بين التابع والمتبوع ، والإضافة المحضة ، والموقع ، والإحالة إلى عنصر لغوي سابق anaphora أو لاحق cataphora والجواب عن بعض كلمات الاستفهام وسيلة منهجية للقول بتكبير عنصر لغوي أو تعريفه.

ولله الحمد من قبل ومن بعد

.

.

.

أهم المصادر والمراجع

أ- العربية والمعربة :

- الأزهري ، خالد بن عبد الله (ت ٩٠٥ هـ)
- شرح التصريح على التوضيح (القاهرة د. ت)
- الأشموني ، نور الدين علي بن محمد (ت ٩٠٠ هـ)
- شرح الأشموني على الفية ابن مالك . (القاهرة د. ت)
- ابن الأنباري ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ)
- أسرار العربية . تحقيق محمد بهجة البيطار (دمشق ١٩٥٧)
- الإنصاف في مسائل الخلاف . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٥٣) .
- ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ هـ)
- مجالس ثعلب . (القسم الثاني) . تحقيق عبد السلام هارون . (القاهرة ١٩٨٠)^٤ .
- الجرجاني ، عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ)
- أسرار البلاغة . تحقيق محمود محمد شاكر (جدة ١٩٩١)
- دلائل الإعجاز . تحقيق محمود محمد شاكر (القاهرة ١٩٨٩)^٢
- ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ)
- اللمع في العربية . تحقيق فائز فارس (الكويت ١٩٧٢)
- أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت ٧٤٥ هـ)
- ارتشاف الضرب من لسان العرب . تحقيق د. مصطفى النماس (القاهرة ١٩٨٤)
- البحر المحيط . (بد . ت ١٩٨٣)^٢ .

الغضري ، محمد الدمياطي (ت ١٢٨٧ هـ)
- حاشية الغضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك
(القاهرة ١٩٤٠)

د. داود عبده :
- أداة التعريف . في : دراسات في علم أصوات العربية
(الكويت د.ت)

ابن أبي الربيع ، عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله (ت ٦٨٨ هـ)
- البسيط في شرح جمل الزجاجي . تحقيق د. عياد بن عيد الثبتي .
(بيروت ١٩٨٦) .

الرضي ، رضي الدين الاسترابادي (٦٨٦ هـ)
- شرح الكافية في النحو لابن الحاجب . (القاهرة ١٣١٠ هـ)

د. رمضان عبد التواب :
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (القاهرة ١٩٨٥)^٢

الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق (ت ٣٣٧ هـ)
- الإيضاح في علل النحو . تحقيق د. مازن المبارك (بيروت ١٩٧٣)
- الجمل في النحو . تحقيق د. علي توفيق الحمد (بيروت ١٩٨٨)^٣
- اللامات . تحقيق مازن المبارك (دمشق ١٩٦٩)

الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)
- المفصل في علم العربية . (بيروت د.ت)

ابن السراج ، أبو بكر محمد بن سهل (ت ٣١٦ هـ)
- الأصول في النحو . تحقيق د. عبد الحسين الفتلي (بيروت
١٩٨٥)

السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي (ت ٥٨١ هـ)
- نتائج الفكر في النحو . تحقيق د. محمد إبراهيم البنا (القاهرة
١٩٨٤) ٢

سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ)
- كتاب سيبويه . تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ١٩٦٦ -
١٩٧٧)

السيرافي ، أبو سعيد (ت ٣٦٨ هـ)
- شرح كتاب سيبويه . ج١ تحقيق د. رمضان عبد التواب ود.
محمود فهمي حجازي . د. محمد هاشم عبد الدايم (القاهرة
١٩٨٦) وج٢ تحقيق د. رمضان عبد التواب (القاهرة ١٩٩٠)

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)
- الأشباه والنظائر في النحو (بيروت ١٩٨٤)
- مع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية (القاهرة
١٣٢٧ هـ)

الصبان ، محمد بن علي (ت ١٢٠٦ هـ)
- حاشية الصبان على الفية ابن مالك (القاهرة د . ت)

د. عبد الرحمن أيوب :
- دراسات نقدية في النحو العربي (القاهرة ١٩٥٧)
د. عبد الكريم جواد الزبيدي :
- أداة التعريف في اللغة العربية بين القدماء والمعاصرين في : مجلة
كلية الآداب - جامعة الإمارات ، ع٢ سنة ١٩٨٦ .

ابن عصفور ، علي بن مؤمن بن علي (ت ٦٦٣ هـ)
- المقرب . تحقيق د. أحمد عبد الستار الجوارى ، و د. عبد الله
الجبوري (بغداد ١٩٧١)

ابن عقيل : شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٨٠)^{٢٠}

د. فؤاد حسنين :

- أداة التعريف فى اللغة العربية . فى : مجلة كلية الاداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة) م ٧ يولية ١٩٤٤ .

الفارسي ، أبو على الحسن بن أحمد (ت ٣٧٧ هـ)

- الإيضاح العضدي . تحقيق د. حسن شانلي فرهود (القاهرة ١٩٦٩)

- التعليقة على كتاب سيبويه . تحقيق عوض بن حمد القوزى (القاهرة ١٩٩٠ ، ١٩٩١ ، ١٩٩٤)

الفاكهي ، عبد الله بن أحمد (ت ٩٧٢ هـ)

- الحدود فى النحو . تحقيق المتولي رمضان أحمد الدميري (القاهرة ١٩٩٣)^٢

فيبري ، أوكه : قواعد اللغة السويدية . ترجمة حاتم زامل (استكهولم ١٩٨٩)

المالقي ، أحمد بن عبد النور (ت ٧٠٢ هـ)

- رصف المباني فى شرح حروف المعاني . تحقيق أحمد الخراط (دمشق ١٩٧٥)

ابن مالك ، أبو عبد الله محمد جمال الدين (ت ٦٧٢ هـ)

- شرح الكافية الشافية . تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريدي (مكة المكرمة ١٩٨٢)

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ)

- المقتضب . تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة (القاهرة ١٣٨٦ - ١٣٩٩ هـ)

المجاشعي ، أبو الحسن علي بن فضال (ت ٤٧٩ هـ)
- شرح عيون الإعراب . تحقيق د. عبد الفتاح سليم (القاهرة
١٩٨٨) .

د. محمود أحمد نحلة :

- الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوروبية (الإسكندرية
١٩٩٤)

- النهج الاستبدالي في كتاب سيبويه . في : د. محمود فهمي
حجازي (المحرر) : فولفديترش فيشر . دراسات عربية وسامية
مهداة من أصدقائه وتلاميذه بالجامعات المصرية (جامعة القاهرة
١٩٩٤)

المرادي ، الحسن بن قاسم (ت ٧٤٩ هـ)

- الجنى الداني في حروف المعاني . تحقيق طه محسن (بغداد ١٩٧٦)

ابن هشام ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت ٧٦١ هـ)

- أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك . تحقيق محمد محيي الدين عبد
الحميد (بيروت ١٩٨٠)^٦

- شرح شذور الذهب . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
(القاهرة ١٩٦٨)^{١١}

- شرح قطر الندى وبل الصدى . تحقيق محمد محيي الدين عبد
الحميد (القاهرة ١٩٦٦)^{١٢}

- مغني اللبيب عن كتب الأعراب . تحقيق محمد محيي الدين عبد
الحميد (صيدا - بيروت ١٩٨٧)

يس العليمي (ت ١٠٦١ هـ)

- حاشية الشيخ يس على شرح التصريح على التوضيح . بهامش
شرح التصريح (القاهرة د . ت)

ابن يعيش ، موفق الدين يعيش على بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ)
- شرح المفصل (المنيرية - القاهرة د . ت)

ب- الأجنبية :

- Close , R.A. (1983)³ : English as a Foreign Language . London.
- Crystal , D. (1980) : A First Disctionary of linguistics and Phonetics . London .
- Flämig, W. (1991) : Grammatik des Deutschen. Einführung in Struktur - und Wirkungszusammenhänge . Berlin .
- Gätje , H. (1970) : Zur Begriff der Determination und Indetermination im Arabischen . In : Arabica XVII . Leiden .
- Götze , L & Hess-Lüttich , E. (1989) : Grammatik der deutschen Sprache. Sprachsystem und Sprachgebrauch . München .
- Helbig , G. & Buscha, J. (1980) : Deutsche Grammatik . Ein Handbuch für den Ausländerunterricht. Leipzig .
- Hentschel , E. & Wedt, H. (1990) : Handbuch der deutschen Grammatik . Berlin , New York .
- Krámský , J. (1970) : The Article and the Concept of Definiteness in Language. The Hague : Mouton .
- McArther, T. (ed.) (1996) : The Oxford Companion to the English Language. Oxford , New York .
- Thomson , A.J & Martinet, A.V. (1986) : A Practical English Grammar . Oxford.

الفهرست

مقدمة	٥ - ٩
تمهيد	١١ - ١٧

الباب الأول

المعيار الدلالي	٢١ - ٩٢
الفصل الأول : الشبوع / التعيين	٢١ - ٨٠
الفصل الثاني : علم المخاطب / المتكلم	٨١ - ٨٧
الفصل الثالث : الإشارة إلى خارج	٨٩ - ٩٢

الباب الثاني

المعيار الشكلي	٩٥ - ٢١٤
مدخل	٩٥
الفصل الأول : التوزيع	٩٧ - ١٧٦
الفصل الثاني : الاستبدال	١٧٧ - ١٨٥
الفصل الثالث : البنية الصرفية	١٨٧ - ١٩٢
الفصل الرابع : الظواهر النحوية	١٩٣ - ٢١٤
خاتمة	٢١٥ - ٢٢٣
أهم المصادر والمراجع	٢٢٥ - ٢٣٠

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٧/١٥٢٢٧

L.S.B.N. 977 - 19 - 5225 - 0

دار التونى للطباعة والنشر

الاسكندرية ت : ٤٨٢٨١٧٣ - ٤٨٣٧٤٢٢

